جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية



أبو منصور الثعالبي

وآثاره الأدبية

رسالة ماجستير
مقدمة لكلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد



إعداد

حسيبة محمد سعيد عبد الحليم

إشراف

الأستاذ الدكتور

حسن جاد حسن



بسم الله الرحمن الرحيم

:: مقدمة ::

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فقد جاء القرن الرابع الهجرى بعد أن بلغت الحضارة العربية قمتها فى العلم والمعرفة والثقافة والحضارة ، وبعد أن بلغ النقد الأدبى عند الآمدى وأمثاله ذروته الفنية ، وموضوعيته المنهجية ، وآتت الثقافة العربية ثمارها من الكتب الأدبية واللغوية بما قيض الله لها من أعلام استوعبوا الثقافة العربية الأصيلة ، وتمثلوا الثقافات الأجنبيه الوافدة ، ووقفوا على الصراع الذى دار بين الثقافتين ، مما أثار المعارك الأدبية بين أنصار القديم وأنصار الحديث على نحو ما نعرف من الخصومات بين أنصار البحترى وأنصار أبى تمام ، تلك الخصومات التى أثمرت كتاب الموازنة للآمدى ، وعلى نحو ما عرفنا من الصراع بين أنصار المتنبى وخصومه ، ذلك الصراع الذى أثمر كتاب الوساطة للجرجانى فى القرن الرابع .

وهكذا توالت الجهود فى تأليف كتب الأدب والنقد والموازنة وغيرها من كتب العلم والمعرفة والتراجم والطبقات فى شتى نواحى المعرفة ، وانتهى ذلك كله الى القرن الرابع الذى وعى هذه الثقافات والمؤلفات .

وكان من أعلام هذا القرن الأديب الشاعر الناقد اللغوى الاخبارى أبو منصور الثعالبى الذى استوعب كل ما انتهى اليه من ذلك التراث الأصيل والوافد ، والذى منحه الله موهبة البيان ، وسعة العلم ، وذكاء القلب ، وسلامة الفطرة ، ودقة الحس ، ورقة الشعور ، فألف فى معظم الفنون ، وكتب فى كثير من ألوان الأدب والمعرفة ، حتى بلغت كتبه اكثر من مائة كتاب فى الأدب واللغة والامثال والأخبار والتراجم ونحو ذلك .

وقراء العربية يعرفون هذا الرجل من خلال أشهر كتبه : (اليتيمة ــ فقه اللغة ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ــ التمثيل والمحاضرة ــ خاص الخاص ــ لطائف المعارف) .

وهكذا اجتذبتني شخصية هذا الرجل ،وأغرتني بصحبته ومعايشته ودراسة أدبه ،والوقوف على آثاره ،وتسجيل ذلك كله في هذا البحث .

وحسب الثعالبي أن يطلق عليه (جاحظ نيسابور) ،ولا غرابة في اطلاق هذا اللقب عليه ،فهو لا يكاد يقل عن (جاحظ البصرة) سعة علم ،وغزارة معرفة ،وتنوع ثقافة ،وامتلاكا لناصية البيان في سجاحة اسلوب ،ونصوع ديباجة ،واشراق تعبير .

ولكن هذا الرجل على ذلك لم ينل حظه من دراسة الباحثين ،وعناية الكاتبين ، واهتمام الادباء ،على الرغم مما أثرى به المكتبة العربية ،واضافة الى تراثها المجيد .

ومن هنا صحبت الرجل ،وعكفت على دراسة آثاره التي تتيح لمن يتمثلها ويستوعبها الوقوف على جوانبه المتعددة ،واستظهار شخصيته العلمية والأدبية .

على أن دراسة هذه الشخصية وجوانبها المتعددة تلقي الأضواء الكاشفة على التاريخ الأدبي لهذا العصر الزاهر ،وتمثل لنا حلقة لها شأنها في سلسلة الأدب العربي في النصف الثاني من القرن الرابع والربع الأول من القرن الخامس بوجه خاص وفي سلسلة الأدب العربي في مختلف العصور بوجه عام .

وقد سلكت في دراستي للثعالبي هذا المنهج التالي :

الباب الأول :

وقد خصصته لدراسة عصره وحياته وثقافته ،حيث عرضت في الفصل الأول صورة لعصره من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية .

وفي الفصل الثاني ترجمت لحياته ونشأته محققا مولده ، ووفاته من خلال الآراء التي أثيرت حول ذلك .

ثم بينت في الفصل الثالث ثقافته ومصادرها والمؤثرات التي أثرت فيه وكونت شخصيته .

الباب الثاني :

وقد خصصته لدراسة أدبه . ففي الفصل الأول درست شعره ،وأوضحت خصائصه

الفنية ،وقومته تقويما نقديا معتمدا على ذوقي الخاص ،واجتهادي الشخصي . وفي الفصل الثاني درست نثره دراسة فنية مبينا خصائصه وطريقته فيه ،موضحا ملامح الاسلوب الجاحظي في هذا النثر .

أما الفصل الثالث فقد خصصته للثعالبي الناقد ،حيث رصدت آثاره النقدية ، وما تناوله من قضايا سبق بها ،وما ابتدعه من آراء تمثل ذوقه الفني الخاص ،ورأيه الشخصي الذي تفرد به .

أما الفصل الرابع فقد أوضحت فيه مكانة الثعالبي في عالم الأدب والنقد ،حيث سجلت آراء النقاد فيه ،ونظرتهم اليه ،وحكمهم عليه ،وبهذا الفصل تتضح مكانته العلمية والأدبية .

الباب الثالث :

وقد خصصته لآثاره ومؤلفاته ،حيث عرضت لكل ماألفه في فنون العلم واللغة والأدب والتاريخ والاخبار والتراجم والأمثال ،وغير ذلك مما تتبعته في جميع المصادر التي سجلت كتبه المخطوطة والمطبوعة والمفقودة ،ماعرف منها ومالم يعرف . ثم اخترت خمسة كتب من أشهر ماألف للدراسة التفصيلية التي كشفت فيها عن موضوع كل كتاب ومنهجه وطريقته وقيمته ،وهي دراسة اعتمدت في معظمها على مجهودي الخاص، وكشفت فيها عن جوانب هذه الشخصية الفذة ،ومكانتها في عالم الأدب العربي ، وجعلت لكل كتاب فصلا خاصا به .

وهكذا عشت مع الثعالبي في آثاره ، كما صحبته في دراسة حياته وأدبه محللا ، مستوعبا ،مستنبطا ،كاشفا لكثير من الجوانب التي كانت مجهولة لدى قراء العربية .

هذا هو جهدي الذي بذلته في أمانة واخلاص ،ويعلم الله ماعانيته من المصاعب لقلة المراجع ،وندرة ماكتب عن الرجل .

ولست أدعي أني وفيت جاحظ نيسابور حقه من الدراسة ،فلم أترك بعدي زيادة لمستزيد ،فذلك مالا يستطيع أن يدعيه أحد في أي عمل من الأعمال ،اذ الكمال لله وحده ،فان ماكتبته عن هذا الحافظ الأمين لذلك التراث الضخم ماهو الا غيض

من فيض ، فقد كان علما من أعلام الأمة العربية ، أحب القرآن الكريم ، واكثر من الاستشهاد بآياته ، وضمنها شعره ونثره وجميع مؤلفاته ، لأنه أحب العربية التي نزل بها القرآن ، وترك لنا من الأثر ما سيظل قبسا هاديا ، يستضيء به عشاق المعرفة وطلاب العلم ، والله ولي التوفيق .

* * *

:: البــــاب الأول ::

عصر الثعالبى وحياتـــــه

:: الفصـــل الأول ::

عصر الثعالـــــبى

— ١ —

عاش الثعالبى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس " ٣٥٠ — ٤٢٩ هـ " بعد أن سقطت بغداد فى ايدى البويهيين وتوزع الحكـــم والسلطان وأنقسم العالم الاسلامى الى دويلات .

والقرن الرابع الذى ولد وعاش فيه صاحبنا الثعالبى " يعد فى طليعة قـــرون الخصب والسعة فى تاريخ هذه الأمة فى ميادين العلم ومجالات التفكير " (١)

وقد بلغ العلم فيه أوجه بعد أن تمكنت أسبابه فى عصرين سبقا هذا العصـــر . هما " العصر العباسى الأول الذى بدأ بولاية العباسيين الأمر وانتهى بولايـــة المتوكل على الله العباسى . وفيه هيأ العباسيون أسباب الثراء والسيادة . وفيـــه كانت نشأة كثرة من العلوم الاسلامية وفيه حفلت دور الخلفاء بالأدباء والعلمـــاء والشعراء . ثم العصر العباسى الثانى الذى بدأ بخلافة المتوكل على الله العباسى وانتهى بظهور الدولة البويهية . وفيه استبد الأتراك بالأمر فعوقوا الحضارة شيئا ما . وكادت أن تدرس على أيديهم لولا بقية من تلك الجذور الأولى دفينه حتى اذا مـــا أشرقت عليها شمس ذلك العصر الثالث امتدت وربت وكانت لها تلك الثمار الطيبـــة . وكما كان العصر الأول عصر بسطة فى السلطان . كان هذا العصر الثالث عصر بسطة فى العلم . ففيه بلغ النضج العلمى غايته .

" ولقد كان سلاطين الدولة البويهية مقبلين على العلم والأدب . لا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب فكان من وزرائهم وعمالهم وقضاتهم وكتابهم : ابن العميد والصاحب بن عباد وسابور ابن اردشير والمهلبى . هذا الى أنه كان من سلاطين آل بويه انفسهم من ذاع صيته فى الأدب والشعر " (٢) فكان عضد الدولـــة

---

(١) الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم ص ٦ .

(٢) لطائف المعارف — مقدمة المحققين .

(سنة ٣٧٢ هـ) مشاركا في فنون من الأدب فقرب اليه العلماء والكتاب . وقد ألف ابو اسحق الصابى كتابه (التاجى) فى أخبار آل بويه واتصل ببلاط هذا الخليفة جمهرة من الشعراء منهم : المتنبى والسلامى ،ولقد بلغ به شغفه بالشعر أن لو كان المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الأنبارى التى مطلعها :

علو فى الحياة وفى الممات * لعمرك تلك احدى المعجزات

وكان هو نفسه ينظم الشعر "(١) وقد ذكر له الثعالبى فى كتابه "يتيمة الدهر" شيئا من شعره .

كما كان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ ــ ٣٥٧ هـ) شاعرا ، وكذلك كان تاج الدولة .

وكان الى جوار الدولة البويهية فى العراق وفارس وخراسان ،الدولة السامانية فى تركستان تزخر بخارى بالأدباء والعلماء والشعراء ،وتفيض نيسابور المدينة التى ولد فيها الثعالبى بالمدارس . ونيسابور ورد ذكرها فى "الموسوعة العربية الميسرة" بأنها مدينة (٢٤٢٧٠ نسمة) شرق ايران ،شيدت فى مكان مدينة ساسانية قديمة . كانت قاعدة الدولة الطاهرية (القرن التاسع) ولد ودفن بها عمر الخيام وهى بلد أبى الفضل احمد بن محمد النيسابورى الملقب بالميدانى صاحب كتاب مجمع الأمثال ،وأبى منصور الثعالبى . "(٢)

ويقول ياقوت الحموى فى "معجم البلدان" "نيسابور : بفتح أوله ،والعامة يسمونه نشاوور وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمه معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها . "(٣)

وأورد ذكرها شهاب الدين النويرى فى "نهاية الأرب" قال "حكى عن عمر ابن الليث الصفار أنه كان يقول : كيف لا أقاتل عن بلدة حشيشها الريباس وترابها النقل وحجرها الفيروزج "(٤)

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص٤ (٢) الموسوعة العربية الميسرة/ ص ١٨٦٦
(٣) معجم البلدان /المجلد الثانى / ص ٣٥٦
(٤) نهاية الأرب فى فنون الأدب/ السفر الأول / ص ٣٦٣

ونيسابور عاصمة جزء من أربعة أجزاء من اقليم خراسان وما وراء نهر جيحون . وهذا الاقليم الواسع ازدهر في عهد الدولة السامانية وعظم حتى امتد من الصحراء الكبرى الى الخليج الفارسي ومن حدود الهند الى الفرات .

" والمقدسي يسمى أقليم خراسان وما وراء النهر " اقليم المشرق " وقد رحل الى هذا الاقليم في العهد الساماني وقال : انه أجل الأقاليم واكثرها أجلة وعلماء وهو معدن الخير ومستقر العلم وركن الاسلام المحكم وحصنه الاعظم ثم قال : وهو أكثر الأقاليم علما وفقها .

وللمذكرين به صيت عجيب ولهم أموال جمة ومذاهبهم مستقيمة ... وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة ... والغلبة في الاقليم لأصحاب أبي حنيفة .. ونيسابور رسوم حسنة فيها مجالس المظالم وبهذا الاقليم عصبيات بين الشيعة والكرامية وبين الشافعية والحنفية . وقد يراق في هذه العصبيات الدماء .ويدخل بينهم السلطان ... وقد أخرجت هذه البلاد مالا يحصى من رجال الحديث والفقه فعلى رأس المحدثين الامام البخاري وهو من بخارى .كما أخرجت نيسابور مسلم بن الحجاج النيسابوري مؤلف الصحيح المنسوب اليه " صحيح مسلم " (١)

وكما كان بين سلاطين آل بويه من أغرم بالعلم وأحب العلماء .كذلك كان بين السامانيين من أغرم بالعلم وأحب العلماء . والى جوار هاتين الدولتين : البويهية والسامانية .كانت الدولة الزيارية في طبرستان . وكان منهم شمس المعالي قابوس بن وشمكير " ٣٦٦ — ٤٠٢ هـ " الشاعر الأديب الكاتب .ذو البصر بالفلسفة والنجوم. وصاحب رسالة الاسطرلاب .

ثم كانت الدولة الغزنوية " التي غلب سلطانها محمود (٣٨٨ هـ — ٤٢١ هـ) على كثير من البلاد . ولكنه على هذا البطش كان يقدر العلماء ويجل الشعراء . لا ينتهي اليه علم بعالم أو شاعر الا بعث اليه يستقدمه . ومما يحكى عنه في ذلك أنه سمع أن في مجلس مأمون به مأمون .أمير خوارزم .جماعة من رجال العلم والفلسفة. منهم ابن سينا الفيلسوف والبيروني الرياضي المؤرخ وأبو سهل الفيلسوف وأبو الحسن

---

(١) ظهر الاسلام حـ١ ص ٢٦١ — ٢٦٧

الخمار الطبيب وأبو نصر الرياضي . وتتوق نفس محمود الى أن يضمهم اليه فى بلاطه فيكتب الى مأمون بذلك ، ولم يملك أن يرد طلبة محمود ، كما لم يملك أن يقض فى أمر هؤلاء الأعلام . فجمعهم اليه يستشيرهم ، فمنهم من أجاب ومنهم من اعتذر " (١)

وهكذا نجد فى هذه الفترة أن الدويلات الاسلامية قد تعددت وكان لكل دولة رئيسها ونظامها وجيوشها وسياستها وعاصمتها بعد أن كانت الخلافة فى قبضة الخليفة الذى كان يحكم العالم الاسلامى من بغداد " تفرق السلطان فى بيوت كثيرة وتوزع الحكم فاستوطن اكثر من عاصمة واضطربت أمور العالم الاسلامى والعربى بتأثير سياسات متضاربة متخاصمة مما أوهن نفوذ المسلمين وفل غرب سلطانهم " (٢)

—٢—

هكذا انفرط عقد العالم الاسلامى ، فصارت فارس والرى واصبهان والجبل فى أيدى بنى بويه ، وكرمان فى يد محمد بن الياس ، والموصل وديار بنى ربيعة وديار بكر وديار مضر فى أيدى بنى حمدان ، ومصر والشام فى يد محمد بن طغج الأخشيد ، وخراسان فى يد نصر بن احمد السامانى ، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ، ولم يبق للخلافة العباسية الا بغداد . " ولئن عد هذا ضعفا من الناحية السياسية فانه لا يعد ضعفا من الناحية العلمية ، فالمملكة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى كانت أعلى شأنا فى العلم من القرون التى كانت قبلها ، ولئن كانت الثمار السياسية فى القرن الرابع الهجرى قد تساقطت فالثمار العلمية قد نضجت فيه . الا أن الحالة الاقتصادية كانت على اسوأ مايكون ، فثروة الأمة ليست موزعة توزيعا عادلا ولا شبه عادل ، أموال تتدفق على الملوك والأمراء ومن يلوذ بهم ، وفقر مدقع لباقى أفراد الشعب . " (٣)

واذا رجعنا الى الحالة الاجتماعية فى القرن الرابع ، وجدنا الأدب كله بأنواعه صدى لهذه الحياة الاجتماعية . فلما أفرط الملوك والأمراء فى الظلم والاستبداد ومصادرة الأموال انقسم الشعراء الى قسمين : قسم يلهو معهم ، وينتفع بمالهم

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص ٦
(٢) الحياة الادبية فى الاندلس فى العصر العباسى الثانى ص ٦٨
(٣) ظهر الاسلام/ ط ١ / جـ ٢ / ص ١ — ٣٤

كالمتنبى والناشىء والخالديين وغيرهم وقسم تمنعه نفسه من الملق كأبى العـــــلاء فيتخذ خطة أخرى وهى الذم والقدح.

ونظرا لأن الحالة الاجتماعية كانت على هذا النحو فقد وجد المستجـــــدون الكثيرون، وكان منهم أدباء، ولهم لغة وطريقة، كلغة الادباتية اليوم، حكاهـــا لنا الثعالبى فى التيمية وقد كان له الفضل الأكبر فى تاريخ آداب المائة الرابعة (١).

وقد كان النتاج الأدبى فى هذا العصر من نظم ونثر صورة صحيحة للحيـــاة الاجتماعية فى غناها وترفها من جانب، وفقرها وبؤسها من جانب آخر وفى اضطراب الحالة السياسية والحالة الاجتماعية وفى حياة اللهو وحياة الجد وفى انحـــلال الاخلاق وانغماس الأدباء فيها، ونص بعضهم عليها الى غير ذلك من المظاهر.

" ولعل خير مايمثل أدب هذا العصر كتاب يتيمة الدهر للثعالبى، وربما كان أكبر من يمثل كتاب النثر ابن العميد وابن عباد والخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى وابو حيان التوحيدى، كما كان اكبر من يمثل الشعراء المتنبى وابن حجاج والشريف الرضى وابو العلاء المعرى والصنوبرى " (٢)

لقد كان من اعلام الكتاب من هم فى الطبقة العليا فى المجتمع كابن العميـــد وابن عباد والوزير المهلبى والاسكافى وزير السامانيين وابراهيم الصابى، فهؤلاء بحكم مركزهم وترفهم كان نتاجهم الادبى مترفا يتمثل فى التأنق فى الفن والترف فى الصناعة فأناقة الملبس والمأكل والمعيشة جديرة بأن تحمل أصحابها على التأنق فى الأدب هذا وقد تزاحم الكتاب والشعراء على ابواب قصور الملوك والأمراء.

" ان الكتاب هم السنة الملوك، انما يتراسلون فى جباية خراج أوسد ثغر أوعمارة بلاد أواصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو احتجاج على فئة، أو دعاء الى ألفة، أو نهى عن فرقة، أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشاكلها من جلائل الخطـــوب ومعاظم الشؤون وقد وسمتهم خدمة الملوك بشرفها وبوأتهم منازل رياستها " (٣)

وكانت تقع خصومات عنيفة بين الكتاب نشأت عن أطماعهم فى الاستئثار بالحظوة عند

---

(١) ظهر الاسلام / ط ١ / حـ ٢ ص ٩٥

(٢) ظهر الاسلام / حـ ١ /ص ١٣٢ــ١٣٥ (٣) نثر النظم وحل العقد /ص ٢

الوزراء والرؤساء والملوك . يقول الدكتور زكي مبارك " ومن اهم الجوانب التى تمثل الحياة العقلية فى ذلك العصر الخصومات العنيفة التى قامت بين الكتاب فقد قامت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم فى الحياة المادية فكانوا يمثلون غالبا طوائف من الافكار الدينية والسياسية يقومون فى الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفروضة فى العصر الحاضر وكان لهم من القوة ماكان للشعراء ، فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك من تقريبهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء فى الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك . " (١)

وأهم الخصومات التى وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمذانى والخوارزمى وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد .

وفى الرسالة التى كتبها بديع الزمان الى أبى نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ماكان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع فى المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ومن النبل عند الفقر : اذ " تسميهم ايام اللدونة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة " وقد كانوا كما قال : " ماتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا قل معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت أنوفهم .... الخ "

وفى تلك المنافسات الشديدة وتلك الدسائس الملعونة التى كانت تقع بين الكتاب دليل على جشعهم فى حب الحياة ، وفهمهم لها فهما ماديا يتناسب مع تلك العبقريات الفنية . " (٢)

وكانت المناصب المرموقة فى ذلك العصر لا يرقى اليها الا من كانت له قدرة ادارية وقدرة بلاغية وحتى يبلغ الكاتب هذه المنزلة والحظوة عند الملوك والأمراء كان لابد من أن يلجأ الى منافسة غيره من الكتاب والا بقى فى الطبقة الفقيرة بعيدا عن الخلفاء والأمراء لأن الناس فى هذا القرن كانوا ثلاث طبقات متميزة : " الطبقة الأولى طبقة الارستقراطيين من خلفاء ووزراء وتجار كبار وأشراف ، والطبقة الوسطى من تجار

---

(١) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / زكى مبارك / حـ١ ص ٢٤
(٢) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / حـ١ / زكى مبارك ص ٢٤ـ٢٥

متوسطين وملاك متوسطين ونحوهم ،وطبقة فقيرة وهى عامة الشعب من صغار الفلاحين وصغار العمال والعلماء الذين بعدوا عن الخلفاء والأمراء ." (١)

—٣—

خدمت الدولة البويهية العلم والأدب خدمة كبرى ،ومع أنهم فرس الأصل واكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ،فقد كانوا يتعصبون فى العلم والأدب للسان العربى .

وكان كثير من البويهيين أدباء مثقفين ثقافة واسعة أشهرهم فى ذلك عضد الدولة ،فكان يشارك فى عدة فنون منها الأدب ،وكذلك عز الدولة أبو منصور بختيار ، وتاج الدولة ابن عضد الدولة ،ولهم أشعار ورد بعضها فى " اليتيمة " .

وكان على حدود الدولة البويهية فى فارس الدولة الزيارية أول ملوكها مرد وايج بن زيار ،ملكت جرجان وطبرستان ،وكانت فى خصومة مع البويهيين، واشتهر من رجالها فى خدمة الأدب أمير كان كابن العميد وابن عباد فى أنه أديب كبير ومثقف واسع الثقافة ومشجع بمنصبه وجاهه للعلماء والأدباء وهو الأمير قابوس بن وشكمير وكان ابوه وشكمير وعمه مرد وايج ملكين من ملوك الرى واصبهان قبل بنى بويه ثم كان قابوس واليا على جرجان وطبرستان ولقبه الخليفة الطائع شمس المعالى ومع أنه كان جبارا قويا سفاكا للدماء الا أنه كان يحب العلماء والأدباء ويشجعهم . " وله جملة رسائل أدبية طبعت فى مصر تحت عنوان " كمال البلاغة " وهو فيها متأنق ،كل كلمة فيها توزن قبل أن توضع وكل جملة تقاس بالقياس الدقيق لتكون لفق اختها ،وروحه أقرب الى روح بديع الزمان منها الى ابن العميد وابن عباد ،وله المقطعات الشعريه كقوله .

خطرات ذكرك تستثير صبابتى * فأحس منها فى الفؤاد دبيبا
لا عضو لى الا وفيه صبابة * فكأن أعضائى خلقن قلوبا

وألف رسالة فى الاصطرلاب ،وقد مات محصورا فى قلعة وحمل تابوته الى جرجان فى مشهد عظيم كان قد بناه لنفسه سنة ٤٠٣ هـ ." (٢)

---

(١) ظهر الاسلام / حـ٢ / ص٣٤ (٢) ظهر الاسلام /حـ١ /ص٢٥٧ـ٢٥٨

—٤—

" واذا رجعنا الى الخصائص الأدبية في هذا القرن لنعرف مقدار تأثيرها في تفكير أدباء العصر ومقدار تأثرهم بها ، نجد أن النثر والشعر قد خضعا لسنن الحضارة والترف والاختلاط بالامم الأخرى غير العربية وبفلسفاتها وآرائها وآدابها ، وكان القرن الرابع بما زخر به من آثار الترف والرفاه وضروب الزركشة والزخرفة والتلوين ذا أثر كبير على الأدب بكلا فرعيه ، حيث نقله من جوء الفطرى الساذج واطاره القائم على الاهتمام بالروح والمعنى والخيال الواضح الأداء ، الى عالم الزخرفة والتصنيع والاهتمام بالتزويق والمظاهر اللفظية ." (١)

وكانت أظهر ميزة في ذلك العصر هي اجادة الوصف ، ولم يكن الوصف عندهم مما يأتي عفوا عند المناسبات الطارئة بل تعمدوا استقصاء الموضوعات الوصفية :
فأطالوا الحديث عن الأزهار والرياض والنبات والنسيم والرياح والليل والنجوم والجداول والغدران والأنهار والبحار والأحواض والقصور ومنازل اللهو ومجالس الشراب والنساء والغلمان والجوارى السود والقيان وآلات الطرب ومحاسن الشباب وأهوال الشيب والرعد والبرق والمطر والثلج والصحو والبلاغة والشعر والنثر والخيل والسيوف والنار والأفاعى والثعابين والطيور والأطعمة والفواكه والسكاكين والكؤوس والخواتم والحلى والقلائد والمحابر والأقلام والسفن والدواب والجيوش والأساطيل وأيام الصيف والشتاء والربيع، واطنبوا في وصف المعانى الوجدانية كما اطنبوا في وصف المرئيات فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها فوصفوا الحقد والبغض والكرم والنبل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من الهنات والعورات كل ذلك بطريقة مقصودة .

واننى لارى ان هذا الاتجاه في الوصف له مزايا وعيوب فمن تلك المزايا تنظيم الافكار وترتيب الأغراض وقوة التصوير في المحسوسات والمعنويات .

وقد لاحظت أن الدكتور زكي مبارك يرى " أنهم قد كونوا مدرسة وصفية لم توجد في العصور السابقة وأن المحدثين من الأدباء في عصرنا هذا قد تأثروا بالتعابير الوصفية الرائعة التى تمتاز بها هذه المدرسة الوصفية وأن النقاد المحدثين في مصر قد اعجبوا بقول السيد توفيق البكرى في وصف النساء " صدور كالاغريض أو صدور

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين / ص ١١

البزاة البيض " وهذه العبارة مأخوذة من قول الثعالبي في وصف آثار السرى الرفاء " كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض واجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح • " (١)

وكان كتاب ذلك العصر مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعا ولا خيالا طريفا الا اقتبسوه وأضافوه الى ثروتهم النثرية فكان للنثر — اكثر النثر — هذا الذى نحسه وتراه من التزام بالسجع في جميع الرسائل وتأنق في كتابة الأخوانيات والفكاهات وصور الحياة العامة •وامعان في المبالغة واكثار من التشبيه والاستعارة • وكان للشعر — اكثر الشعر — هذا الذى نلمسه ونشاهده من اهتمام بالتصنيع والجناس والتكوين والزخرفة اللفظية وصراحة في الكدية والتسول وتكشف في المجون والخلاعه •وتغزل مفضوح بالجوارى والغلمان ووصف لمظاهر الترف والنعيم •

فأدب هذا العصر تقدم خطوات في السجع والمحسنات اللفظية والمبالغة والتهويل • " فالصابي وابن عباد أفرطا في السجع وكادا يلتزمانه •هذا وأمعن الأدباء في الاستعارات والمجازات وأفرطوا في التشبيهات وتفننوا في تزيين الكتابة •

وهؤلاء الأدباء الذين تبوأوا مراكز حساسة في مجتمعاتهم نراهم " قد خلقوا ذوقا عاما في الأدب يستحسن طريقتهم •فجارى الأدباء هذا الذوق كما نراه عند الثعالبي في كتبه فيما ينشئ وفيما يروى •

فالتزاويق اللفظية صدى للتزاويق في الحياة الاجتماعية ونرى كثيرا من الأدب في هذا العصر شكلا تنقصه الروح • كما كانت الحياة الاجتماعية كذلك شكلا بلا روح •

ولعل هذا نشأ من كثرة المجالس الأدبية غير الرسمية في منازل الأصدقاء والأغنياء والأدباء وجههم للملح والنتادر ووصف ما يعرض• فقد اكثروا من المقطوعات حتى زاحمت القصائد " (٢) • نرى نماذج منها كثيرة في كتب الثعالبي • هذه ناحية •وناحية أخرى هي قوة أثر الرقيق في الناحية الاجتماعية وانعكاس صورتها في الأدب فقد ملئ

---

(١) زهر الآداب / مقدمة الطبعة الثانية / زكي مبارك / حـ١ ص١٩
(٢) ظهر الاسلام / حـ١ / ص١٣٤

أدب ذلك العصر بوصف القيان والجوارى البيض والسود والغلمان حتى لا نكاد نجد شاعرا الا وله شعر فى هذا الباب.

—٥—

" أما الغزل بالغلمان فقد كان من الأغراض التى جدت فى القرن الثانى الهجرى كنتيجة لشيوع عادة اللواط بين طائفة من المجتمع كأبى نواس واضرابه من المتهتكين ، وقد تسربت هذه العادة الى المجتمع الاسلامى عن طريق الفرس بصورة تدريجية . ومهما يكن فقد شاعت عادة اللواط فى هذا العصر كغيرها من العادات الفارسية بحيث أصبح حب الغلمان والتولع بهم شأن العامة والخاصة . "(١)

وهكذا كانت الطامة الكبرى عندما استشرى هذا الداء فى المجتمع الاسلامى فى مختلف طبقاته ، ويعلق الاستاذ احمد أمين قائلا " والطامة الكبرى ماغشى المجتمع من حب الغلمان ظهر صداه فى الأدب "(٢)

على هذا النحو انجرف الأدباء فى هذا التيار فأكثروا من القول فى هذا الغرض حتى ليندر أن نجد بينهم من لم يقل شعرا فى غلام . ومن الغريب فى هذا الأمر أن ذوى المناصب الكبرى لم يكونوا يتحرجون من التغزل بالغلمان واظهار العشق لهم والولع بهم ويذكر الاستاذ احمد أمين أسماء بعض الذين طرقوا هذا الباب وهم :
" أبو تمام والبحترى والصنوبرى وكشاجم وأبو الفتح البستى وابن حجاج وابن سكرة والقاضى التنوخى والثعالبى وأبو فراس والصابى حتى الوزير المهلبى لم يمنعه منصبه أن يقول فى مملوك تركى جميل قاد جيشا لمحاربة بنى حمدان .

ظبى يرق الماء فى * وجناته ويروق عوده
ويكاد من شبه العذا * رى فيه أن تبدو نهوده

بل نرى من هذا ظاهرة غريبة ، وهى عدم تحرج ذوى المناصب الكبيرة كالوزراء والقضاة من كثرة القول فى هذا الباب مما يدل على أن الرأى العام قد فتر استنكاره له وعده من باب الظرافة والمجون الا فى الأوساط المتشددة "(٣)

---

(١) الأدب فى ظل بنى بويه ص٢٦٦ (٢) ظهر الاسلام حـ ١ ص١٣٥
(٣) ظهر الاسلام حـ١ ص١٣٩

وهكذا نجد أن ظاهرة المجون والخلاعة واللهو قد تفشت في تلك المجتمعات واستشرى داؤها وقل دواؤها فأنتجت شاعرين هما في شعرهما لا يستتران من العقل بسجف ولا يبنيان جل قولهما الا على سخف وهذان الشاعران هما ابن حجاج وابن سكرة فابن حجاج قال فيه الثعالبي : " انه في شعره لا يستتر من العقل بسجف ولا يبني جل قوله الا على سخف ..... يمد يد المجون فيعرك بها آذان الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . " (١)

ومثله ابن سكرة الذي قال فيه الثعالبي : " فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد . " (٢)

ومع هذا السخف الذي نراه في شعرهما فقد جرى شعرهما في الناس ورواج هذا الشعر أكبر دليل على ما وصل اليه الانحلال الخلقي في هذا المجتمع .

— ٦ —

وظهرت طائفة في البلاد تستجدي بأدبها وكان من صداها في هذا العصر ظهور نوع من الأدب جديد ، وهو مقامات بديع الزمان ثم الحريري ، وكان بديع الزمان قد اتصل بالأمير محمد بن منصور فأكرمه ونزل بنيسابور سنة ٣٨٢ هـ فأملى بها مقاماته المشهورة ، وكانت الخصومة بينه وبين أبي بكر الخوارزمي أيام اقامتهما في نيسابور ، وقد قص البديع هذه الخصومة في رسائله التي تدل على ما عرف عن البديع من جودة حفظ وحضور بديهة وقوة بيان ، وكان له الفضل الكبير في مقاماته التي حذا حذوها الحريري .

— ٧ —

وكان في اقليم خراسان وما وراء نهر جيحون حركة أدبية قوية اكثر الشعراء فيها من المقطوعات في المناسبات جريا على أساليب العراق وفارس ، وكان ملوك السامانيين ووزراؤهم يشجعون الحركة الأدبية والعلمية . وقد نبغ في الدولة السامانية من الشعراء كثيرون عدهم الثعالبي في اليتيمة ونقل طرفا من أشعارهم ، ولعل من أحقهم

(١) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣٠

(٢) يتيمة الدهر جـ ٣ ص ٣

بالذكر محمد بن موسى البلخى وكان يقال : " أخرجت بلخ أربعة : أبا القاسم الكعبى فى علم الكلام وأبا زيد البلخى فى البلاغة والتأليف وسهل بن الحسن فى شعر الفارسية ومحمد بن موسى فى شعر العربية " (١) ومما امتاز به أنه كان مولعا بنقل الأمثال الفارسية الى العربية نظما وقد مجد الثعالبى بخارى فى الدولة السامانية بقوله :

" كانت بخارى فى الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر . " (٢)

وفى هذا الاقليم لمع نجم علم من أعلام النثر هو الأديب الكبير ابو بكر الخوارزمى كما لمع نجم بديع الزمان الهمذانى .

وقد نبغ غيرهما من العلماء الأعلام فى مختلف مجالات النشاط الفكرى والفنى ممن لا يحصون كثرة ولا يدركون عمقا ، ومن الأدباء والنقاد من انتهت اليهم معالم العبقرية وخصائص الأدب والفن ، واجتمعت فيهم خلاصة المعارف والأذواق حتى كان للفكر العربى صرح ثابت الدعائم قوى الأركان ينشر نوره شرقا وغربا ويشارك فى بناء الحضارة الانسانية مشاركة فعالة بل لا أجاوز الحد اذا قلت أن هذا الفكر الذى حمله العرب كان السراج الوهاج الذى يبعث النور فى سائر الأرجاء .

— ٨ —

وقد اصبح المتأدبون فى القرن الرابع يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولا فنية يجد القارئ لذة ومتعة حين يراها وقعت موقعا حسنا . وفى رأيى أن لهذا الزخرف قيمة كبيرة فى فهم ذلك العصر لأنه يدلنا على أن أهل ذلك العصر عرفوا لغتهم معرفة جيدة ووقفوا على أسرارها .

وهكذا نجد تأنقا شديدا فى الاسلوب ومبالغة مفرطة فى المعانى أما التأنق فى الاسلوب فمصدره الاسراف فى استعمال السجع والمحسنات البديعية كالجناس والطباق ، اذ لم يكد يبدأ القرن الرابع حتى رأينا السجع يعم جميع الرسائل السلطانية مصحوبا بالجناس والطباق فكان ابن العميد أول من نحا هذا النحو فى كتاباته ثم

---

(١) يتيمة الدهر ج٣ / ص٢١ (٢) يتيمة الدهر ج٣ / ص٣٣

تابعه على ذلك بقية الكتاب كالصاحب والبديع والخوارزمي والصابي والثعالبي وغيرهم .

أما المبالغة المفرطة في المعاني فقد ظهرت في الاستعارات البعيدة التشبيهات وفي عبارات التفخيم والتعظيم والتهويلات .

ويقول الدكتور محمود غناوى الزهيرى " ومن الغريب أن يسرى هذا الذوق الأدبي الى المؤلفين فيسيطر على لغة التاليف في هذا العصر ، فقد كان المؤلفون ينحون في كتبهم نحو الأدباء في كتاباتهم من حيث العناية بالحلية اللفظية والمبالغات والتهويلات مما أدى الى غموض المعاني ، بل الى افسادها في كثير من الأحيان " (١)

— ٩ —

أما من الناحية العقلية وانتشار الثقافة ، فقد كان العصر متقدما حقا ، تم فيه امتزاج الثقافات ، تثقف الفرس والهنود الثقافة العربية وانتجوا فيها ، وانتشرت الثقافة اليونانية في البلاد وشجع الخلفاء الطب والتنجيم ، ونشطت حركة الترجمة من اليونانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية .

وفي ظل هذا العصر ظهر من أئمة اللغة أبو منصور الأزهرى من هراة وقد رحل الى العراق وأخذ عن أئمة علمائها كابن دريد ، وطاف في أرض العرب يجمع اللغة منهم وقد صنف في اللغة كتاب التهذيب في عشرة مجلدات وكذلك الجوهرى صاحب الصحاح وهو من فاراب سافر الى بلاد العرب وجمع ما استطاع من اللغة . وقد شارك في بناء ذلك الصرح رجال لا يتسع المجال لذكرهم وقد أظلهم لواء الاسلام ووحدتهم أواصر العقيدة ، متخذين من كتاب الله اماما ومن الكعبة قبلة ومن العربية لسانا ، ومن هذا المنطلق علينا أن نحيي هؤلاء الرجال تقديرا لأعمالهم وأخص بالذكر رجلنا الذى نترجم له : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، دخل الى هذا العصر والمعاجم اللغوية قد استقرت على منهج، والانشاء قد تميزت له أساليب احتذاها اللاحقون، والفلسفة قد ادركت كمالها ، والطب

---

(١) الأدب في ظل بني بويه /ص ٢٩٦ — ٢٩٧

والطبيعيات قد ثبتت أسسها ، والموسوعات قد ظهرت بواكيرها ، والشعر قد تحلل من كثير من تقاليده الأولى ونهج نهجا جديدا فذاق ابو منصور من هذا كله وتفتح عقله على هذا كله فتأثر نثره وشعره بالخصائص الأدبية فى عصره ، وكان لمذهب التصنيع الأدبى صداه المدوى فى نفسه ، وانعكاساته الواضحة على أدبه ، حتى عده النقاد والأدباء فريد عصره ووحيد دهره .

* * *

:: الفصل الثانـــى ::

" حياة الثعالـــــبى "

قيض الله للغتنا العربية رجالا وقفوا أنفسهم على خدمتها ، وتوافروا عليهـــا يجمعون تراثها ويشاركون فى بناء صرحها وحضارتها الساحقة السامية ، وقد وثـب الاسلام بها وثبة كبرى ، حيث أصبحت لغة الدين الجديد ، وفرضت نفسها فرضـا على أمم متعددة وثقافات متباينة ،استطاعت بعد ذلك أن تهضم هذه الثقافات ،ولما جاء العصر العباسى الثالث أصبحت اللغة العربية لغة المعارف المتعددة ،وأغدق السلاطين والولاة الهبات والعطايا على الادباء والشعراء ، مما رغب الناس فـــى الدراسة والبحث ، وكان من ثمار هذا العصر أبو منصور الثعالبى .

الثعالبى : هى نسبة ستة من أعلام العرب هم :ـ

أولا : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل صاحبنا الذى نترجم له .

ثانيا : أبو منصور الحسين بن محمد المرغنى نسبة الى مرغن من أعمال الغور فـــى أفغانستان .. " مؤرخ عربى لا نعرف عنه الا انه أهدى كتابه " غرر السير " الى نصر أخى محمود الغزنوى ، ونشر (زوتنبرج) الجزء الخامس(باريـــس سنة ١٩٠٠م) وحاول فى المقدمة التى صدر بها هذه الطبعة أن يثبـت أن هذا الكتاب للثعالبى (صاحبنا) ، ولكن أدلته ليست مقنعة ." (١) والحقيقة أن أدلته سوف تصبح مقنعة عندما نسندها بأدلة أخرى أشد اقناعا وذلك حين نعرض لآثار الثعالبى .

ثالثا : " عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجعفرى الجزائرى : فقيه من أهل شمال أفريقية ولد فى الجزائر عام ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م " (٢)

رابعا : " الشيخ الأجل أحمد بن على بن الحسين الثعالبى من مشائخ رئيـــس المحدثين محمد بن على ابن بابويه ". (٣)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية / مجلد ٦ ص١٩٨

(٢) المصدر نفسه ص١٩٩

(٣) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧

خامسا : "أبو بكر محمد بن بكر بن الفضل بن موسى الثعالبي الفقيه من أهل مصر المتوفى سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة ." (١)

سادسا : "عبد العزيز الثعالبي : ولد في تونس الخضراء عام ١٨٧٣ م ، ونشأ في كنف جده عبد الرحمن الثعالبي من اقطاب الجزائر وسادتها المشهورين ، فورث عنه اخلاقه ومبادئه ، وكان عبد العزيز من اخطب الخطباء ، وكان صحفيا وكاتبا ومصلحا اجتماعيا " (٢)

لماذا لم يفرد جده بالذكر قبله ؟

اسمه ولقبه :

ونعود الى صاحبنا الذي نكتب عنه وهو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، وقد كني بأبي منصور ولقب بالثعالبي ، وهذا اللقب اختلف فيه الذين أرخوا له وذكروه في كتبهم ، فابن خلكان ذهب الى "انه كان هو بنفسه فراء " (٣)

ومحققو "فقه اللغة " للثعالبي قالوا : "لقب بالثعالبي لأنه كان فراء يخيط جلود الثعالب ويعملها ." (٤)

ومحمد كردعلي ذكر أن "هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها ، وقيل له ذلك لأنه كان فراء ." (٥)

والحافظ بن كثير يذكر أنه "سمي الثعالبي لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب " (٦)

وابن الحنبلي يقول : "ولنسبته الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراء ." (٧)

والشيخ كمال الدين الدميري يقول : "الثعالبي منسوب الى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء ." (٨)

---

(١) الأنساب ٣ : ١٣٢
(٢) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ص ٤٢٢ و ٤٢٣
(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٤) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي / مقدمة المحققين ص رقم (د)
(٥) كنوز الأجداد ص ٢٣٣
(٦) البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٤٤
(٧) شذرات الذهب حـ ٣ ص ٢٤٧
(٨) حياة الحيوان الكبرى حـ ١ ص ١٧٨

ومحقق " ثمار القلوب " للثعالبي ينقل ما قاله المؤرخون من " أن نسبته الى الثعالب ترجع الى خياطة جلودها وعملها ، أو قيل له ذلك لأنه فراء " (١) .

ونقل أيضا الدكتور زكي مبارك عن المؤرخين فقال : " والثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب . قيل له ذلك لأنه كان فراء قبل أن يظهر أدبه ويعلو نجمه ويبعد صيته " (٢) .

والدكتور مندور أخذ يربط بين مهنته وبين طريقته في تأليف كتبه (٣) .

مولـــده :

ولد أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري في نيسابور وهي يومئذ قلعة من قلاع العلم والمعرفة ، سنة خمسين وثلثمائة للهجرة أجمع على ذلك كل من أرخ له أو ذكره ، ولم يخالف في ذلك واحد منهم ، يذكر ذلك "العباسي" في " معاهد التنصيص " (٤) وابن الانباري في " نزهة الألبا " (٥) وابن خلكان في " وفيات الأعيان " (٦) وابو الفدا في " المختصر في أخبار البشر " (٧) والحافظ بن كثير في " البداية والنهاية " (٨) والصفدي في " الوافي بالوفيات " (٩) وابن قاضي شهبة في " طبقات النحاة واللغويين " (١٠) وابن العماد الحنبلي في " شذرات الذهب " (١١) والحافظ الذهبي في " العبر في خبر من غبر " (١٢) وصدر

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي / التمهيد للمحقق ص ٣ ، ٤ .
(٢) النثر الفني ٢ : ١٧٩ .
(٣) النقد المنهجي عند العرب ص ٣١٣ .
(٤) معاهد التنصيص حـ ٢ ص ٩٣ .
(٥) نزهة الألبا ٣٦٥ .
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ .
(٧) المختصر في أخبار البشر .
(٨) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ .
(٩) الوافي بالوفيات حـ ١٩ .
(١٠) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧ .
(١١) شذرات الذهب حـ ٢ ص ٢٤٧ .
(١٢) المعبر في خبر من غبر ٢ : ١٧٢ .

الدين بن معصوم المدنى فى " انوار الربيع " [١] وطاش كبرى زادة فى " مفتاح السعادة " [٢] ومحمد كرد على فى " كنوز الأجداد " [٣] والبغدادى فى " هدية العارفين " [٤] ، وتابعهم على ذلك المحدثون .

أصلـــه :

وقع الخلاف فى تحديد أصله ، فقد اغفل القدماء التعريف بأصله ، واختلف فى ذلك المحدثون ، فقد ذهب الحوفى الى أنه فارسى الأصل . " [٥] وذكره أحمد لواسانى فى قائمه لأسماء أعلام فارس . " [٦]

وأدرجه الدكتور رضا زادة شفق فى " تاريخ الأدب الفارسى " ضمن قائمة المشاهير العلماء فى العصر الغزنوى وقصد أنه من أصل فارسى . " [٧]

ويقول محمد كرد على " والغالب أنه من أصل عربى " [٨]

ويأتى بعد هؤلاء جميعا الاستاذ محمود الجادر فيفند آراء من قالوا بأنه فارسى الأصل ، ويقطع بأنه من أصل عربى ، فيسوق الأدلة والبراهين لاثبات ذلك ، فيقول : " لو أننا استقصينا الحقيقة فى مظانها لوجدنا مايكاد يقطع بأن الرجل عربى الاصل . ويورد قول الثعالبى فى حديثه عن أبى القاسم اسماعيل بن احمد الشجرى : " ومن ملحه قوله وهو منقول عن بيتين بالفارسية للأعاجم " . وقول الثعالبى أيضا فى حديثه عن أبى الحسن الاغاجى : " هو أشهر فى شعراء الفارسية وفرسانهم من الهجرة . " ان اشارته الى (الأعاجم) و (شعراء الفارسية وفرسانهم) بضمير الغائب لتدعو الى التشكيك فى الرأى القائل بأنه من أصل فارسى ، فلو كان الرجل فارسيا لاستغنى عن بعض كلامه ، وبقى المعنى مستقيما . فهو يستطيع أن يقول " هو منقول عن الفارسية " فى النص الأول و " هو أشهر فى الشعراء والفرسان من الهجرة " فى النص الثانى .

---

(١) انوار الربيع ١ : ١٧٢
(٢) مفتاح السعادة حـ ١ ص ٢٦٢ .
(٣) كنوز الاجداد ٢٣٣
(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٥) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ص ٢١٩
(٦) نظرات جديدة فى تاريخ الأدب ص ٢٩٤
(٧) تاريخ الادب الفارسى ص ٦٣
(٨) كنوز الأجداد ص ٢٣٣

ويسوق دليلا آخر أوضح من سابقه واكثر اظهارا للحقيقة ،فيورد قول الثعالبي في أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : " من أعاجيب الدنيا ،ذلك أنه من الفاراب أحدى بلاد الترك ، وهو امام في علم لغة العرب " فيعلق الجادر قائلا : ألا ترى أن الثعالبي لو لم يكن عربيا ماتعجب من كون الجوهري الأعجمي اماما في لغة العرب ، وهو نفسه امام فيها ؟ بهذا يقوم لدينا الدليل على عربية الرجل . " (١)

وأنا أؤيد رأي الاستاذ (الجادر) بأن الثعالبي عربي الأصل دون أن يشير شكي في أصله استشهاده بعدد من النصوص الفارسية في بعض كتبه (٢) ،أو افادته من اللغة الفارسية في بعض معانيه الشعرية ، وما الى ذلك من مظاهر أملتها البيئة عليه ، فليست معرفة المرء لغة قوم دليلا مقنعا على أنه منهم .

نشأته ورحلاته :

لم يكن صاحبنا من بيت رفيع ،أو صاحب حسب يتطاول به ،ويصل الى المجد عن طريقه ، وانما كان من بيت يشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب ،فأرسلته اسرته الى الكتاب حيث تلقى أول ثقافته ، وتخرج ابو منصور في الكتاب ليجد نفسه أمام أحد أمرين : اما أن يشتغل بمهنة أبيه فيعيش مغمورا ، واما أن يعمل في المدارس المنتشرة في بلدته ، وكان ان اختار الطريق الثاني فعمل مؤدبا للصبيان . " (٣)

ولما كانت ثقافته محدودة في أول الأمر ،لم تساعده ليجد منزلة عالية بين هذا الحشد الضخم من العلماء الموموقين الذين كانت تعج بهم نيسابور ،لهذا عقد العزم على أن يصل الى ماكان يصبو اليه ، فاتصل بالخوارزمي وأخذ عنه وتثقف على آثار من سبقوه من العلماء والادباء واخذ ينهل من كتبهم ، وساعده على ذلك الامير أبو الفضل الميكالي الذي فتح له مكتبته . وهكذا هيأت له الظروف سبيل اللحاق بركاب الأمراء وخدمتهم بكتبه ، وقد مهد له علمه وأدبه الطريق فصادق أصحاب الأدب والجاه ، ومشى في ركاب السلاطين والوزراء وتفيأ ظلالهم ، واتيح لابي منصور من المراجع واسباب الثقافة مالم يتح لغيره من مؤرخي الأدب ، فلا غرو أن نراه وقد

---

(١) الثعالبي ناقدا واديبا ص ٢٠ ، ٢١

(٢) وردت نصوص فارسية في يتيمة الدهر ٣ : ٣٣٩ ، ٤٠ : ١٤٩ وثمار القلوب ١٨٨ ولطائف المعارف ٩٠

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧

أصبح عملاقا بين ادباء عصره " وقد رزق أبو منصور حافظة قوية وذكاء طيبا استطاع به أن يجنح الى التخصص في كتبه ودراساته ، فهو يفرغ الى فرع من فروع الفن فيجمع مادته ويدرسها ويقسمها ثم يقدمها اليك في ثوب قشيب ،فلا تنتقل الا الى زهرة فواحة ، أو روض أريج . "(١)

ولقد قدرابو منصور فوجد أنه غير بالغ ماكان يتمناه من الشهرة والمال ان هو ظل مقيما في نيسابور ، فرحل الى (بخارى) ، وكان ذلك في أيام الأمير نوح بن منصور السامانى ، ولكن الثعالبى لم تدم اقامته بها مدة طويلة ، " لأن (بغراخان ايلك) ملك الترك هاجمها ودخلها وهرب(نوح) منها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة "(٢) فعاد أبو منصور الى نيسابور بخفي حنين .

واذا كان ابو منصور قد اخفق في الحصول على المال من رحلته هذه ،فقد ربح ربحا غير منظور عندما لقى افاضل الادباء في بخارى كالمأمونى وأبى منصور سعيد بن أحمد البريدى وأبى بكر محمد بن عثمان النيسابورى الخازن وأبى الحسن الافريقى المتيم . "(٣)

وعند عودته الى نيسابور أتاحت له الفرصة للتعرف على بديع الزمان الذى ملأ نفسه اعجابا وأفاد منه كثيرا ، فقد وصفه بقوله : " هو أحمد بن الحسين ،بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ،وفرد الدهر ، وغرة العصر ،ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ،وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ،وقوة النفس "(٤) وفي هذه الفترة التقى صاحبنا بأديب آخر هو أبو الفتح على بن محمد البستى (٥) ، وقال أبو منصور في ترجمته : " وجمعتنى واياه صلة الأدب التى هى اقوى من قرابة النسب "(٦) وجرت بين الأديبين الصديقين رسائل شعرية منها مايقوله أبو

---

(١) التمثيل والمحاضرة للثعالبى /مقدمة المحقق ٥ ، ٦ .
(٢) الكامل في التاريخ ٩: ٩٥ ،٩٦
(٣) ترجم لهم في يتيمة الدهر ٢: ٢٤٣ و ٤ : ٨٤ ،١٥٧
(٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦
(٥) ترجمته في يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٢
(٦) اليتيمة ٤ : ٣٢٠ ،أحسن ماسمعت ٤٣ ،لطائف المعارف ٢٠٦ ، خاص الخاص ٤٢ .

الفتح البستى فى صاحبه الثعالبى :

قلبى رهين بنيسابور عند أخ * ماmثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف اخلاق مهذبة * من الحجا والعلا والظرف تنتسخ (١)

وكانت رحلة أبى منصور الثانية الى جرجان بدعوة من صديقه المؤرخ المشهور أبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى صاحب كتاب (اليمينى) ونائب شمس المعالى قابوس بن وشكمير ، فدعاه هذا لزيارة سيده فى جرجان ، وكان ذلك سنة احدى وتسعين وثلاثمائة للهجرة . ومثل أبو منصور أمام الامير يهنئه بعودة ملكه اليه بقصيدته التى مطلعها من البسيط :

الفتح منتظم والدهر مبتسم * وظل شمس المعالى كله نعم (٢)

ثم قدم له كتابه " المبهج " فأكرمه الامير ، وقد ذكر ذلك ابو منصور نفسه فى كتابه " المبهج " بان الامير اعطاه حقه ووفاه مهره ، يقول فيه : " وقد كنت حين وردت حضرة الامير السيد شمس المعالى ، خدمت به مجلسه حرسه الله تعالى وآنسه ، فجمع عليه يديه ، وشغل به لحظه ، واعطاه حقه ، ووفاه مهره . " (٣)

وعاد من رحلته هذه بعد أن أغدق عليه الامير من المال " مستصحبا به الامان من الزمان " (٤) وفى نيسابور عندما هزم اميرها ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين اسماعيل بن نوح السامانى ، دخل الثعالبى عليه مهنئا بقصيدته التى مطلعها (٥) (من الطويل) :

تهلجت الايام من غرة الدهر * وحلت باهل البغى قاصمة الدهر

فاكرم الامير شاعرنا الثعالبى ، وتوطدت العلاقة بينهما ، وقد خدمه ابو منصور بكتابين " الاقتباس " و " أجناس التجنيس " واصبح الثعالبى من المقربين لدى الأمير .

وفى سنة احدى واربعمائة أصاب القحط خراسان " (٦) ، فاضطر الثعالبى الى السفر مرة ثالثة ، وكانت وجهته هذه المرة الى (اسفرائين) ، واستقبله فيها أبو

---

(١) ظهر الاسلام حـ١ ص ١٧٠
(٢) اليمينى للعتبى / ورقة ١٣٣ وجه
(٣) المبهج للثعالبى : المقدمة ٢
(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ٤
(٥) اليمينى للعتبى /ورقة ١٠٤ وجه وظهر
(٦) الكامل فى التاريخ ٩ : ٢٢٥

العباس الفضل بن على الذى قال فى ترجمته فى (اليتيمة) : " ومن حسن أثره ويمن نقيبته أن اسفرائين حرم آمن وجنة عدن عامرة ." (١)

ولكنه سرعان ما رحل عنها لينعم مرة أخرى بحضرة الامير شمس المعالى قابوس وليخدمه بكتابه " التمثيل والمحاضرة " (٢) . ثم ارتحل الى الجرجانية ليلتقى بالأمير أبى العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه . وكان بلاطه يضم أجل علماء العصر كابن سينا والبيرونى وابى الريحان . ونظم الثعالبى عدة قصائد فى مديح الأمير خوارزم شاه " (٣) وخدمه بكتبه " الملوكى " و " المشرق " و " الطرائف واللطائف " و " نثر النظم وحل العقد " و " الكناية والتعريض " .

وكما أهدى الثعالبى خوارزم شاه كتبا . اهدى وزيره أبا عبد الله محمد بن حامد (٤) كتابين هما " تحفة الوزراء " و " أحسن ماسمعت " .

ثم سافر من " الجرجانية " الى " غزنة " محملا بالهبات والعطايا من الأمير ووزيره " (٥) وهناك فى (غزنة) اتصل بالسلطان يمين الدولة محمود بن ناصر الدين سبكتكين الغزنوى الذى استدعى بعض العلماء والادباء الذين كانوا فى بلاط الامير خوارزم شاه مأمون بن مأمون . وللثعالبى قصيدة فى مدح السلطان يمين الدوله (٦) . مطلعهـا (من السريع):

ياخاتم الملك وياقاهر الـ * أملاك بين الأخذ والصفح

وقدم له كتابه " لطائف المعارف " (٧) .

ويبدو أن أبا منصور لم ينل ماتمناه عند السلطان . فلجأ الى أخيه الأمير أبى المظفر الذى اكرمه . ثم التقى هناك فى (غزنة) بالشيخ أبى الحسن محمد بن عيسى الكرجى الذى كتب له كتابه " تحسين القبيح وتقبيح الحسن " (٨) . ثم ترك غزنة

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٧ (٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص ٦
(٣) اللطائف والظرائف ٦٤ ،أحسن ماسمعت ١٨٤ (٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨
(٥) اللطائف والظرائف/ المقدمة ٥ ،أحسن ماسمعت ١٩٢
(٦) ثمار القلوب للثعالبى ٣٥ (٧) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٢
(٨) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٧

الى (هراة) ،ولم تطل اقامته هناك بل غادرها راجعا الى نيسابور مسقط رأسه ، وزار صديقه القديم أبا الفضل الميكالى الذى أشار عليه بتأليف كتاب فى اللغه ،وفتح له مكتبته ليأخذ من الكتب مايريد ،فألف كتابه " فقه اللغة وسر العربية " وقدمه الى أبى الفضل "(١) .

وعكف فى شيخوخته على تأليف ذيل لكتابه " يتيمة الدهر " سماه " تتمة اليتيمة " أورد فيه تراجم كثير من حاشية السلطان مسعود بن السلطان محمود من الادباء ، ويبدو أن العمل فى هذا الكتاب استغرق بقية عمره بعد أن شاخ وهرم ، وصرح بذلك فى كتابه " تتمة اليتيمة " نفسه(٢) .

اتصالاته :

من خلال اقامته بنيسابور وتنقله بين الدويلات الاسلامية المتفرقة اتصل بطائفة من رجال الأدب والملك فى عصره ، منهم الأمير ابو الفضل الميكالى والأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه والسلطان قابوس بن وشمكير (شمس المعالى) والسلطان محمود بن سبكتكين (يمين الدولة) وابو الفتح البستى وسهل بن المرزبان وغيرهم واليك لمحة عن حياة كل واحد منهم :

١ـ الأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالى :

وقد ذكرته أولا لأنه اكثر اتصالا والتصاقا به لدرجة أنه أصبح صديقا له ، وهو من اسرة قديمة العهد بالمجد ، وهو أشهر اعلامها ،ذكره ابن شاكر الكتبى ،قال : " كان أوحد خراسان فى ذلك العصر أدبا وفضلا ونسبا ، حسن الخلق ، مليح الوجه والشمائل ، كثير القراءة ، دائم العبادة ، سخى النفس ، وله من التصانيف كتاب (المنتحل) ، وكتاب (مخزون البلاغة) ديوان رسائله ، ديوان شعره ، كتاب (ملح الخواطر ومنح الجواهر) ومن شعره :

---

(١) فقه اللغة ١٦

(٢) تتمة اليتيمة ١ : ٢٦ و ٢٨ و ٣١ و ٤٥ و ٧٣

اذا ماجاد بالأموال شـــنى * ولم تدركه فى الجود الندا مـه
وان هـجست خواطره بجمـــع * لريب حوادث قال الندى مـــه (١)

وذكر له الحصرى فى " زهر الاداب " فصلا من كتاب الى أبى منصور الثعالبى :

" وصل كتاب مولاى وسيدى أبدع الكتب هوادى واعجازا ، وابرعها بلاغة واعجازا ، فحسبت الفاظه درالسحاب ، أو أصفى قطرا وديمة ، ومعانيه در السخاب ، بل أوفى قدرا وقيمة ، وتأملت الابيات فوجدتها فائقة النظم والوصف ، عبقة النسيم والعرف فائزة بقداح الحسن والظرف ، مالكة لزمام القلب والطرف ، ولا غرو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاح ، كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح " (٢)

ولنسمع أبا منصور يصفه قائلا : " من أراد أن يسمع سر النظم وسحر الشعر ورقية الدهر ، ويرى صوب العقل وذوب الطرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ماأسفرعنه طبع مجده ، وأثمره عالى فكره من ملح تمتزج بالنفوس لنفاستها وتشرب بالقلوب لسلاستها :

قواف اذا ما رواها المشــــوق * هزت لها الغانيات القـــدودا
كسون عبيدا ثياب العبيــــد * وأضحى لبيد لديها بليـــدا

وأيم الله ما مر يوم اسعفنى فيه الزمان بمواجهة وجهه ، واسعدنى بالاقتباس من نوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسودد تنتثر من شمائله ، ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من الحاظه ، وانتهبت فضائل الفوائد من الفاظه ، الا تذكرت ماانشدنيه أدام الله تاييده لابن الرومى :

لولا عجائب صنع الله ما نبتـــت * تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

وقول الطائى :

فلو صورت نفسك لم تزدهـــا * على مافيك من كرم الطبـــاع

وقول كشاجم :

ماكان أحوج ذا الكمال الـــى * عيب يوقيه من العــــــين

---

(١) فوات الوفيات حـ ٢ ص ٥٢
(٢) زهر الآداب حـ ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩

وريحت بقول أبي الطيب :

فان تفق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه بيان أبي اسحق الصابي حيث يقول للصاحب " ورثة الله اعمارها كما بلغه في البلاغة أقدارها "

الله حسبي فيك من كل ما * تعود العبد على المولى

فلا تزل ترفل في نعمة * انت بها من غيرك الأولى (١)

هذا وكانت لأبي الفضل آثار كثيرة لم يبق منها الا شذرات متفرقة في (اليتيمة) و (ثمار القلوب) و (زهر الآداب) ، وهو ملتزم السجع والازدواج في رشاقة وعذوبة واتساق .

وينوه الدكتور زكي مبارك بفنون الميكالي ، فيقول : " وأظهر الفنون التي كان يجيدها الميكالي هو فن الاخوانيات ، ورسائله الى أصدقائه مشربة بأنفاس الحنين ، حتى لتحسبها رسائل عاشق لا رسائل صديق . وكان قلمه من أفصح الاقلام في وصف الكتب يتهاداها الأصدقاء ، وبجانب هذه البراعة كان الميكالي كريم الاخلاق ، وأدبه مقسم بين كتاب شوق ، أو رسالة عتب ، أو كلمة توجع ، أو خطاب اقتضاء ، أو ماالكة تهنئة ، أو نميقة ثناء . والظاهر ان الميكالي كان بليغ الأثر في أنفس معاصريه ، وأن فريقا منهم كان يؤلف الكتب بارشاده وفي ضوء فكره . لأنه فيما يظهر من شعره ونثره كان قوة عظيمة من القوى الأدبية . وكان غنيا فكان بيته ملجأ الشعراء والكتاب والمؤلفين ، صنعته في شعره أظهر منها في نثره ، فهو حين ينثر سهل الخليقة ، فاذا نظم تكلف ، وهو يؤثر الجناس على سائر انواع البديع . " (٢)

ويقول الباخرزي تلميذ الثعالبي في أبي الفضل : " لو قيل لي : من أمير الفضل ؟ لقلت : الأمير أبو الفضل ... وهو كاتب شاعر ألف الثعالبي له كتاب " ثمار القلوب " ، فأما أدبه فقد كان على ذبول عوده غضا يكاد يغض من أزهار الربيع غضا ، وأما شعره فقد أعلن اهل الصناعة بشعار الانتماء اليه ، ورفرفت الشعراء بأجنحة الاستفادة عليه ، وأما رسائله فوسل بدر وسلك لا يخونه الدر ، ومن تأمل منثوره في " المخزون " علم أنه فرحة

---

(١) زهر الآداب ج١ ص ١٧٣ ، فقه اللغة / المقدمة للثعالبي ص ٤ ، ٥ .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ٣١٩ — ٣٢١

المخزون ، وشفاء القلب السليم ، وعقلة المستوفز ، وأنس المقيم . ويذكر لنا مؤلفاتـه منها (مخزون البلاغة) و (ملح الخواطر ومنح الجواهر) توفى سنة ست وثلاثين واربعمائة ، كان لأبي منصور خصوصيته به " (١) .

لقد ذكر الباخرزى كتابا باحدا اهداء الثعالبى لأبي الفضل وهذا أعتبره ضنا من التلميذ الحاق لاستاذه الثعالبى علما بأنه الف ايضا من أهم كتبه وهو " فقه اللغة " واهداه لأبي الفضل .

٢ـ الأمير شمس المعالى أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زياد بن وردانشاه الجيلى أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان (٢) :ـ

كان يتمتع بشخصية جذابة شغلت أرفع منزلة بين كتاب القرن الرابع وسار ذكرها بين ادباء الأندلس حتى عده ابن شهيد ضريبا لبديع الزمان ، " وكان للظروف القاسية التى عاناها فى حياته السياسية أثر بليغ فى طبع مواهبه الأدبية بذلك الطابع المحزن الذى يغلب على شعره ونثره . وهو يذكرنا بالمعتمد بن عباد الأندلسى فكلاهما يبكى ملكه وحظه ومجده . " (٣) . وله شعر ممتاز ،قال الثعالبى فى اليتيمة (٤) : " أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك وغرة الزمان وينبوع العدل والاحسان ، ومن جمع الله الى عزة الملم بسطة القلم ، والى فضل الحكمة فضل الحكم ، ثم قال : " ومن مشهورما ينسب اليه من الشعر قوله :

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر الا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
فان تكن عبثت أيدى الزمان بنا * ومسنا من تمادى بؤسه ضرر
ففى السماء نجوم مالها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

---

(١) دمية القصر حـ ٢ ص١٤٧
(٢) وفيات الأعيان /المجلد الرابع ص٧٩
(٣) النثر الفنى فى القرن الرابع حـ ٢ ص٢٧٧
(٤) يتيمة الدهر حـ٤ ص٥٩ ـ ٦١

ويحسب اليه اروع ماقيل فى التشبيب :

خطرات ذكرك تستثير مودتــــى * فأحس منها فى الفؤاد دبيبــــا
لا عضولى الا وفيه صبابـــــة * فكأن أعضائى خلقن قلوبـــا

يذكر له جملة من النثر أيضا . فكان نثره من اعاجيب فن الانشاء ، وفيه الصنعة الدقيقة تخفى الا على الفحول ، فقد ذكره الدكتور زكى مبارك وقال : " وهو نثر مصنوع صنعة دقيقة جدا لا يدركها الا الفحول ، وقد عنى بدراسته من المتقدمين عبـــد الرحمن اليزدادى الذى أختار من رسائله ماسماه " كمال البلاغة " ، ثم يعود ويذكـر أن قابوس بن وشمكير يلتزم الصنعة فى اكثر من مايكتب حتى فى الموضوعات الفلسفيــة ، له نظرات فلسفية منها : رأيه فى العالم ، وتقدير لنفس الحيوان ، وله آراء فى الفلك والنجوم ، وهى صورة لمعارف أهل عصره فى هذا العلم "(١) .

" وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها ، وخطه فى نهاية الحسن ، غير أنه كان على ماخص به من المناقب والرأى البصير بالعواقب مر السياسة ، لا يساغ كأسـه ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه ، يقابل زلة القدم باراقة الدم ، لا يذكر العفو عنـد الغضب ، فما زال على هذا الخلق حتى استوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب عنه فأجمع أعيان عسكره على خلعه ، وتنصيب ابنه مكانه . "(٢)

هذا وقد ترجم عن شمس المعالى أبو منصور الثعالبى فى كتاب ألفه له ، قـــال فى أوله : " أما على أثر حمد الله الذى هو أول كتابه وآخر دعوى ساكنى دار ثوابه ، والصلاة على خيرته من بريته وعلى الصفوة من ذريته ، فان خير الكلام من شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك إلى بسطة العلم ونور الحكمة الى نفوذ الحكم ، وجعله مميزا على ملوك العصر ، ومدبرى الأرض ، وولاة الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يــدرك أقلها بالعبادات ، ومحاسن سير الانام تطرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها الســنة الليالى والأيام ، وهذه صفة تغنى عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه اياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ولعلم سامعها ببديهة السماع انها للأمير

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع ج٢ ص٢٧٨ ـ ٢٨٠
(٢) وفيات الأعيان / المجلد الرابع/ ص٨٠ و ٨١

شمس المعالي خالصة وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخيار ، واجماع الأولياء ، واتفاق الاعداء - كامل المجد ، وكافي الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلغه الله اقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ، وملكه أزمة الأمر ، كما ملكه أعلة الفضل ، وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بادامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسم اليمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شبابا ونموا ، كما زاده في الشرف علوا حتى تكون السعادات وفد بابه ، والبشائر قرى سمعه ، والمسار غذاء نفسه ، ويتراءى به الاقبال الى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل . " (١)

٣- الأمير مأمون بن مأمون خوارزم شاه : كان أديبا عالما ، أحب العلماء والأدباء وقربهم اليه في مجلسه ، وأحاطهم برعايته ، وبذل لهم العطاء الوافر . " وقد علم السلطان محمود ابن سبكتكين أن في مجلس مأمون بن مأمون (من أمراء خوارزم) جماعة من رجال العلم والفلسفة ، منهم ابن سينا والبيروني وأبو سهل المسيحي وابن الخمار وأبو نصر العراق ، فكتب اليه أن يرسلهم ليشرفوا بمجلسه ويستفيد من علمهم ، فجمعهم مأمون وقرأ عليهم كتاب السلطان ، فأبى ابن سينا وغيره ، وقبل البيروني وابن الخمار والعراق . " (٢)

وقد ألف له الثعالبي كتاب (النهاية في الكناية) ذكره الاستاذ احمد امين (٣) .

وذكر الاستاذ عبد الفتاح الحلو أن الثعالبي اتصل بالأمير خوارزم شاه وخدمه بكتابه (الملوكي) (٤) .

٤- أبو عبد الله الحمدوني وزير خوارزم شاه : اتصل به الثعالبي ، وقد عرفنا مكانته عنده ، وقدم اليه كتابه " تحفة الوزراء " (٥)

٥- الوزير سهل بن المرزبان : الذى كانت تربطه بالثعالبي صداقة ومودة وتدلنا على

---

(١) زهر الآداب حـ٢ ص٤١٦ (٢) ظهر الاسلام حـ١ ص٢٨٦
(٣) المصدر نفسه حـ١ ص٢٧٦
(٤) التمثيل والمحاضرة للثعالبي / مقدمة المحقق ص ٥ .
(٥) المصدر نفسه " " " ص ٥ .

ذلك الطرفة التي جرت بينهما ، قال الثعالبي : قال لي سهل بن المرزبان يوما : " ان من الشعراء من شلشل ومنهم من سلسل ومنهم من قلقل ومنهم من بلبل ... الخ " (١)

وكتب الثعالبي الى أبي نصر سهل بن المرزبان يحاجيه :

حاجيت شمس العلم في ذا العصر .

فكتب اليه جوابه :

يابحر آداب بغير جزر

٦ـ السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين : سار على اسلوب العصر في أن يزين مملكته بالعلماء والأدباء كما يزين تاجه باللآلىء ، " ولما فتح اقليم خراسان وسائر ايران وما وراء النهر وسجستان وجه الأدباء مديحهم اليه ، فبديع الزمان ينشئ القصائد في مدحه ، كالتي يقول فيها :

تعالى الله ماشاء * وزاد الله ايماني
أأفريدون في التاج * أم الاسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت * الينا بسليمان
أطلت شمس محمود * على انجم سامان

وكذلك انشأ أبو منصور الثعالبي القصائد في مدحه يقول في احداها :

ياخاتم الملك وياقاهر الـ * أملاك بين الأخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح * للأرض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل * تكاد تملأ كتب الفتح
فاسعد بأيامك واستغرق الـ * أعداء بالكبح والذبح (١)

٧ـ ابو الفتح البستي : كان كاتب السلطان محمود ، وموضع سره ومستشاره في أمره ، وهو أديب كبير له شعر جيد ونثر جيد ،فأما شعره فأكثره مقطوعات يعمد فيها الى المعنى الدقيق ، فيصوغه في لفظ رشيق ، وأما نثره فواضح جميل ،فيه السجع والازدواج على طريقة عصره ،وهو في نثره يكثر من الأمثال ،وفي نظمه يكثر

---

(١) الوافي بالوفيات ج ١٩ ورقة ١٠٠ ظهر .

(١) ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٨١ ـ ٢٨٥

من الحكم "(١) قال فيه الثعالبي : " ان له طريقة خاصة به ، فهو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ." (٢)

" كذلك تظهر طريقته في شعره من دقة المعنى ، واناقة اللفظ في مثل قوله :

لا يغرنك انني لين المس ــــــــــ ـى * فغروبي اذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه للآخر ين زكام

ويظهر أن له ثقافة واسعة في علم النجوم استخدمها كثيرا في شعره ، وعلى الجملة فشعره ونثره يدلان على رقة ذوقه وسعة ثقافته ." (٣)

٨ـ هذا وقد ذكر الاستاذ عبد الفتاح الحلو(٤) طائفة من الذين اتصل بهم الثعالبي منهم : أبو المظفر ناصر الدين سبكتكين صاحب الجيش وأخو السلطان محمود الغزنوي ، والسلطان مسعود بن سبكتكين ، والسلطان محمد بن محمود سبكتكين ، والشيخ العارض أبو الحسن مسافر بن الحسن ، وأبو سليمان حمد بن محمد الخطابي شيخ الثعالبي ، وأبو حفص عمر بن علي المطوعي ، وصاحب الجيش أبو عمران موسى بن هارون الكردي ، والرئيس ابو سهل احمد بن الحسن الحمدوني ، وأبو الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمري والشيخ أبو الحسن محمد بن عيسى الكرجي ، والقاضي أبو الحسن المؤمل بن الخليل بن احمد البستي ، وأبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي الكاتب ، وأبو معمر المفضل بن أبي سعد الاسماعيلي ، والوزير ابو نصر أحمد بن محمد ، والعميد أبو منصور بن مشكان الكاتب ، وأبو غانم معروف بن محمد القصري ، وأبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور ، والاستاذ أبو القاسم عبد الواحد الأصبهاني ، والقاضي الهروي ، وأبو محمد الحسن بن المؤمل الحربي ، وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد .

أما عن اتصال الثعالبي بالصاحب بن عباد ، فقد ورد ذلك في مقدمة محقق

---

(١) المصدر نفسه جـ١ ص١ ٢٨ ـ ٢٨٥

(٢) يتيمة الدهر جـ٤ ص٣٠٢ (٣) ظهر الاسلام جـ١ ص٢٨١ ـ ٢٨٥

(٤) مجلة المورد / وزارة الاعلام العراقية / مجلد ٦ عدد ١ سنة ١٩٧٧م ص١٤٠

" التمثيل والمحاضرة " حيث يقول : " واتصل — يعني الثعالبي — بالصاحب بن عباد ، وخدمه بكتابي " لطائف المعارف "[١] . وذكر ذلك الاستاذ أحمد أمين حين قال : " ونرى مثلا ابا منصور الثعالبي يؤلف كتابه " لطائف المعارف" للصاحب بن عباد . "[٢]

بينما نجد محققي " فقه اللغة وسر العربية " لم يذكروا ذلك عندما قالوا : " فقد عرفنا عن الثعالبي أنه نشأ في جوار الأمير ابي الفضل الميكالي وفي ظل الوزير سهل بن المرزبان ، تربط بينهم جميعا صداقة ومودة ، وكشف لك عن بعضها شعره اليهما ، كما عرفنا محله من خوارزم شاه ووزير أبي عبد الله الحمدوني . "[٣]

وعندي ماينفي الرأي القائل بأنه اتصل بالصاحب ، وبخاصة بعد أن " فضل الثعالبي في يتيمة ، شعراء عرب الشام على شعراء سائر البلدان ، يذكر بعد هذا التفضيل أن جماعة من أصحاب أبي القاسم اسماعيل بن عباد أخبروه أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم . "[٤]

وحدث الثعالبي نقلا عن أبي نصر التهذيبي ، بأنه قال : " سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني يقول : انصرفت يوما من دار الصاحب وذلك قبيل العيد ... الخ "[٥]

وهكذا لا نجد في كتاب اليتيمة أن الثعالبي شافه الصاحب كعادته عندما ينقل خبرا عن شخصيته ادبية فانه يقول سمعت فلانا ، أو روى لي فلان كذا وكذا ..

وبهذا نستدل على أن الثعالبي لم يتصل بالصاحب.

وأما بخصوص اتصاله بسيف الدولة فقد ذكر الدكتور عمر فروخ " بأن سيف الدولة

---

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ص ٥ .
(٢) ظهر الاسلام حـ١ ص٢٧٦
(٣) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي / مقدمة المحققين / ص رقم (ط) .
(٤) يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ١٣ (٥) المصدر نفسه ١ : ١٣

انشأ بلاطا فى حلب جمع من الادباء والشعراء والعلماء مالم يجتمع مثله الا فى بلاط الرشيد فى بغداد ، نعد من هؤلاء المتنبى وأبا فراس وأبا الفرج الاصفهانى والثعالبى وابن خالويه والفارابى ." (١)

وهذه زلة قلم لأن سيف الدولة توفى سنة ٣٥٦ هـ وولد الثعالبى سنة ٣٥٠ هـ أى كان عمر الثعالبى ست سنوات عند وفاة سيف الدولة .

تلاميذه :

لم يرد فى كتب الادب من تلاميذ الثعالبى الا اسم الباخرزى وهو أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى صاحب " دمية القصر " فقد كان والده والثعالبى صنوين ، تلاصق الدار الدار ، ويجمع بينهما جوار ، ويدور بينهما فى الأدب حوار ، وتجرى لهما فى المعارضة اشعار . لقد نشأ الباخرزى فى حجر أبى منصور ، يأخذ من أدبه ، ويفيد من كتبه ، ويربط سببه بسببه ، وابو منصور يرعاه بعطفه ويلحظه بطرفه ، وينشئه على لفه ، . يقول الباخرزى فى " دمية القصر " : " وكنت وأنا بعد فرخ أزغب ، فى الاستضاءة بنوره — يعنى الثعالبى — أرغب ، وكان هو ووالدى بنيسابور لصيقى دار وقريبى جوار ، فكم جملة كتبت كانت تدور بينهما فى الاخوانيات ، وقصائد يتعارضات بها فى المجاوبات ، ومازال بى رءوفا ، وعلى حانيا حتى ظننته أبا ثانيا ، رحمه الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج قاره ." (٢)

وقد ورد فى مقدمة " لطائف المعارف " : " وكأنى بهذا الصديق على بن الحسن والد أبى الحسن قد ترك الدنيا وترك لصديقه أبى منصور هذا الناشىء الصغير ، فكفله أبو منصور ، وأحسن كفالته ، وما نسى هذا الناشىء حين شب وكان من المؤلفين أن يذكر هذا الفضل لأبى منصور ، وأن يكون واحدا من هؤلاء الذين ترجموا له .

وقد كنا نحب أن نقرأها كلمة طويلة ، تفصل شيئا من حياة أبى منصور الخاصة التى لا تفصل عن المؤلفين المعاصرين غير الهميدين عمن يكتبون عنهم ." (٣)

---

(١) تاريخ الأدب العربى / الأعصر العباسية ص ٤٠

(٢) دمية القصر ١٨٣ (٣) لطائف المعارف / مقدمة المحققين ص ١٩ .

ولكن على الرغم من هذا الجوار القريب وتلك الصلة الوطيدة ، فلقد ضن على استاذه الذى أخذ من أدبه وأفاد من كتبه ،لم يذكر غير خبر مألوف وحديث معروف فكان تلميذا عاقا .

وقد ذكره الاستاذ الرافعى فقال : " وضع على بن الحسن المعروف بالباخرزى كتابه " دمية القصر " الذى جعله ذيلا على (اليتيمة) للثعالبى ،عقد فيه فصلا لأئمة الأدب قال فى أوله " هؤلاء قوم ليس لهم فى دواوين الشعر رسم ،ولا فى قوانين الشعراء إسم " ثم ترجم طائفة من علماء اللغة كأبى الحسين بن فارس صاحب (فقه اللغة) وابن جنى النحوى ، وأسد العامرى ، والجوهرى صاحب الصحاح ، وتلميذه ابى صالح الوراق ، فدل صنيعه على أن الشعراء يومئذ كانوا هم المستبدين بلقب الأدباء . والباخرزى نسبة الى بأخرز: ناحية من نواحى نيسابور ،وقتل على هذا فى بعض مجالس الأنس سنة ٤٦٧ هـ . " (١)

ولنا أن نستشف فلسفته فى الحياة من بيتين قالهما وذكرهما له ابن معصوم المدنى : وهو أنه يريد أن يصرف كل ماله قبل موته ، وأن يعمر شباب عمره بالشراب فيلوم نفسه اذا ترك الشراب قبل الشيب وملوم عنده مورث ماله يقول :

سأعمر بالشراب شباب عمرى * فترك الشرب قبل الشيب لوم
وأبذل فضل مالى قبل موتى * فمورث ماله عندى ملوم (٢)

ولكن شارح كتاب معجم الادباء لياقوت ذكر فى الهامش نقلا عن (طبقات الشافعية حـ٣ ص٢٩٨) أن الباخرزى مصنف (دمية القصر) ، والدمية ذيل على تتمة الثعالبى ، تفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ،ثم أخذ فى الأدب وتنقلت به الأحوال الى أن قتل سنة سبع وستين وأربعمائة . وذكر ياقوت أن كنيته (أبو القاسم) (٣)

لعله تفقه على الشيخ الجوينى بعد أن أخذ عن الثعالبى .

---

(١) تاريخ آداب العرب حـ١ ص٢٦ ، ٢٧
(٢) انوار الربيع حـ١ ص١٧٢
(٣) معجم الأدباء حـ١٣ ص٣٣

وفاتـــه :

لقد اختلف المؤرخون والادباء في تحديد السنة التي توفي فيها أبو منصـــور الثعالبي ، فبعضهم ذكره من وفيات سنة تسع وعشرين واربعمائة للهجرة ،ذكر ذلـك ابن خلكان (١) وابن كثير (٢) وأبو الفدا (٣) ، وتابعهم على ذلك المحدثون . وبعضهم قال أنه توفي سنة ثلاثين واربعمائة وهم : ابن قاضي شهبة (٤) وابن العماد الحنبلي (٥) والحافظ الذهبي (٦) . وآخرون لم يؤكدوا سنة وفاته ،بل تأرجح رأيهم بين سنة تسـع وعشرين وثلاثين واربعمائة منهم الصفدي (٧) وصدر الدين بن معصوم المدني (٨) .

وليس فيما ورد بالنسبة لسنة وفاته كبير خلاف فالفرق بين الآراء يسير ،يكـاد يعلي أن وفاة الثعالبي كانت في آخر سنة تسع وعشرين ،فحدث هذا الاختلاف فـــي الآراء ، والسبب في هذا أن معظم كتب التراجم ذكرت أنه عاش ثمانين سنة .

ورثاه الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست الشاعر المشهور النيسابوري بقوله :

كان أبو منصور الثعالـــــبي * ابرع في الاداب من ثعلـــب
ليت الردى قد مني قبلـــــه * لكنه اروغ من ثعلـــــــب
يطعن من شاء من الناس بالموت كطعن الرمح بالثعلــــــب (٩)

وقد غادر أبو منصور بعد أن ترك من الآثار ماسيظل قبسا هاديا يستضيء بـــه عشاق المعرفة وطلاب الأدب .

* * *

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢ .
(٢) البداية والنهاية جـ١٢ ص٤٤
(٣) المختصر في اخبار البشر جـ ٢ ص١٦٢
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) شذرات الذهب جـ٣ ص٢٤٧
(٦) العبر في خبر من غبر جـ٣ ص١٧٢
(٧) الوافي بالوفيات جـ١٩ ورقة ٩٩ وجه
(٨) انوار الربيع جـ ١ ص١٧٢
(٩) الوافي بالوفيات جـ١٩ ورقة ١٠٠ وجه وظهر .

:: الفصل الثالث ::

(ثقافة الثعالبي ومصادرهــا)

لما كانت نفس الثعالبي تطمح الى الجاه والمكانة العليا عن طريق العلــم والاستزادة منه ، والتوسع فيه ، فقد اتجه الى العلم والأدب ينهل من مواردهمـا ، ويعكف على استيعابهما ، ويطرق كل باب يوصل اليهما ،

وكان ممن اتصل بهم الأمير ابو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي الذى فتح له مكتبته الضخمة ، لينهل منها مايشاء ، وينقل منها مايريد ،

واتصل بالأدباء الكبار ولعل ابرزهم شيخه الخوارزمى محمد بن العباسى أصله من خوارزم ، وطوف في الشام ، ونزل ضيفا على سيف الدولة في حلب ، وعلى الصاحب ابن عباد في الرى ، ثم عاد الى نيسابور ، " وكان يتعصب لبني بويه ويغض مــن سلطان خراسان ، ونكل به مرة من أجل ذلك ، ثم علت منزلته ثانية ، ونظر اليه أهل نيسابور بعين الاكرام والاعظام ، وعد امام الادباء ، حتى رمى ببديع الزمان الهمذاني ويلى مساجلته ، وأعان البديع شبابه ولباقته ، ومساعدة خصوم الخوارزمى السياسيين للبديع ، فانخذل الخوارزمى انخذالا شديدا ، وكسف باله ، وانخفض طرفه ، ولـم يحل عليه الحول حتى خانه عمره ومات سنة ٣٨٣ هـ "[1] وقد خلف لنا رسائله الأدبية القيمة على مافيها من تكلف احيانا جر اليه الغرام بالسجع والبديع " وقد ورد فـي (نزهة الألبا) لأبي البركات الأنباري " أن الثعالبي أخذ عن الخوارزمى "[2]

وقال محمد كرد على في كتابه (كنوز الأجداد) : ان الثعالبي أخذ عن ابى بكر الخوارزمى "[3]

أما في مقدمة كتاب (الاعجاز والايجاز) للثعالبي ، فيذكر (اسكند آصاف) " أن الثعالبي قد أخذ عن أشهر العلماء الثقات كابن السكيت وأبي عبيدة والأصمعي

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٧ (٢) نزهة الألبا ص ٣٦٥
(٣) كنوز الاجداد ص ٢٣٣

والخوارزمي وسيبوية والسيرافي والمبرد وابن جني وغيرهم ." (١)

ويبدو من ذلك أنه تثقف على آثارهم ، وانتفع بما خلفوه .

ولما كان الخوارزمي هو شيخ الثعالبي ، فاني مورد لمحة عن حياته :
أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير ، كان اماما في اللغة والانساب ، " ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان ، فلما وصل اليه ، قال لأحد حجابه : قل للصاحب على الباب أحد الادباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب واعلمه ، فقال الصاحب : قل له : قد ألزمت نفسي أن لا يدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك ، فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ماقال ، فقال الصاحب : هذا يريد أن يكون أبا بكر الخوارزمي ، فاذن له في الدخول ، فدخل عليه ، فعرفه وانبسط له ." (٢)

وقد عده الدكتور زكي مبارك " من الشخصيات التي نهضت بالأدب العربي ، وشغلت الناس عدة أجيال ، وكان شاعرا ، ولكن ديوانه ضاع ولم يبق من شعره الا القليل ، وما أثر عنه من الشعر يدل على أن كتابته خير من شعره ." (٣)

أما ابو اسحق الحصري فيقول فيه : " انه كان رافضيا غاليا ، وكان فاحشا بذيئا ، مستخفا جريئا على ذوي الأنعام عليه والاحسان اليه . قال ابن عباد لما بلغه موته :

سألت بريدا من خراسان مقبلا * أمات خوارزميكم ؟ قال لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم (٤)

هذا هو شيخ الثعالبي الذي أخذ عنه كما ذكرته كتب التراجم ، ولكن الاستاذ عبد الفتاح الحلو ذكر " أن له شيخا آخر هو أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ." (٥)

---

(١) الاعجاز والايجاز للثعالبي / تقديم اسكندر آصاف ص ٥
(٢) وفيات الأعيان / المجلد الرابع / ص ٤٠٠ (٣) النثر الفني في القرن الرابع ص ٢٥٩ — ٢٦١
(٤) ذيل زهر الآداب ص ٢٠٦ — ٢٠٨
(٥) مجلة المورد / وزارة الاعلام العراقية / مجلد ٦ عدد ١ سنة ٩٧٧ ام ص ١٤٠

ومن الذين أخذ عنهم أبو منصور فى جمع اشعار اليتيمة ونثرها : ابن لبيب غلام الببغاء وكتاب (التحف الطرف) ومحمد بن عمر الزاهر وعبد الصمد بن وهب المصرى وأبو الحسن على بن مأمون المصيصى وأبو سعيد بن دوست وأبو الحسن محمد بن احمد الافريقى المتيم لسيف الدولة وأبو نصر سهل بن المرزبان وأبو حفص عمر بن على الفقيه وأبو الحسن محمد بن أبى موسى الكرخى ،وأبو سعد نصر بن يعقوب فى كتابه (روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات) وأبو الحسن على بن أحمد بن عبدان وأبو الفضل الميكالى .

لقد كان الثعالبى جامعا لأشتات العلم والادب فى عصره ،حتى عده الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابورى عندما رثاه بأنه أبرع فى الاداب من ثعلب حين قال :

كان ابو منصور الثعالبى * ابرع فى الآداب من ثعلب

وهذا ما دفع أبا يعقوب صاحب كتاب (البلاغة) الى قوله فى الثعالبى :

وقيت نوائب الدنيا جميعا * فأنت اليوم حافظ أهل عصرك

ولم يكن الثعالبى متخصصا فى فرع بل كان ينهل من كل مورد ،فخاض فى علوم اخرى كالنقد والبلاغة واللغة والتاريخ ، فأصبح بحق الأديب الشاعر الناقد الناثر البليغ الفصيح اللغوى الحافظ الأمين حتى كونت مؤلفاته موسوعة لثقافة القرن الرابع لا يكاد يستغنى عنها عالم أو أديب .

ومن دراستى لآثار الثعالبى وما كتب عنه قديما وحديثا ، تبين لى أن أعظم مؤثر فى ثقافته الواسعة هو كتاب العربية الأكبر — القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم يعتبر الكتاب الأوحد الذى أثر فى حياة البشرية كلها ،ومنهم الكتاب والشعراء والساسة ، وما زال مصدرهم الرئيسى الذى يعتمدون عليه ، وينهلون منه الى يومنا هذا .

فلا غرو أن يتأثر صاحبنا بالقرآن الكريم الذى أدهش العرب لما سمعوه ، وحير البابهم وعقولهم بسحر بيانه ،وروعة معانيه ، ودقة أئتلاف ألفاظه . ولا عجب

أن يكثر من استشهاده بآياته فى جل مؤلفاته ، ويضمنها شعره ونثره حتى أنه ألف كتابا برأسه فى الاقتباس منه .

والمطلع على مؤلفاته يرى أنه يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية فى المواضع المناسبة وخاصة فى كتابه " فقه اللغة وسر العربية " القسم الثانى ، حيث جعله له عنوانا صريحا بذلك " سر العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها " وهكذا نجده قد خص القرآن الكريم بدراسة واسعة متعددة النواحى ، وقد أحب اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن ، وهى المفتاح لمعرفة كنوزه ، ويلاحظ عليه أنه قد أحب العرب ، وهذا ليس بعجيب فهم طلائع الاسلام الرائدة ومنهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وكل من يطالع مؤلفات أبى منصور الثعالبى لا يخفى عليه حبه لله تعالى ولرسوله الكريم وللعرب وللعربية التى شرفها الله بنزول افضل الكتب بها .

وانى لأجد هذا صراحة فى افتتاحية خطبة كتابه (فقه اللغة) ، يقول بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على محمد وآله " فانه من أحب الله أحب الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبى العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التى نزل بها افضل الكتب على افضل العجم والعرب "(١)

ويقول : " انه لو لم يكن فى الاحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصارفها ، والتبحر فى جلائلها ودقائقها الا قوة اليقين فى معرفة اعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى اثبات النبوة ، لكفى بهما فضلا يحسن أثره ويطيب فى الدارين ثمرة "(٢)

ومما كان له الأثر أيضا على ثقافة أبى منصور ، التراث الضخم من الثقافتين العربية والأجنبية المترجمة ، الذى حمل ثمار قرائح عباقرة العلماء والادباء من العرب وغير العرب من الامم المجاورة بفضل الكتب المترجمة عن اليونانية واللاتينية ، حيث كانت الترجمة متوفرة فى ذلك العصر ، فتأثر صاحبنا بها .

---

(١) فقه اللغة وسر العربية / المقدمة ص ٢

(٢) المصدر نفسه ص ٣

نعم أفاد الثعالبى من هذا التراث ، ولكنه خدم به كل طالب علم وأدب جاء بعده ، وما زال يخدم أبناء الأمة العربية بآثاره التى خلفها لنا ، ويقدمها غـــذاء قويا للعقول والأذواق " ووضع أمام قرائه صورا مختلفة للقرائح والعبقريات الـــتى عرفها بنفسه ، أو سمع بأخبارها ، أو قرأ آثارها ، حتى ليمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين ، "(١)

* * *

(١) النثر الفنى القرن الرابع حـ٢ ص ١٨٠

:: البــاب الثانــــي ::

:: الفصـــل الأول ::

شعر الثعالـــــبي

أغراضة :

لقد خضع الشعر العربي في عصر الثعالبي لمؤثرات كان لها أطيب الأثر في اظهار خلاصة قرائح الأدباء والشعراء وفي تنوع الأغراض الشعرية • فكان أن تأثـر الشعر بالبيئة التي كانوا يعيشون فيها وبالظروف السياسية والظروف الاجتماعية •

وبديهي أن يتأثر الثعالبي ابن ذلك العصر بهذه المؤثرات فكان من تأثـره بالبيئة أن أوحى اليه جمال المتنزهات بوصف مظاهر الجمال وكان من تأثره بالظروف السياسية ،شعره في التهنئة بالفتوح والانتصار في الغزوات وماكتبه في تاريخ وفـاة بعض ملوك عصره • وكان من تأثره بالظروف الاجتماعية ماكتبه في الاخوانيات وفـي شكواه من سوء الحالة الاقتصادية •

ومن الاغراض التي حظيت بنصيب وافر من شعره : المديح والوصف والغـزل بنوعيه (بالمؤنث والمذكر) والاخوانيات والخمريات والشكوى والحكمة ونظم الأمثـال والزهد والرثاء •

وأحيانا كان يمزج بين الغزل والشكوى (١) من البسيط

ريق الحبيب كريق المزن والعنـب

اذاقني ثمرات اللهو والطـرب

وقد سرقت من الأيام صفوتهـا

فكيف أهرب منها وهي في طلبي

وقد مزج بين الوصف والخمريات والاخوانيات والغزل وقال (٢) من (الخفيف)

هذه ليلة لها بهجة الطـا

ووس حسنا ، واللون لون الغـداف

رقد الدهر   وسارق

ناه خطا من السرور الشافـي

---

(١) خاص الخاص ٢٢٣ وثمار القلوب ٦٥٦

(٢) من غاب عند المطرب ٢٥٧ خاص الخاص ٢٣٦ دمية القصر ٢ : ٢٢٨

بمدام صاف وخل مصاف

وحبيب واف وسعد موانى

وهذا المزج يلائم الميل العام الى جمع الصور والألوان العديدة فى العمل الفنى الواحد [1] أما أغراض شعره التى اكثر منها فهى :

ذكر نماذج بالادراسة حتى ص ٥٤

١ـ المديح :

كانت جل اغراضه التى عالجها صاحبنا فى شعره تدور حول الحياة التى كان يحياها ، وكان المديح فى شعره كثيرا يتوجه فيه الى أولياء نعمته من السلاطين والوزراء وهم كثير . ولعل اقرب هؤلاء الزعماء والأمراء الى قلبه كان الميكالى الذى جمع بين المال والجاه والأدب وقد أغدق عليه الأموال والضيعات فجاء شعره مشحونا بالمبالغات والتهويل ، ونقرأ فيه ذلة الخضوع والضراعة التى نأباها ونرفضها وتلك كانت طبيعة عصره الذى نأت الحياة فيه عن مظاهر البساطة وجنحت فيه المعانى الى الغلو الذى يشين والذى يقرب من الكذب.

يقول فى أبى الفضل الميكالى [2] : (من الكامل) وقد زاره الأمير فى داره

لا زال مجدك للسماء رسيلا * وعلو مجدك بالخلود كفيلا

ياغرة الزمن البهيم اذا غدا * أهل العلا لزمانهم تحجيلا

يا زائرا مدت سحائب طوله * ظلا على من الجمال ظليلا

وأنت بصوب جواهر من لفظه * حتى انتظمن لمفرقى اكليلا

بأبى وغير أبى هلال نوره * تستعجل التسبيح والتهليلا

نقشت حوافر طرفه فى عرصتى * نقشا محوت رسومه تقبيلا

ولو استطعت فرشت مسقط خطوه * بجفون عين لا ترى التكحيلا

ونثرت روحى بعدما ملكت يدى * وخررت بين يدى هواه قتيلا

ونراه عندما يعاقب أبا الفضل يستهل عتابه بالمدح الذى يرفع ممدوحه الى عنان السماء (من السريع)

ياسيدا بالمكرمات ارتدى * وانتعل العيوق والفرقدا

مالك لا تجرى على مقتضى * مودة طال عليها المدى

---

(١) الثعالبى ناقدا وأديبا ٤٥٨ (٢) زهرة الآداب جـ٢ : ٣٦٥

ان غبت لم أطلب وهذا سليمان بن داود بني الهدى

تفقد الطير على شغلـه * فقال : مالي لا أرى الهدهدا .

وقد علق تلميذه الباخرزى على هذه الأبيات فقال : ووقعت الى بعد وفاته يريد الثعالبى مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه وعليها آثار بنانه . فالتقطت منها مايصلح لكتابى هذا من أوساط عقودها وأناس عيونها عن ذلك ماكتب الى الأمير أبى الفضل الميكالى يعاتبه (١) : وأورد الأبيات . ومن هذه الأبيات التى ذكرت ألاحظ اتساع ثقافة الثعالبى وعلمه بالفلك وفقهه بالدين . هذا ويواصل مديحه لأبى الفضل فيمدحه ببلاغته وروعة شعره ونثره فيقول فيه (٢) (من المنسرح)

سبحان ربى تبارك الله مـا * أشبه بعض الكلام بالعسل

والدر والسحر والرقى وابنة الـ * كرم وحلى الحسان والحلل

مثل كلام الأمير سيد نـا * نظما ونثرا يسير كالمثل

ويمدح ألفاظه الغر وكلامه الحر ومعروفه الذى يستعبد الحر فيقول (٣) (من السريع)

انى أرى ألفاظك الغـرا * عدلت الياقوت والـدرا

لك الكلام الحر يامن غدا * معروفه يستعبد الحرا

وعندما أهداه الميكالى فرسا مدحه بقوله (٤) من الكامل

ياواهب الطرف الجواد كأنما * قد انعلوه بالرياح الأربعة

كالجاحم المشبوب او كالهاطل الـ

مصبوب أو كالباشق المتسرع (٥)

لا شىء اسرع منه الأخاطرى

فى شكر نائلك اللطيف الموقع

ولو اننى انصفت فى اكرامه * لجلال مهديه الكريم الألمعى

اقضمته حب الفؤاد لحبه * وجعلت مربطه سواد المدمع

وخلعت ثم قطعت غير (مضيق (٦)) * برد الشباب لجلد والبرقع

---

(١) دمية القصر ١٨٣ (٢) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦ وأحسن ماسمعت ٤٥

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ودمية القصر ٢ : ٢٢٩ زهر الآداب ١٣٧ معاهد التنصيص ٢ ٤٧ خاص الخاص ٢٣٨

(٥) سقط هذا البيت من وفيات الأعيان ٢ : ٣٥١

(٦) (مضيع) فى وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١

وقد ذكر محمد كرد علي في كتابه (كنوز الأجداد)[1] قصيدة للثعالبي يمدح فيها الأمير أبا الفضل الميكالي . (من الكامل)

لك في المفاخر معجزات جمة
أبدا لغيرك في الورى لم تجمع

بحران بحر في البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي

وترسل الصابي يزين علوه
خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع

كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
كالوشي في برد عليه موشع

شكرا فكم من فقرة لك كالغنى
وافى الكريم بعيد فقر مدقع

واذا تفتق نور شعرك ناضرا
فالحسن بين مرصع ومصرع

ارجلت فرسان الكلام ورضت أفـ
ـراس البديع وأنت أمجد مبدع

ونقشت في فص الزمان بدائعا
تزرى بآثار الربيع الممرع

وقوله في السلطان محمود بن سبكتكين عندما فتح سجستان سنة ٣٩٢ هـ[2] من السريع

ياخاتم الملك وياقاهر الـ	أملاك بين الأخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح	للأرض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل	تكاد تملى كتب الفتح

---

(١) كنوز الاجداد ص ٢٣٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ، عيون التواريخ ٤٦٢ زهر الآداب ١ : ١٧٨ .

(٢) في ثمار القلوب سقط من الابيات الرابع والخامس والسابع ، والقصيدة كلها في اليميني للعتبي ورقة ١٢٤ وجه .

كم أثر في الدين أثرته * يقصر عنه أثر الصبح
وكم علا للمجد شيدتها * تثني عليها ألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء بالكبح والذبح
ودم رفيعا عالي القدح * ممتنع الملك عن القدح

ومدحه ايضا بقوله [1] من الكامل :

كتب الامير كتائب في المعركة * والرأى منه طيب داء المملكة
فاذا رمى بالظن خطبا مشكلا * أصبحت ستور الغيب عنه مهتكة

وعندما يمدح السلطان مسعود يضعه في مصاف الأنبياء ، فيقول [2] من البسيط :

دع الأساطير والأنباء ناحية * وعاين الملك المنصور مسعودا
تر الأكابر طرا والملوك معا * ورستما وسليمان بن داودا

ونرى المبالغة المرذولة السخيفة عندما يقول فيه [3] من الكامل :

نثرت عليك سعودها الافلاك
وغدت لغرة وجهك الأملاك
زوجت بالدنيا لأنك كفوها
فاسعد بها وليهنك الأملاك
والأرض دارك والورى لك أعبد
والبدر نعلك والسماء شراك

ومن الأمراء الذين حظي عندهم الثعالبي كما حظي كثير من العلماء والادباء من أمثال البيروني وابن سينا وغيرهما ، الأمير أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه ، ويبدو أن صاحبنا كان من المقربين لديه ، وقد اغدق الأمير على الثعالبي العطاء ، حتى أهدى له بعض كتبه ومدحه بشعر رقيق لا يخلو من المبالغات والتهويل كما مر بنا ، فقال فيه [4] من الطويل :

أقول لمولانا خوارزم شاه لا * تزل بندى الغمر للناس مالكا
هل المجد الا خلة من خلالكا * أو البدر الا نقطة من جمالكا
جمعت المعالي والمحاسن كلها * وتاك اله الناس عين كما لكا

---

(١) تحفة الوزراء ص ٥٤ (٢) خاص الخاص ٢٣٧
(٣) خاص الخاص ٢٣٧ ، تتمة اليتيمة ١ : ١١٤ (٤) ثمار القلوب ٣٢٨

ويقول فيه (١) من السريع :

وسائل عن دمعي السائل * وحال لوني الكاسف الحائل

قلت له والأرض في ناظري * اضيق منها كفة الحابل

بليت والله بمملوكة * في مقلتيها ملكا بابل

أو سيف مأمون بن مأمون القرم الهمام الملك العادل

فان لحاني عاذل في الهوى * يوما فما العاذل بالعادل

وعندما يمدح أصدقاءه يقلل من التهويل ، ويجنح الى الألفاظ الرقيقة ،كقوله في مدح القاضي أبي الحسن المؤمل بن خليل بن أحمد البستي (٢) من مجزوء الخفيف :

يا زمانا نعيمه * لم يحرج على يدي

طيبة كالكرى يلم مجفن المسهد

أو كخلق المؤمل بن خليل بن أحمد

وكان يمدح عدة اشخاص في البيت والبيتين كقوله (٣) من الطويل :

سقى الله أياما اشبه حسنها * وقد كنت في روض من العيش ناضر

بشعر ابن معتز وخط ابن مقلة * ودولة مسعود وخلق مسافر

وكان احيانا يمدح ممدوحه بأبيات ، ثم يستعيرها لمدح ممدوح آخر مع تغيير في بعض الفاظها ، وقد مدح الأمير خوارزم شاه ببيتين قال (٤) من البسيط :

وقصر ملك نرى كل الجمال به * واسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنما جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ثم مدح بالبيتين السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وغير فيهما فقال (٥) من البسيط :

يادار ملك نرى كل الجمال بها * واسعد الدهر تبدو من جوانبها

كأنما جنة الفردوس قد نزلت * في أرض غزنة تعجيلا لصاحبها

---

(١) ثمار القلوب ٢٣٣ ودمية القصر ٢ : ٢٢٧ ومعاهد التنصيص ٤٧١ (البيت الرابع لم يذكره محقق التمثيل والمحاضرة ولا محقق الكناية والتعريض ولم يذكره محمد كرد علي في كنوز الاجداد ٢٣٦ (٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٦

(٣) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٠ ، خاص الخاص ٢٣٧ (٤) أحسن ما سمعت ٩٣

(٥) لطائف المعارف ٢٠٨ ، نهاية الأرب ١ : ٣٦٥

ويرجع الى المبالغة والتهويل عندما يمدح أحد الملوك ، لم يذكر اسمه فى (خاص الخاص) يقول فيه [1] :

لنا ملك تاجه المشترى * وما أحد غيره لابسه
وملك الورى فوس ملجم * وما أحد غيره فارسه
وقد فتح الري فراسه * وكرمان يفتحها سائسه

ويقول فى الشيخ مسافر بن الحسن وان لم يذكر اسمه فى (خاص الخاص) ، الا انه يفهم من الابيات [2] .

تم الكتاب بدولة الشيخ الذى * قد صك تاج علاء فوق الفرقد
بدر الصدور مسافر ركن العلا * والمكرمات وكيمياء السؤدد
والحمد لله المظيم جلاله * ثم الصلاة على النبى محمد

وقوله فيه أيضا [3] :

أيا من مجده للدهر غرة * وطلعته لعين الملك قرة
وخدمته لنار العز زند * وحضرته لشخص السعد سره
أيا من ذكره مثل اسمه لا * يزال مسافرا فى خير سفره
حويت محاسن الدنيا كما قد * سبكت محاسن الاداب نقره
وحزت خصائص الرؤساء طرا * وحصلت السعود لديك صبره
ولما لم يسحك الدهر ثوبا * قطعت لشخصى مجدك منصدره
وكم لك عند عبدك من صنيع * رفيع لا يؤدى العبد شكره
وذنب الدهر جل وان أرانى * محياه الجميل قبلت عذره
ظفرت بما تشاء من الأمانى * واغمد عنك صرف الدهر ظفره
لرأسك خضرة فى كل يوم * وللكأسات فوق يديك حمره

وقال فى الشيخ الوزير أبى نصر أحمد بن محمد [4] :

بدر خلعت على الزمان رداءه * فسرى وسار بألسن الكتان
صدر الوزارة قد بدا فى دسته ال * سعدان والقمران والعمران

---

(١) خاص الخاص ٢٣٧ (٢) خاص الخاص ٢٤٤
(٣) خاص الخاص ٢٣٩ (٤) خاص الخاص ٢٣٨

ال يمدح يمين الدولة محمود بن سبكتكين : (من الكامل)

سعدت بغرة وجهك الأيـــــام * وتزينت ببقائك الأعـــــوام
وتصرفت بك في المعالي عمة * تعيى بها الافهام والأوهـــام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت * تتوارد الاســـــاد والآرام
وافتض سيف علاك كل مدينة * بكر عليها للاياس ختــــام
هذى زرنج استغلقت وتمنعت * فكأنها الا عليك حــــرام
ففتحتها وابحتها ومنحتهـــا * نفرا هم لفنائك الخـــدام
وقدمت والايام تنشد في الـــورى * بيتا تجيد نشيده الأيــــام
قد جاء نصر الله والفتح الـــذى * تزهى بكتبة وصفه الأقــلام
بأجل احوال وأيمن مقـــدم * واتم اقبال يليـــه دوام (١)

وقال في أبي الحسن مسافر بن الحسن (من الخفيف) :

قد سقتنا السماء ماء الغيـــوم * فاسقنا ياغلام ماء الكـــروم
نشرب الراح بادكار الرئيس الـ * ـفرد في الجود والعلى والعلوم
واذا ما مسافر سافرت اخبـاره عياه اسفرت عن نجوم (٢)

وقوله في أبي الحسن مسافر : (من البسيط) :

ياسائلي وصف مولانا أبي حســن * مسافر في بديع القول محكمــه
المسك من ذكره والمزن من يـده * والروض من خلقه والدر من فمه (٣)

وقال في أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي : (من البسيط)

أبا سليمان سر في الأرض أو أقم * فانت عندى دنا مثواك أو شطنــا
ما أنت غيرى فأخشى أن تفارقني * فديت روحك بل روحي فأنت أنـا (٤)

---

(١) اليميني ١ : ٣٧٣ و٣٧٤ — (٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٠
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٧٠ — (٤) معجم الادباء ٤ : ٢٥٤

وقال يمدح بعض الوزراء : (من الوافر)

نظرت فلم أجد لك من نظـــير * ولم اسمع بمثلك من وزيـــر
كريم الخيم موموق المعالـــى * شريف المنتمى عف الضمـــير
بديع اللفظ سحار المعانـــى * فسيح الخطو فى الأدب الغزير
على الاعداء كالقدر المبـــير * وللأصحاب كالقمر المنـــير(١)

وقال يمدح ابا العباس مأمون خوارزم شاه : (من الطويل)

الا ان معنى الليث والغيث والشمس * بخوارزم شاه غرة الجن والانـــس
ومن عجبى انى اذا ما مدحتـــه * تشاغلت بالتسبيح فى مجلس الانس(٢)

وقال يمدح أبا الفضل : (من الكامل)

يا من له كل الذى يكنى لــــه * ومفرق العليا لديه مؤلـــف
غنت بسؤدد ك الحمام الهتـــف * وحكت أنامله الغيوم الوكـــف
وتصرفت بك فى المكارم والعلـــى * همم على قمم النجوم تصـــرف
وملكت أحرار الكلام كأنهـــا * خدم وغلمان لأمرك وقـــف
وكأنما نور الربيع وزهـــره * من وشى خطك فى المهارق أحرف(٣)

وقال فى مدح البلدة (بست) : (من الوافر) :

عشقت الجوحبا فهو طبعـــك * وبست تراب بست فهى ربعـــك
وليس يريد هذا الدهر حصـــدى * لأنى فى بنى الاداب زرعـــك(٤)

وقال فى مدح ابن مقلة (من البسيط) :

خط ابن مقلة من ارعاه مقلتـــه * ودت جوارحه لو حولت مقـــلا
فالدر يصفى لاستحسانه حسدا * والبدر يحمى من انواره خجلا(٥)

وقال يمدح شمس المعالى : (من البسيط) :

الفتح منتظم والدهر مبتســـم * وملك شمس المعالى كله نعـــم
والعدل منبسط والحق مرتجـــع * والشعب ملتئم والجور مصطلـــم
القت مقاليدها الدنيا الى ملـــك * ما زال وقفا عليه المجد والكـــرم

---

(١) اجناس التجنيس لوحة ٤ أ
(٢) لباب الآداب لوحة ١٤٦ ب
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٥ ، ٣٥٦
(٤) لطائف المعارف ٢٠٦
(٥) ثمار القلوب ٢١٠

شمس المعالى وغيث المشرقين ومن * يتيه العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو ال * بدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام التى تخشى صواعقه * قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره * كأن علياه من دنياه تنتظم
والارض من صدره والريح من يده * والروض من خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته * يلقى السعود عليه الدهر تزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا * وعاشر الفتح منشورا له علم
يامن اذا اعتصمت صيد الملوك به * أمسى وأصبح بالرحمن يعتصم
أبلى الجديدين بالعمر الجديد ودم * للملك يخدمك التوفيق والقسم (١)

وقوله فى مدح السلطان محمد بن محمود بن سبكتكين الغزنوى : (من البسيط) :

اقول اذا سألونى عن مروءة من * مالا يقاس بانداد وأكفاء
محمد لمروءات الأنام غدا * كالزند للنار والينبوع للماء (٢)

وقال يمدح أبا العباس مأمون بن مأمون : (من المنسرح)

شيئان والله ماأقلهما * وليس لى فى سواهما أرب
فان تقل ماهما أجب وأقل * باب خوارزم شاه والأدب (٣)

وقال فيه أيضا ويذكر سليمان بن منصور بن نوح : (من الوافر) :

ألا عون الاله على همام * اليه فى العلى والمجد نوحى
ومن اضيافه الاشراف منهم * سليمان بن منصور بن نوح
ففى يمناه ارزاق البرايا * وفى يسراه مفتاح الفتوح (٤)

وقوله فى مدح أبى عبد الله محمد بن حامد الخوارزمى : (من الطويل) :

اذا قيل من فرد العلى والمحامد * أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همام له فى مرتقى الدهر مصعد * يلوح له العيوق فى ثوب حاسد
كريم حباه المشترى بسعوده * وأصبح فى الآداب بكر عطارد

---

(١) اليمينى للعتبى ٢ : ٧ر٨
(٢) مرآة المروءات ٢٦
(٣) لباب الآداب لوحة ١٤٦ ب
(٤) المصدر نفسه ١٤٦ ب

حوى ص ٧٨ شوقي نماذج

٢ـ الوصف :

أبدع صاحبنا في فن الوصف حيث وصف كثيرا من كل ما وقعت عليه عينه ، وعلى الأخص مشاهد الطبيعة ومظاهرها المختلفة ، وصفا جميلا يبدو فيه التأنق في الصنعة ، والدقة في المعاني ، والبراعة في صنعة الشعر .

وصف الثعالبي (البشنقان) وهو أحد متنزهات نيسابور قائلا (١) (من الطويل)

ولما نزلنا البشنقان التي غدت * وراحت بجنات النعيم تشبه

وعارضنا ماء يروق مصندل * وواجهنا ورد يشوق موجه

وقهقه رعد في السماء مفرد * وفي الأرض ابريق المدام يقهقه

وغنى مغني العندليب كأنما * يجاوبه في حلقه مزهر له

تنزه سمعي ما أراد وناظري * وقلبي مع الأحزان لا يتنزه

ويبهره ربيع خراسان بما كان يبعثه في الطبيعة من حيوية وجمال أخاذ ، فقال (٢) (من الطويل) :

الغيم بين مسك ومعصفر * والماء بين مصندل ومعنبر

والروض بين مدملج ومتوج * والورد بين مدرهم ومدنر

والأرض قد برزت لنا في أخضر * في أصفر في أبيض في أحمر

لتروقنا ببدائع وطرائف * من حسن منظرها وطيب المخبر

سبحان محيي الارض بعد مماتها * وكذاك يحيي الخلق يوم المحشر

لقد مزج في هذه الأبيات بين الألوان والأشكال مزجا فنيا رائعا حتى بدت وكأنها قطعة من السجاد من صنع حاذق صنعها بتمهل واناة ، فخرجت رائعة النقوش والألوان .

وكثيرا ما كان يرتحل من بلد الى آخر طلبا للمال والجاه ، وكانت احدى رحلاته الى جرجان ولاحظ هناك من اختلاف هوائها ، فوصف تقلب مناخها بقوله (٣)

---

(١) المبهج ٥٦ ، من غاب عنه المطرب ٢٣٨ ، خاص الخاص ٢٣٤

(٢) المبهج ٥٦ ، خاص الخاص ٢٣٣

(٣) لطائف المعارف ١٨٩ ، ثمار القلوب ٥٥٤ ، ٥٥٥

(من الطويل)

ألا رب يوم لى بجرجان أرعن * ضحكت له من خرقة اتحجب

وأخشى على نفسى اختلاف هوائه * وما للفتى مما قضى الله مهرب

وما خير يوم أخرق متلـــــون * ببرد وحر بعده يتلهـــــب

ويبالغ فى وصف برد خوارزم فيقول (١) (من البسيط) :

لله برد خوارزم اذا كلبـــت * انيابه وكست ابدانتا الرعـــدا

فالشمس محجوبة والريح مدمية * جلود قوم أضاعوا الصبر والجلدا

والماء مستحجر والكلب منحجر * والزمهرير يسوق الصر والصردا

فلو تقبل معشوقا مخالســـة * رأيت فاك على فيه وقد جمدا

وربما كان يقضى بعض لياليه فى مجالس الانس والطرب ،فيشبه تلك الليالى بالمسك ويقول فيها (٢) :

يا ليلة كالمسك منظرهـــا * وكذاك فى التشبيه مخبرهـــا

أحييتها والبدر يخدمـــنى * والشمس انهاها وآمرهـــا

وقد تأتى على شاعرنا ليلة يقاسى فيها انواع العذاب ، ويقول (٣) :

وليل بته رهن اكتئـــاب * اقاسى فيه انواع العـــذاب

اذا شرب البعوض دمى وغنى * فللبرغوث رقص فى ثيابـــى

وقد شكا من قسوة الشتاء وشدته حين قال (٤) (من الرمل)

نحن فى شتوتنا فى قلـــق * وتمادى شفق فى فـــرق

ليس يخلو يومنا والليل مـــن * لثق أو زلق أو دمـــق

وكما يزعجه برد الشتاء يضايقه حر الصيف ، فيصف يوما حارا يشبهه بنار جهنم حيث يدعو ربه أن يصرفه عنه ،فيقول (٥) (من الخفيف) :

رب يوم هواؤه يتلظـــى * فيحاكى فؤاد صب متـــيم

قلت اذ صك حره حروجهـــى * ربنا اصرف عنا عذاب جهـــنم

---

(١) لطائف المعارف ٢٢٧ ،خاص الخاص ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) خاص الخاص ٢٣٧ (٣) خاص الخاص ٢٣٦

(٤) اللطائف والظرائف ٨٧

(٥) أحسن ماسمعت ٧٤ ،من غاب عنه المطرب ٨٨ ،اللطائف والظرائف ٨٨

وقد عاش شاعرنا في زمن تارة تمر عليه ايام كلها شقاء وبؤس وتارة تكون هناء وسعادة ، وعنا يصف يوما صالحا من أيام طالحة ، يقول [١] :

ويوم سعد حسن البشـــر * عذب السجايا طيب النشـــر
لم تقذ عيني بأذاء ولـــم * يطر فؤادي بيد الذعـــر
ولم يرعني لا ولا ساءنـــي * كعادة الايام في الشـــر
شبهته منتزعا من يـــد ال * أحداث ذات الشر والضـــر
باللبن السائغ ذاك الـذي * من بين فرث ودم يجـــرى

وله في وصف يوم نسيمه يسبي الطرف والقلب حيث يقول [٢] :

ويوم عبيري النسيم سبى طرفي * وقلبي بما ابدى من الحسن والظرف
كأن موشي الجو فيه مطارفـــا * موشى الربا والشمس تنظر من سجف
صدور البزاة البيض صفت فقابلت * ظهور طواويس تدق عن الوصـــف
فلما وهى من صيب المزن عقده * واقبل يروى غلة الوث بل يشفـــي
رأيت به في الروض أحسن منظر * يدل على صنع المهيمن ذي اللطف
فحلي بلا صوغ ونسج بلا يـــد * وضحك بلا ثغر ودمع بلا طرف

وقال في الربيع وآثاره [٣] :

أظن ربيع العام قد جاء تاجـــرا
ففي الشمس بزازا وفي الريح عطـــارا
وما العيش الا أن تواجه وجهـــه
وتقضي من الموشى والمسك أوطـــارا

ووصف الأيام والليالي له النصيب الأوفر في شعره ، فيقول في ليلة طويلة [٤] :

ياليلة هي طـــــولا * كمثل شوقي ووجـــــدي
مدت سرادق وشـــــي * على الورى أي مـــــد
نجومها الزهر تحكـــــي * من حسنها نثر عقـــــد
والانجم الحمر منهـــــا * كالورد في الـــــلازورد

---

(١) دمية القصر ١٨٣ ، خاص الخاص ٢٣٦ (سقط البيت الثالث من الدمية)
(٢) خاص الخاص ٢٣٤ (٣) المصدر نفسه ٢٣٣
(٤) المصدر نفسه ٢٣٦

حتى أيام شهر رمضان لم تفلت من وصف الثعالبي الذى قال في يوم من أيامه [1] :

ويوم غذاء الجسم فيه محرم * ولكن غذاء الروح فيه محلل

فهل لك من فيه من الند منشأ * يطل بماء الورد غدى ويهطل

له عبق كالعرف منك نسيمه * وخلقك اذكى منه نشرا وأفضل

وقد ذكرت أن الثعالبي ذاق من الحياة حلوها ومرها فتارة كان يشكو الدهر وتارة يمدحه وسفراء في الابيات التالية يمدح دهر سروره ، ويدعو له اذ عيشه بين السرارى وسعادته بامتلاك الجوارى حين يقول [2] :

سقيا لدهر سروري * والعيش بين السراري

اذ طير سعدى جواد * مع امتلاك الجواري

وغيم لهوى مطير * وزند انسي واري

ايام عيشى كعودى * وقد ملكت اختياري

اجرى بغير عذار * اجنى بغير اعتذاري

ووصف موضوعات حضارية جديدة مجاراة لسنة العصر ، كوصف الفواكه والثمار والغناء والحمامات والبرك والند ، فوصف التفاح بقوله [3] (من البسيط) :

تفاح غزنة نفاع ونفاح * كأنه الشهد والريحان والراح

احبه لصفات حازها قمر * في وجهه أبدا ورد وتفاح

ووصف الحمام بقوله [4] (من الوافر) :

وحمام له حر النعيم * ولكن شابه برد النعيم

رأيت به ثوابا في عقاب * وزت به نعيما في الجحيم

ونستخلص مما تقدم بأن الوصف كان للثعالبي فيه باع طويل واوصافه تزخر بالتصوير الرائع ، وبالتشبيهات البارعة ، واكثر أوصافه كانت في مباهج الطبيعة ، وفي الثمار وفي المتنزهات والليالي والأيام .

---

(١) المصدر نفسه ٢٣٦ (٢) دمية القصر ١٨٣

(٣) لطائف المعارف ٢٠٩

(٤) المبهج ٥٤ ، أحسن ماسمعت ٩٧ ، اللطائف والظرائف ٢٣

وصف التفاحة بقوله : (من المنسرح) :

يا حبذا حسنها ومرآهـــا * وحبذا فى الثمار مجناهـــا
تفاحة فى الكرى توافقنـــى * وفى انتباهى فصرت أهواهـــا
لأنها فى المنام همة مـــن * يأمل مالا ويبتغى جاهـــا
وهى بهذى الأوصاف متعـــة * تريح روحى بطيب رياهـــا[1]

وقولـه (من المتقارب) :

أيا طيب عيشى أرى بركـــة * تشوق الى روضها ماءهـــا
اذا أنت واجهتها فى الدجى * حسبت الكواكب حصباءهـــا[2]

وقوله (من البسيط) :

اما ترى اليوم مسكى الهوى وقد * مدت يد الشمس فى حافاتها كللا
كأنما شمسه قد ابصرت قمرى * يربى عليها فغطت وجهها خجلا[3]

وقال (من مجزوء الرجز) :

الأرض طاوســـية * والجو جو فاخـــت
والورد د رنابـــت * أحسن بد ر نابـــت
لكن فى عينى قـــذى * من نور شيب ثابـــت
لما بكيت دم الفـــؤا * د على الحبيب الفائت
ضحك المشيب بعارضى * ضحك العدو الشامت[4]

وقال : (من الرجز) :

كأنما النارنج للرســـات * ثدى ابكار مخـــدرات
مزعفرات ومعصفـــرات * اواكر الكيمخت مذهبات

---

(١) من غـاب عنه المطرب ٤٥ .
(٢) أحسن ماسمعت ٩٧
(٣) من غاب عنه المطرب ٦٢
(٤) من غاب عنه المطرب ٦٨
(٥) المصدر نفسه ص ٤٣

٣ــ الخمريـــات :

لم نقرأ فى سيرة الثعالبى مايدلنا على أنه كان ماجنا أو خارجا عن حـــدود الدين وخلق الاسلام ، بل لم نشهد فى معظم آثاره الا الدعوة الى الخلق الطيب ، والاشادة بمبادئ الدين .

ومن هنا فنحن لا نجد تفسيرا لما جاء فى شعره من وصف الخمر والدعوة اليها الا أن يكون ذلك انسياقا مع شعراء عصره فى هذا المجال ، أو اظهارا للبراعة فى فن من فنون الشعر ، وهو الخمريات ، والا فكيف تتسق هذه الخمريات مع اتجاهه فيما خلف لنا من آثار ، فهو صاحب كتاب (الاقتباس من القرآن الكريم) و (التمثيـــل والمحاضرة) و (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) و (الايجاز والاعجاز) و (الفرائد والقلائد) .

ان المطلع على هذه الكتب الاسلامية الجيدة لا يسعه الا أن يستغرب هـــذا الشعر الذى يتكلم فيه عن الخمر .

لقد وصف شاعرنا الخمر وحث على شربها فى مثل قوله [1] من مجزوء الرمل :

ومدام قد كفانـــــــــا * شغل أشغال المســـــارج
لو دنت منا القمــــاري * لا كتست ريش التـــدارج
فاشربنـــه فهـــو للغمــــة والغمــــاء فـــارج
وهـــو ريـــق مـــن فـــم الدنيـــا التى ثغرك خـــارج

ويعد الخمر نعم الصديق للأرواح فيقول [2] : من مجزوء الرمل :

وعقار عيش من عـــــا * قرها عيش أنيـــــــق
فهو للانس نظـــــــام * والى اللهو طريـــــــق
وهى للأرواح فـــــى أبـــ * دا ننا نعم الصديـــــق
قلت لما لاح لى منـــ * ـــها شعاع أو بريــــق
اشقيق أم عقيـــــــق * أم حريق أم رحيـــــق

ويشبه الخمر عندما تفرغ فى الكأس بالشمس تفرغ فى قالب صنع من البدر فيقول [3] (من السريع) :

---

(١) خاص الخاص ٢٣٢ (٢) المصدر نفسه ٢٣٣
(٣) خاص الخاص ٢٣٢

يا واصف الكأس بتشبيهها * دونك وصفا عالي القدر
كأن عين الشمس قد افرغت * في قالب صيغ من البدر

واحيانا يشبهها بعين الديك ويرغب في شربها لأنها تزيل الهم والغم فيقول (1) (من الطويل) :

وليل كعين الظبي غيرت لونه * براح كعين الديك بل هو المع
فلما مزجت الروح مني براحها * ترحل عني الهم والغم أجمع

وقوله (2) فيها ايضا (من السريع) :

طالع يومي غير منحوس * فاسقني يا طارد البوس
كأسا كعين الديك في روضة * كأنها حلة طاووس

وله ايضا فيما يتصل بالخمريات قوله (3) : (من الخفيف) :

هذه ليلة لها بهجة الطا * ووس واللون لون الغداف
رقد الدهر فانتبهنا وسارقـ * ـناه خطوا من السرور الشافي
بمدام صاف وخل مصاف * وحبيب واف وسعد موافي

وقال ياقوت (4) : ومن شعر الثعالبي ما رأيته بخط ابن الخشاب النحوي :

دعوت بماء في اناء فجاءني * غلام بها صرفا فأوسعته زجرا
فقال : هي الماء القراح وانما * تجلى لها خدي فأهمك الخمرا

وقال (5) (من الطويل)

أرى الروح للانسان بالراح حاصلا * فصلني بها نفسي فداؤك واصلا
وداو بجرح الراح بردا مواصلا * مناصله يمسسن منا المفاصلا
فقد لبس السنجاب غيم مطبق * وألبس وجه الأرض منا الحواصلا

وقوله (6) (من الطويل)

وسكباجة تشفي السقام بطيبها * على أنها جاءت بلون سقيم
اذا زارها أيدي الرجال تزاحمت * كأيدي نساء في ظلال نعيم

---

(1) خاص الخاص ٦ ٢٣ ، ثمار القلوب ٤١ (ذكر الراح) في خاص الخاص بدل (الروح)
(2) دمية القصر ١٨٣ ، ثمار القلوب ٤١ (دون نسبة)
(3) التمثيل والمحاضرة — مقدمة المحقق (4) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(5) المبهج ٤٦ (6) محاضرات الادباء ١ : ٢٩٢

٤ـ الغزل بالمذكر: وهذا الغرض الشاذ الذى انحدر الى عصر الثعالبى من أبى نواس وشيعته ، منذ اوائل العصر العباسى ، قد تعلق به شعراء العصر ومجانه ، وعلى نحو تفسيرنا لخمريات الثعالبى ، نجده ينساق فى هذا التيار مجاراة لغيره ، ورغبة فى اظهار البراعة فيه ، فمن ذلك تغزله بغلام خباز ، يقول فيه[1] (من البسيط)

برأسى سكة عار لنا قمـــر * من وجه عثمان يا طوبى لجيرتـه
اذ قوت اجسامهم مما يبيعهم * وقوت ارواحهم من حسن صورتـه

ويتغزل بغلام شاعر ، يقول[2] فيه (من الطويل) :

فديت غزالا راقنى د رشعـره * كما شاقنى فى نطقه د رثغـره
اذا ماغدا للشعر يغرى بنظمه * غدوت لعقد الدمع اغرى بنثـره
ووالله ماأدرى أسحر جفونـه * تملك قلب الصب ام سحر شعـره

وتغزل بغلام هندي[3] : (من الرجز) :

هذا غزال الهند فى الغزلان * كمثل عود الهند فى العيدان
وجه بديع الحسن فى الغلمان * مركب من ملح الخيـــلان
مصور من حدق الحســـان * كأنه فى ناظر الانســـان

انسان عين الحسن فى الزمـــان

وقال فى غلام مسافر[4] : (من الوافر)

فديت مسافرا ركب الفيافـــى * وأثر فى محاسنه الســـفار
فمسك ورد خديه السوافـــى * وعنبر مسك صدغيه الغبــار

وله من غزله بالغلمان حين يبالغ فى وصف لقاء ذلك الشادن الذى يهزم جيش الكروب فيقول (من السريع)[5]

وشادن أصبح عذر الذنـــوب * لقاؤه يهزم جيش الكـــروب
بدرة غرارة للـــــورى * وطرة طرارة للقلـــــوب

وقوله فى غلام لا يذوق حلاوة الدنيا الا بغية ، وأن بعض صفاته حوت جميع الحسن (من الكامل)[6]

يامن جميع الحسن بعض صفاتـه * وحلاوة الدنيا تذاق بغيـــة
لا تمرضن جسمى فانك روحـــه * لا تحرقن قلبى فانك فيـــه

وله[7] ايضا (من الطويل) :

(١) خاص الخاص ٢٣٠ ، أحسن ماسمعت ١٢٦ (٢) خاص الخاص ٢٤٢
(٣) خاص الخاص ٢٢٩ ر ٢٣٠ (٤) خاص الخاص ٢٣٠ ، أحسن ماسمعت ١٣٠ ، من غاب عنه المطرب ٢٢٧
(٥) خاص الخاص ٢٣١ (٦) خاص الخاص ٢٣١ (٧) خاص الخاص ٢٣١

وقالوا افترشت النطع صيفا وقد أتى
الخريف فمر فى نطعك الآن بالرفع
فقلت حبيبى شاعر سيف طرفه
ولابد للسيف الشهير من النطع

وقوله فى غلام فاتن سليم سمين (١) (من الخفيف) :

على سبيل الى عناق كما عا * نقت عند الفراق يوم الوداع
شادنا فاتنا سليما جسيما * ملء عينى وملء قلبى وباعى

ويقول فى غلام (٢) (من الخفيف) :

لك صدغ كأنه قلب فرعو * ن ووجه كأنه يد موسى
وفم قد أتى ببرهان عيسى * فهو كالطيب منه يحيى النفوسا

وقال باقتراح بعض السادة عليه فى غلام مليح (٣) : (من البسيط)

قالوا تشوك خداه وشاربه * فقلت لا تعجبوا ماليس بالعجب
الشوك فى شجرات الورد محتمل * والشوك لا عجب فى مجتنى الرطب

وله أيضا (٤) : (من المتقارب) :

فديت غزالا فؤادى لديه * كمصفورة فى يد الباشق
له شفة مثل فص العقيـ * ـق تنقشه شفة العاشق

وله (٥) (من الطويل) :

فضضت ختام القلب منى وحزته * جميعا ولا والله غيرك مافضه
ولما نثرت المسك من فوق فضة * نثرت على مسكى نثارا من الفضة

وقال الباخرزى (٦) : " وأنشدنى والدى قال : انشدنى : يعنى الثعالبى — لنفسه (من الخفيف) :

عركتنى الايام عرك الاديم * وتجاوزن بى مدى التقويم
وغضضن اللحاظ منى الا * عن هلاك يرنو بمقلة ريم
لحظه سقم كل قلب صحيح * ثغره برء كل جسم سقيم

---

(١) أحسن ماسمعت ١٥٨ (٢) المبهج ٤٨ (٣) خاص الخاص ٢٣٠
(٤) خاص الخاص ٢٣٢ (٥) خاص الخاص ٢٣٢
(٦) دمية القصر ١٨٣

قال (من الطويل) :

بنفسي مريض الطرف والود لم يدع * لعاشقه قلبا صحيحا ولا عقـلا
اذا ماسقاني كأس عينيه في الهوى * فحسبي مافي فيه من سكر نقـلا (٢)

وقوله (من السريع) :

وصولجان في يدي شـــادن * لا يسمح العاشق أن يذكـره
وصولجان المسك في خـــده * متخذ حبة قلبي كـــره (٣)

وقوله في غلام عليه منطقه (من الطويل) :

خليلي اني من محبتي الحلي * بليت بحلوى الصفات أخي البدر
فعقد الثريا مستكن بنحـره * ومنطقة الجوزاء في خصره بخوري (٤)

وقوله (من الكامل) :

يالابسا لنقاب ورد أحمـــر * يافارشا وجهي بورد أصفـــر
حتى تحلني بخصر ناحـــل * وتعلني بعليل طرف أحـــور
ياواحدا في الحسن هاأنا واحد * في الحزن اصلى نار وجد مضمر
وأظل بين تذلل وتجـــبر * اذ أنت بين تدلل وتخـــير
مالي بوصفك سيدي من طاقة * ولو أنني استمليت طبع البحـتري (٥)

وقال : (من البسيط) :

قد اقبل الصيف يحكي حرانفاسي * وفي فؤادي حر ماله آســـي
فان سمحت ببرد الوصل فيك فقد * سللت نضو رجائي من يدي باسي (٦)

وقوله (من المنسرح) :

جالسني شادن كلفت بـــه * في صفة جالنا به غضـــــه
دمعي ياقوتة على ذهـــب * وفوه ياقوتة على فضـــــه

وقوله في غلام : (وافر)

فديتك ياأتم الناس حســـنا * واصلحهم لمتخذ حبيبـــا

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣
(٢) المبهج ٤٢
(٣) نهاية الارب ٢ : ٧٣
(٤) احسن ماسمعت ١٢٣
(٥) ثمار القلوب ٢٢٥ (بدون نسبة)
(٦) من غاب عنه المطرب ٣٩

فوجهك نزهة الابصار حسنا * وشدوك متعة الاسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها في وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا (١)

وقوله في السماع: (متقارب)

غناؤك يهزم جيش الكروب * وعيناك للناس عذر الذنوب
فويل القلوب اذا مارنوت * وأما شدوت فويل الجيوب (٢)

وقال في غلام مضيف (من الطويل):

فديتك ما هذا التجشم كله * لدعوة عبد روحه بك ترتاح
ولم كل هذا الاحتشام بمجلس * يزينه الريحان والشمس والراح
وفيك غنى عن كل شيء يروقني * ووجهك لي في ظلمة الليل مصباح
وريقك لي خمر وعيناك نرجس * وصدغك لي آسي وخدك تفاح (٣)

وقوله (من الخفيف):

انت ياصاح لست عندي بصاح * أنت روحي وراحتي انت راحي
ومتى لاح برق ثغرك عندي * مطرتني سحابة الارتياح (٤)

وقوله في غلام معقرب الوجه: (متقارب)

بنفسي هلال يحال الهلال * لتلك المحاسن منه حسودا
كأن عقارب اصداغه * غذين بمسك فاصبحن سودا (٥)

وقال في السماع (وافر)

غناؤك غنيتي من كل زاد * ورقصك قد تعلمه فؤادي
وأنت المحسن الحسن المحيا * فقد اصبحت فردا في العباد (٦)

* * *

---

(١) ثمار القلوب ٤٨٩ (وقال بعض العصريين في غلام ، والمبهج ٤٥ ، يتيمة الدهر: ١ : ٢٥٠ .
(٢) المبهج ٤٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١١٩
(٣) احسن ماسمعت ١٢٤
(٤) احسن ماسمعت ١٣٥
(٥) احسن ماسمعت ١٣٠
(٦) المبهج ٤٤

٥ـ الغزل بالنساء :

أما الغزل بالنساء فهو أمر طبيعي بالنسبة لكل شاعر ، حتى وان لم يكن له تعلق بالمرأة أو شغف بها ، ويبدو ان شاعرنا قد اصطنع ذلك الغزل التقليدي ، فجرب فيه شعره ، وأجرى به قلمه ، كما يقول في صباه (1) (من مجزوء الرجز) :

قلبي وجدا مشتمل * على الهموم مشتمل

وقد كستني في الهوى * ملابس الصب الغزل

انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل

اذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

ومن غزلياته الرقيقة قوله (2) : (من الطويل) :

سقطت لحيني في الفراش لزمته * أضم الى قلبي جناح مهيض

وما مرضي غير حبي وانما * أدلس فيكم عاشقا بمريض

وأما غزله في الجواري فهو صورة من غزله بالغلمان ، اذ تعمد وصف الجمال الحسي كقوله (3) (من الكامل) :

ثغر كلمح البرق حسن بريقه * يشفي غليل المستهام بريقه

قد بت الثمه وارتشف المنى * من دره وعقيقه ورحيقه

وقوله في جارية صقلبية (4) : (من المتقارب) :

وتبر يه الرأس فضية الـ * ـحجيرة فيروزج عينها

اذا طلعت سرني قربها * وان غربت ساءني بينها

ومن أرق ماقال (5) : (من البسيط) :

لما بعثت فلم توجب مطالعتي * وامعنت نار شوقي في تلهبها

ولم أجد حيلة تبقى على رمقي * قبلت عين رسولي اذ آراك بها

---

(1) خاص الخاص ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٣ : ٣٩٠ ، من غاب عنه المطرب ٢٧١

(2) دمية القصر ١٨٣ ، كنوز الأجداد ٢٣٦

(3) أحسن ماسمعت ١٠٩ ، من غاب عنه المطرب ٢٧٣

(4) خاص الخاص ٢٢٩

(5) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ، الكناية والتعريض/ مقدمة الخاقاني ، عيون التواريخ ٤٦١ طبقات النحاة : ٢ : ١١٠

وقوله [1] :

لا كان فى عينى مجال للسـنة * وجعلت عرضى عرضة للألسـنة

ان ذقت طعم العيش بعدك ساعة * ورأيت يوم البين الا كالسـنة

٦- الاخوانيات :

هذا غرض من أغراض الشعر يقصد به ماكان يدور بين الاصدقاء من الشعراء ، تدفعهم اليه الاخوة الصادقة .

وقد راجت الاخوانيات فى عصر الثعالبي رواجا منقطع النظير ، اذ عنى بها الادباء عناية كبيرة ، فأكثروا من المراسلات الودية شعرا ونثرا الى حد الاسراف ، وهذا صاحبنا الثعالبي له المقام الأوفى فى صياغة الاخوانيات ، وتكاد تسيل رقة لفرط ماحملته من الوان الصفاء فى معانيها وفى لغتها . ونجد مثلا لهذه الشاعرية المترعة بالصفاء فى مثل ماكتب مهنئا أحد اصدقائه بالزواج بقوله [2] : (من المنسرح)

قد لبس الدهر حسن صورتـه * مذ زوج المشترى بزهرتـه

وفى اقتران السعدين مافيه من * اشراق وجه العلى ونضرتـه

فالطرف مستأنس بقرتـه * والقلب يطوى على مسرتـه

وكتب الى صديقه أبى نصر سهل بن المرزبان - وقد لسعته عقرب فى قدمه ، فلما وجدت وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجى - بهذه الأبيات [3] : (من الكامل) :

ياعمدة الامراء والـوزراء * ياعدة الادباء والشـعراء

ياغرة الزمن البهيم وناظر ال * كرم الصميم وواحد الفضـلاء

أرأيت همة عقرب دبت الـى * قدم بها تخطو الى العليـاء

لما ارتقت باللسع اعظم مرتقـى * احنت عليها رتبة العظمـاء

ان ذقت ضراء العقارب فابقين * بعقارب الاصداغ فى السـراء

ياطيب لسعة عقرب درياقها * ريق الحبيب بقهوة عـذراء

وكتب الثعالبي الى الأمير أبى الفضل الميكالى فى جواب كتاب ورد عليه ، قال [4] : (من الخفيف) .

---

(١) معاهد التنصيص جـ٢ ص ٩١ . (٢) أحسن ماسمعت ١٧٩

(٣) دمية القصر ١٨٣ ، كنوز الاجداد ٢٣٧ (٤) زهر الآداب جـ١ ص ١٧٩

أنسيم الرياض حول الغديــر * مازجته ريا الحبيب الأثيــر
أم ورود البشير من فيك أسبيور أبمر رسيــر
فى ملاء من الشباب جديــد * تحت أيك من التصابى نضيــر
أم كتاب الأمير سيدنا الفــر * د فيا حبذا كتاب الأميــر
وثمار الصدور ما اجتبيـــه * من سطور فيها شفاء الصــدور
نمقتهـــا أنامل تفتـــق الأنــوار والزهـــر فى رياض السطور
كالمـــنى قـد جمعن فى النعم الغر مع الأمن من صروف الدهـــور
يا أبا الفضل وابنه وأخــاه * جل باريك من لطيف خبيــر
شيم يرتضعن در المعالـــى * ويعبرن عن نسيم العبيــر
وسجايـــا كأنهــن لـدى النشــر رضـاب الحبيب بأرى مشـور
وحيا لدى الملوك محيـــا * صادق البشر مخجل للبــدور

وقال يشكر الامير الميكالى على سقيه كوما له[1] : (من البسيط) :

يابدر صدر بنيسابور مطلعــه * وبحر جود لأهل الفضل مترعــه
سقيت كرمى ماء فيه أربعــة * من المياه وخير الماء انفعــه
ماء الحياة وماء الوجه يشفعــه * ماء الشباب وماء الورد يتبعــه
بقيـــت مـا بقيـــت نفـــس وما طلعت
شمس وما سار من مدحيك ابدعــه
للعرف تصنعه والخير تزرعــه * والمجد تجمعه والمدح تسمعــه

وقال فى التهنئة بالفطر[2] : (من المتقارب)

أطال الله بقاء الأمــــير * وتوفيقه ثم تأييــــده
ففى كل يوم باقبالـــه * يرى عيده عنده عيــده

وقال فى دعاء العيد[3] : (من الطويل) :

أخوك هلال العيد عادت سعوده * يحاكيك منه نوره وصعــوده
فافطر على دهر يهنيك ناظــر * وابشر بعيد مورق لك عــوده
وعيدت يامن للمعالى قيامــه * وللفضل والافضال فينا قعــوده
بأيمن اهلال واسعد طالـــع * واكمل اقبال يليه خلــوده

---

(١) خاص الخاص ٢٣٨ (٢) المصدر نفسه ٢٤٠ (٣) المصدر نفسه ٢٤١

وقال فى التهنئة بشرب الدواء [1] : (من المنسرح)

ياسيدا حاز طبعه الشرفا * ولم يدع منه لسورى طرفا
لما أخذت الدواء فالطالع السعـ * ـد على العزم منك قد وقفا
جلوت سيف العلا وصفيت تيـ * ـار المجد والعيش شل ذاك صفا
لا زلت تحسو السرور فى مهل * وتنفض الهم عنك والدنفا

وقال فى التهنئة بالفصد [2] : (من المتقارب)

على الطائر السعد بين النعم * وحصن الزمان وطيب النغم
يعالج بالفصد من جوده * دواء لطيف لداء العدم
وقال له دهره واقفا * لديه يسوى صفوف الخدم
عليك دم الكرم فاجعله فى * مكان دم خارج بالسقم
وشربا على الورد ورد الخدود * وورد الغصون وورد النعم
فقد أصبح السقم يبكى دما * بفرقة شخص العلا والكرم

وكتب الى أحد اصدقائه مع هدية أرسلها له وهى سكر وشمع قوله [3] : (من المتقارب)

بعثت الى سيدى سكرا * حلاوته فى قرار الصدور
وشمعا يمزق ثوب الدجى * ويلبس جيرانه ثوب نور

وكتب فى دعوة صديق الى مجلس أنس [4] : (من الوافر)

كتبت اليك من سكر السرور * وكاسات تدور على بدور
وماء الورد يهطل من سحاب الـ * ـبخور على السوالف والنحور
وعين الدهر قد نامت فقامت * لنا سوق الملاهى والسرور
وقد قاد الغلام اليك طرفى * (فرأيك لاعدمتك فى الحضور)

ومن اخوانياته قوله فى عتاب صديق [5] : (من مجزوء الكامل)

إن غبت عنك شكوتنى * واذا وصلت هجرتنى
وتظل لى مستبطئا * فاذا حضرت حجبتنى

ويقول [6] : (من السريع)

---

(١) خاص الخاص ١٤٠ (٢) المصدر نفسه ٢٤٢
(٣) أحسن ماسمعت ١٨٣ (٤) المبهج ٥٢ ، المتشابه ٢٤
(٥) من غاب عنه المطرب ٢٨٨ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٩
(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥١ ، عيون التواريخ ٤٦٢ ، طبقات النحاة واللغويين ٢ : ١١١ .

عندى انسان ولكنـــــه * اكبر لى من كل انســـان
لقاؤه أشهى من البارد الـــ * ـعذب الى غصان عطشـــان
فافترنا عندى افديكمـــا * فانتما راحى وريحانـــى

وكتب الى صديقه أبى نصر سهل بن المرزبان يحاجيه قائلا [١] : (من الرجز)

حاجيت شمس العلم فى ذا العصر * نديم مولانا الأمير نصـــر
ماحاجة لأهل كل مصـــر * فى كل دار وكل قطـــر
ليست ترى الا بعيد العصـــر

فكتب اليه جوابه (من الرجز)

يابحر اداب بغير جـــزر * وحظه فى العلم غير نـــزر
حزرت ماقلت وكان حـــزرى * ان الذى تعنيه دهن البـــزر
يعصره ذو قوة وأزر

وقال فى صديق له منجم [٢] : (من المتقارب) :

صديق لنا عالم بالنجـــو * م يحدثنا بلسان الملـــك
ويكتم أسرار اخوانـــه * ولكن نموم بسر الفلـــك

وكتب الى صديقه أبى الحسن مسافر : (من الكامل) :

يامن تشابهت المحاسن والعلى * فيه واصبحت القلوب برسمــه
فالخلق منه كخلقه والخلق منـ * ـه كلفظه والشعر منه كاسمــه
وغذاء جسمى من سماع يمينـــه * وغذاء روحى من بدائع نظمــه
لا زلت بين سعادة وزيـــادة * وسلمت من سيف الزمان وسهمه

فأجابه ابو الحسن : (فى الوقت والساعة) :

افدى الامام الأوحد الفرد الذى * من شاء فرد زمانه فليسمـــه
لا زال منصورا كما يكنى بـــه * ولتفتخر روح غدت فى جسمه [٣]

وكتب أيضا الى أبى الحسن مسافر (من البسيط) :

من مبلغ الصدر مولانا أبى الحسن * مسافر نكتة الايام والزمـــن
خففت ظهرى من ثقل الخطوب كما * اثقلته بالايادى الغر والمنن
صنائع منك جلت فى الانام وقـــد * دقت معانيك فى الاشعار والفطن
وقد أتانى قريض قد نفثت بـــه * كالسحر والراح والريحان فى قرن [٤]

---

(١) خاص الخاص ٢٤٢
(٢) المصدر نفسه طبعة السمكرى ص ١٨١
(٣) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٨
(٤) تتمة اليتيمة ٢ : ٦٩

٧ـ الشكوى :

ان سبب شيوع أدب الشكوى في عصر الثعالبي هو اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية وما أصاب الناس من ضروب المحن والنكبات وألوان الفاقة والحرمان والبؤس ، " فذوو المناصب الكبيرة كثيرا ماكانوا يتعرضون للقتل والسجن واستصفاء الأموال ، والأغنياء قلما تصفو لهم الحياة ، لانهم مهددون بالاستيلاء على أموالهم ، والمثقفون لا يكادون يحصلون على الكفاف من العيش ، والطبقة العامة فريسة للجوع والمرض والجهل ... لهذا كثرت الشكوى من النكبات والظلم والفقر وسوء الحال كثرة هائلة لا نجد لها مثيلا في أي عصر من العصور ، فكان من أثر ذلك هذا الادب الشاكي الحزين الذي نقرأه في دواوين الشعراء ورسائل الكتاب يندبون فيه الحظ العاثر " (١)

فهذا الثعالبي كانت بيئته مسرحا لاحداث مرة ، فقاسى ماقاساه الناس من شر الاحداث ، ودعا الى الابتعاد عن الانغماس في ملذات الدنيا بقوله (٢) (من الطويل) :

تسل عن الدنيا ولا تخطبنها * ولا تنكحن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح

وهو يكره الليل لأن فيه همه ، ويكره الصبح لأن فيه مطالبه ، فيقول (٣) : (من الطويل) :

الليل أسهره فهمي راتب * والصبح اكرهه ففيه نوائب
فكأنما هذا بطرفي مسهر * وكأن هذا فيه سيف قاضب

ونعرف ان بلاده أصابها القحط ، فقد فني الدقيق فيها ، فيقول (٤) (من الوافر) :

تراني لست احسن نظم لفظ * يزين جليله المعنى الدقيق
ولكن لا تدق بنات فكري * اذا ماقيل قد فني الدقيق

ونراه وهو يصف ريق حبيبه بريق المزن والعنب ، لا يستطيع الهروب من شكواه ، وكيف يهرب منها وهي جادة في طلبه تسلبه صفو الحياة ، فيقول (٥) (من البسيط) :

ريق الحبيب كريق المزن والعنب * أذاقني ثمرات اللهو والطرب
وقد سبت مني الأيام صفوتها * فكيف أهرب منها وهي في طلبي

وقال في شكوى الدهر (٦) : (من الكامل) :

يادهر ويحك قد اطلت جفائي * وتركت ماء معيشتي كجفاء
اتراك تحسب انني من جملة الـ * كتاب والادباء والشعراء
حتى تعاديني كعادتك التي * انحت عواديها على الفضلاء

وقال في هذا المعنى (٧) : (من البسيط)

---

(١) الأدب في ظل بني بويه ٢٣٩ (٢) اللطائف والظرائف ٦ .
(٣) دمية القصر ١٨٣ (٤) خاص الخاص ٢٤٠ (٥) المصدر نفسه ٢٣٤
(٦) المصدر نفسه ٢٤٣ (٧) خاص الخاص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، المبهج ٤١

أقول والقلب مكدود باحـــزان * والصبر أبعد مما بين اجفانـــي
حتى متى أنا يدمى العض انملتى * غيظا على زمن قد رام أزمانـــي
فى كل يوم أرانى فى نوائبـــه * كأننى أصبحى والدهر اسنانـــي

وقال فى يوم من أيام الربيع لم يتهيأ حسنه وطيبه مع حوادث الدهر [1] : (مـــن المتقارب)

صباح محاسنه تستفيـــض * وروض أريض وغيم يفيـــض
فكيف الوفاء بما تقتضيـــه * وحال الجريض دوين القريـــض
ونفسى مريض وهمي عريـــض * وطرفى غضيض وعظمى مهيـــض

وشكا الثعالبى شكوى المحروم ولجأ بشكواه الى خالقه ، فقال [2] (من الوافـــر)

اليك المشتكى لا منك ربـــى * وأنت لنائبات الدهر حسبـــي
تروى غلتى وترم حالـــى * وتؤمن روعتى وتزيل كربـــي

ويكمن وراء هذه الشكوى ديون وحرمان وجور ، فيقول [3] (من الوافر)

ثلاث قد منيت بهن أضحـــت * لنار القلب منى كالاثافـــي
ديون انقضت ظهرى وجـــور * من الايام شاب له غدافـــي
وفقدان الكفاف وأى عيشـــى * لمن يمنى بفقدان الكفـــاف

وكان يصبر على الفقر بقوله [4] : (من الكامل)

بى فاقة غطيتها بتحجـــل * وتحمل وتمحل وتســـتر
فالحال ظاهرها مروءة موســـر * لكن باطنها خصاصة معســـر

وعندما اصابت المجاعة نيسابور ، هاجر منها فقيرا معدما ، فشكا من مصائب الدهر وويلاته قائلا [5] : (من الطويل)

أقول لدهرى وهو يخفض رتبتى * وينحى على مالى ويخلف تأميلـــي
أيا حجرا صلدا منيت ببخلـــه * فلا هو يوريني ولا هو يورى لـــي

وله فى ذم الزمان قوله [6] : (من الطويل)

---

(١) خاص الخاص ٢٤٤ (٢) أحسن ماسمعت ٢٥ ، خاص الخاص ٢٤٤
(٣) برد الأكباد ١٢٤ ، ١٢٥ ، معاهد التنصيص ٤٧٣ ، كنوز الاجداد ٢٣٧
(٤) مرآة المروءات ٣١ (٥) خاص الخاص ٢٤٤
(٦) خاص الخاص ٢٤٤

حمدت الهى والزمان ذممته * فقد طال ما اغرى بقلبى البلابلا
وعندى من لوم الزمان دقائق * أعد لها من فضل ربى جلائلا

وله أيضا قوله (١) : (من الكامل)

كم فى ضمير الغيب من أسرار * تهدى اليسار الى ذوى الاعسار
فاستشعر الظن الجميل توقعا * لمناجح الأوطار فى الأطوار

واضطر الى بيع مملوكه ليدبر بثمنه أمور ضيعته ، فأضاف هما الى همه ، وشكا الدهر الذي أطال نحيبه وتركه وحيدا كالغريب وقد سلبه السرور ، فقال (٢) : (من الكامل)

يا دهر حسبك قد اطلت نحيبى * وتركتنى فى موطنى كغريب
وسلبتنى ثوب السرور بجامع * ما بين وصفى خادم وحبيب
فالشعر منى والدموع لآلىء * من نظم طبعى عاشق وأديب
قد غاب عن ربعى هلال مقمر * فى افق تربيتى وفى تأديبى
فالآن يطلع فى سوى دارى ولا * ينفك فيه القلب رهن نحيب
ند نفيس عند غيرى فائح * وأراه من عجنى ومن تركيبى
وثمين عقد عند غيرى لائح * وأراه من نظمى ومن ترتيبى

واكثر من التحسر على أيام الشباب فى مثل قوله (٣) : (من الطويل)

سقى الله اياما لنا لسن رجعا * وسقيا لأيام الشبيبة من عصر
ليالى اعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

وشكا من كبر العمر فى مثل قوله (٤) : (من البسيط)

أبلى جديدى هذان الجديدان * والشأن فى أن هذا الشيب ينعانى
كأنما أعتم رأسى منه بالجبل الـ * ـراسى فأوهمنى ثقلا وأوهانى

وكثيرا ماكان يسيطر الحزن والألم على شكواه ، حتى فى مجال الوصف والمديح والغزل ، ففى الغزل كان يربط الشكوى بالغزل كما ذكرنا سابقا فى قوله :

---

(١) خاص الخاص ٢٤٤ (٢) المصدر نفسه ٢٤٤
(٣) من غاب عنه المطرب ٢٦٩ (٤) المبهج ٢٨

(ريق الحبيب كريق الدن والعنب .. الخ) . وفي المديح نراه يشكو من طول ليلته عندما قال [1] في الشيخ الوزير أبي نصر احمد بن محمد (من الكامل) :

يا ليلة طالت كأن نجومها * غرماء ارقبهم لدين واجب
والبدر كالشيخ الأجل تمنطقت * قدامه الجوزاء مثل الحاجب

وأما في مجال الوصف فانه لما وصف متنزه البشتقان في نيسابور رأيناه يختم وصفه بآهة عميقة وايقاع حزين في قصيدته التي سبق أن اثبتناها في غرض الوصف من هذا الفصل حين قال :

" تنزه سمعي ما اراد وناظري * وقلبي مع الاحزان لا يتنزه "

وقد تحمل من الزمان العبء الثقيل وقوست الخطوب قناته فقال (من الخفيف) [2]

كم الى كم تبرمي بحياتي * اتلوى تلوى الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل * وخطوب قوسن مني قناتي

وقال (من السريع) [3] :

أما ترى الدهر وأيامه * في العمر مثل النار في الشيح
يمر كالريح وما في يدي * من مرها شيء سوى الريح

وقال [4] : (من الوافر)

لك الدنيا وما فيها بلاد * تلاحظها بعينك احتقارا
تكبر ذا الزمان على بنيه * فعش حتى تحلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى ترد هم صغارا
خدمت لك الملوك اروض نفسي * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت لنا الدنيا جعلنا * لك الدنيا وما فيها نثارا

وكتب الى ابي نصر سهل بن المرزبان في الشكوى قائلا [5] : (من مجزوء الرجز)

كتبت من صومعة * تسمح بالقوت العسر
والدهر من جفائه * يلبس لي جلد النمر
فمساء عيش كدر * ونجم حالي منكدر

---

(١) خاص الخاص ٢٣٨ (٢) كتاب أبي نصر ١٠ (٣) خاص الخاص ٢٠
(٤) ريحانة الالبا ١ : ٤٣٣ (٥) ثمار القلوب ٢٩٩

في فنون مختلفة : في (الاقتباس من آيات القرآن الكريم)

قوله : (من الطويل)

ألم تر أن الله أوحى لمريـــم * وهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له ســـبب (١)

وقال (من البسيط) اقتبس من سورة البقرة وسورة المسد :

وكاتب كتبه تذكرنـــي ال * قرآن حتى أظل في عجـــب
فاللفظ قالوا قلوبنا غلـــف * والخط تبت يدا أبي لهـــب (٢)

قوله في تقلب الايام : (من البسيط) :

قال حين وهي أمر خلف بن احمد والي سجستان :

من ذا الذي لا يذل الدهر صحبته * ولا تلين يد الايام صعدتـــه
أما ترى خلفا شيخ الملوك غـدا * مملوك من فتح العذراء بلدتـه
قد كان بالأمس ملكا لا نظير لـه * فاليوم في الاسر لا ينتاش اسرته (٣)

وقال في الهزل والمداعبة : (من السريع)

ارسلت في وصف صديق لنـــا * ماحقه الكتبة بالمسجـــد
في الحسن طاوس ولكنــــه * اسجد في الخلوة من هدهد (٤)

وقوله في الشيب : (من الوافر)

أبا منصور المغرور أقصــــر * وأبصر طرق اصحاب الرشــاد
الست ترى نجوم الشيب لاحت * وشيب المرء عنوان الفســاد (٥)

وقوله من المتقارب :

على بند كصفو الزمــــان * ونيل الاماني وحرز الامـــان
اذا نالت النار من جسمـــه * اتت روحه بنسيم الجنـــان (٦)

---

(١) شرح المقامات الحريرية للشريشي ١ : ١٠٢ ، دار از المجالس ١٣٠
(٢) كتاب أبي نصر ٢٤ (٣) اليميني ١ : ٣٧٤
(٤) خاص الخاص ٣٣ ، ثمار القلوب ٤٨٧
(٥) أحسن ماسمعت ١٤٥ (٦) المبهج ٤٥

قال (في هجاء بعض الحكام :

قال (من مجزوء الرجز) :

من كان ينفعـــــه الأدب * ويجله اعلى الرتـــــب

فلقد خسرت عليه مـــــا * ورثت مـــــن أم وأب

كم ضيعة كانت تصـــو * ن الوجه عن ذل الطلـــب

اتلفتها لا في القيـــــا * ن ولا هو في نبت العنب

بل في الحوادث والحـــوا * ئج والشوائب والنـــوب

كم قلت لما بعتهـــــا * وحصلت في أسر الكـــرب

ذهبت دجاجتنا الـــتي * كانت تبيض لنا الذهـــب (١)

وقال يتحسر على أيام الصبا والشباب: (من السريع)

سقيا لأيام الصبا اذ أنـــا * في طلب اللذات عفريـــت

أصيد كالبازي ولكنـــني * أحكي العصافير اذا شيـــت (٢)

قال الثعالبي : وكنت قلت في صباي أبياتا منها (من السريع)

كم حيلة للوصل اعلمتهـــا * وكم خداع قد تمحلتــــه

أسرحوا في ارتغـــاء اذا * ناجيت من أهوى فقبلتـــه

فأنشدني الاستاذ ابو العلاء بن حسول ايده الله بعد مدة طويلة لنفسه في هذا المعنى بعينه :

جذبت كفي الغدائر منــــه * فشممنا منها نسيم العـــرار

التثم الصدغ والسوالف منـــه * احتجاجا بأننا في ســـرار

فتعجبت من اشتراك الخواطر والتوارد في البديع (٣)

---

(١) ثمار القلوب ٤٩٨، ٤٩٩ وصدره بقوله : وفي هذا المثل ـ بيضة الذهب ـ قال الشاعر يهجو بعض الحكام . وريحانة الألبا ٢ : ٤١٩ وصدره بقوله : ونظم ـ اي المثل الذي يقول : الدجاجة التي كانت تبيض الذهب بمعناها ـ الثعالبي بقوله .

(٢) ثمار القلوب ٤٩١ (قال بعض أهل العصر) ومن غاب عنه المطرب ٧٥

(٣) تتمة اليتيمة ١ : ٩٥

٨ــ الحكمة : لقد شاع شعر الحكم والامثال فى عصر الثعالبى حتى انه افرد ابوابا عديدة من كتبه لهذا الغرض ، وهذا يفسر لنا قلة شعره فى هذا الغــرض ، ولعله استغنى بما ساقه من أقوال فى الحكم فى كتاب (المبهج) عن نظمهــا شعرا ايمانا منه بأن النثر الصق بالحكمة من الشعر . "(١)

قال فى الحكمة (من الطويل)(٢) :

اذا المرء أعيته المروءة ناشــئا * فمطلبها كهلا عليه ثقيــــل

وقوله(٣) (من الكامل) :

هذا عذارك بالمشيب مطــــرز * فقبول عذرك فى التصابى معوز

ولقد علمت وما علمت توهمــــا * ان المشيب بهدم عمرك يرمــــز

(القناعة كنز لا يفنى) ، قال فى المعنى نفسه(٤) : (من البسيط) :

هى القناعة فالزمها تعش ملكــا * لو لم يكن منك الا راحة البدن

وانظر الى مالك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

٩ــ الرثــاء : روى بعضهم أن بعض العرب سئلوا ــ مابال أفضل اشعاركم الرثاء ؟ فأجابوا : لأننا نقولها وقلوبنا موجعة ، أي لأنها صادرة عن عاطفة حارة خالية من التكلف . "(٥)

لعل الثعالبى قال فى الرثاء الكثير ، ولكن معظمه ضاع ضمن ماضاع من شعره ومن كتبه ، ولم يبق لنا سوى أربع مقطوعات وردت فى (تتمة اليتيمة) وفى (اليمينــى وفى (أحسن ماسمعت) وفى (معجم الادباء) .

وقد بالغ فى رثاء السلطان محمود الغزنوى حين قال(٦) : (من الخفيف)

عجبا من تماسك الأفــــلاك * ومساغ الزلال فى الاحنـــاك

وثبات الجبال بعد زوال الــــ * ــطود ذى الطول مالك الأمـــلاك

فلسأن الزمان شاك وطرف الـــ * ــدهر باك والرزء فى الملك نـاك

وقال فى رثاء الصاحب بن عباد (من الهزج)(٧) :

الا ياغرة العليا * الا يانكتة الدنيــا

وشمس الارض فرد الدهر عين السودد اليمنى

أما استحيا ابو يحيى * لفض المهجة الكبرى

لئن ختمت بك الدنيا * لقد فتحت بك الاخرى

---

(١) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٩٣ (٢) مرآت المروءات ٢٦ (٣) المبهج ٣٨
(٤) المبهج ٤٧ (٥) الشعر فى ظل سيف الدولة ٢٤٨ (٦) تتمة اليتيمة ١ : ١١٧
(٧) اليمينى للعتبى ٩٣

وقال يرثى حمد بن محمد الخطابى (١) : (من الخفيف

انظروا كيف تخمد الأنــــوار * انظروا كيف تسقط الأقمــار

انظروا هكذا تزول الرواســـى * هكذا فى الثرى تغيض البحار

أما تعزيته لخوارزم شاه عن أحد ابنائه فقد قال فيها (٢) : (من مخلع البسيط) :

قل للمليك الأجل قـــدرا * لا زلت بدرا تحل صــدرا

انى اعزيك عن عزيـــز * كان لريب الزمان عــذرا

وكان طهرا فصار أجـــرا * وكان ظهرا فصار ذخــرا

* * *

(١) معجم الادباء ٢ : ٨٦

(٢) أحسن ماسمعت ١٨٤

خصائصه :

لقد كان الشعر فى البيئة الشرقية فى عصر الثعالبى يغلب على أساليبه مايغلب على اساليب الكتاب من كلف بالزخرف اللفظى وتعمد اصطناع المحسنات البديعية ، وبعد عن الروح العربية التى ظلت تتسم شعر أهل الحجاز والشام بميسمها الخاص ، وهذا شاعرنا الثعالبى يجرب حظه فى قول الشعر فى تلك البيئة التى استمد ثقافته منها ، فكان الشعر عنده تعبيرا عن خلجات نفسه اكثر منه وسيلة لكسب المال ، ويغلب على شعره ماغلب على شعر البيئة والعصر من زخرفة لفظية وتعلق بفنون البديع ، فكان شعره اشبه مايكون بنثره من هذه الناحية .

لقد تعمد استكمال الجناس فى مثل قوله (١) : (من المتقارب)

أطال الله بقاء الأمير * وتوفيقه ثم تأييده

ففى كل يوم باقباله * يرى عبده عنده عيده

وقوله (٢) : (من البسيط) :

قولوا لعثمان فى اوقات طيبته * اذا تبسم عن در وياقوت

انى أراك تبيح الناس قوتهم * ففيم تمنع عنى القوت ياقوتى

وقال (٣) (من مجزوء الكامل) :

واها لغزنة اذ غدت * للملك والاسلام دارا

من كعبة قد أصبحت * للمجد والعليا مدارا

فى صدرها الملك الذى * قطب السعود عليه دارا

وقد ورد الطباق فى شعره دون تكلف فى مثل قوله (٤) (من الكامل) :

وحيدت يامن للمعالى قيامه * وللفضل والافضال فينا قعوده

وفى قوله (٥) (من الكامل) :

كم فى ضمير الغيب من أسرار * تهدى اليسار الى ذوى الاعسار

وجاء الترصيع فى شعره نتيجة حبه للسجع فى النثر فى مثل قوله (٦) : (من المتقارب)

وانسى مريض وهمى عريض * وطرفى غضيض وعظمى مهيض

وكان كلفا بالمبالغة والتهويل فى مثل قوله فى مدح الأمير الميكالى (٧)

(١) خاص الخاص ٢٤٥ (٢) أحسن ماسمعت ١٢٦ (٣) نهاية الأرب ١ : ٣٦٥
(٤) خاص الخاص ٢٤٥ (٥) خاص الخاص ٢٤٥ ، ثمار القلوب ٦٨١
(٦) خاص الخاص ٢٤٤ (٧) زهر الاداب ١ : ١٣٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠

ياكعبة المعالـــــي * وقبلة الآمـــــال
وغرة الجمـــــال * وصورة الكمـــــال
وطالع الاقبـــــال * وعارض الأفضـــــال
وآفة الأمـــــوال * بدر بني ميكـــــال
كم لك من فعـــــال * أصفى من الزلال
أحلى من السلسال * أبهى من اللآلـــــي
أزكى من الغوالـــي * أمضى من الموالـــي
أسرى من الخيـــــال * أبقى من الجبـــــال
فاسلم على الليالـــي * ودم بخير حـــــال

ومن الاعيبه اللفظية قوله (١) من المتقارب

كتبت وشنيات خالي جلبـــــ * ـــن على من جل عن مشبه
فشوقي اليه وشكري لـــــه * وشعرى فيه وشغلي بـــه

وقوله (٢) من الكامل

رمضان ارمضني فأمرضني بصا * دات على عدد الطباع الأربعة
صوم وصفراء تجرعني الـــرد ى * وصبابة وصدود من قلبي معه

وقد أحيانا يجمع عدة تشبيهات في البيت الواحد في مثل قوله (٣) من المتقارب

وفيك لنا فتن أربـــــع * تسل علينا سيوف الخـــوارج
لحاظ الظباء وطوق الحمـــا * م ومشى القباج وزى التـــدارج

وكثر استعماله للالفاظ الفارسية في قوله (٤) من الهزج

اذا ما نقل الدهقـــا * ن غلات الرساتيـــــق
فكم من نعمة بيضـــا * ء في سود الجواليـــــق

ومثل قوله (٥) : (من الطويل)

وما المرء الا بمقلوب اسمه رجـل * بالفارسية فافهم أيها الرجـــل
فان يكن خاليا مما رمزت بـــه * بضم ميم اسمه قد جاءه الأجـل

---

(١) برد الاكباد ١٣٥ (٢) برد الاكباد ١٣٥
(٣) فقه اللغة ٥٥٧ وثمار القلوب ٤٩٠، ٦٢٤
(٤) لطائف المعارف ٢٠٦ (٥) الثعالبى ناقدا وأديبا ٤٥٠

وواضح أن معنى هذين البيتين يقوم أساسا على فهم مايقابل كلمته (رجل) بالفارسية وهو (مرد) ومقلوبه (د رم) ،ولا معنى لهذه الكلمة بالفارسية الا ان تكون مخففة من كلمة (د رهم) ،وهى فارسية معربة ، أما (مرد) بضم الميم فتعنى الميت •

وكان يضمن شعره ألفاظا أفادها من مصطلحات المحدثين فى مثل قوله (١) : (من الطويل)

سقطت لجبينى فى الفراس لزمته * أضم الى قلبى جناح مهيض

وما مرضى غير حبى وانما * أدلس فيكم عاشقا بمريض

واستعمل بعض مصطلحات الصوفية فى قوله فى أبى سليمان الخطابى (٢) (من البسيط)

أبا سليمان سر فى الأرض أو أقم * فانت عندى ءدنا مثواك أو شطنا

ماأنت غيرى فأخشى ان افارقه * قربت روحك بل روحى فأنت أنا

وقد أحال النثر نظما حين حول قول الصاحب بن عباد " الخراج خراج دواؤه فى أدائه " الى ابيات شعر (٣) (من المجتث) :

قد قلت قولا سديدا * يروى العطاش بمائه

ان الخراج خراج * دواؤه فى أدائه

ولاحظت أن الثعالبى كان يؤثر البحور الطويلة فى معظم شعره •

ويجب ان لا ننسى أن " الثعالبى كان يقول الشعر على طريقة الكتاب المترسلين والمتأدبين ، فهو يعتبره فنا له اشكاله وقوانينه اكثر منه فنا يعتمد على الالهام وانتفاضة الشعور ، ومن هنا جاء شعره أقرب الى الصنعة والصق بالمحسنات اللفظية • " (٤)

واحيانا كان يقتبس من آى الذكر الحكيم ، شأنه فى ذلك شأن شعراء وادباء عصره ، منهم الصاحب بن عباد حيث يقول (٥) :

تزلزلت الأرض زلزالها * فقالوا بأجمعهم مالها

مشى ذا الثقيل على ظهرها * " فأخرجت الارض اثقالها

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٨ (٢) خزانة الأدب ١ : ٢٨٢ر٢٨٣

(٣) المبهج ٢٩ ، اللطائف والظرائف ٣٠

(٤) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ص ١٧ •

(٥) الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ٢٤٠

ولا غرو في ان شعره جاء أقرب الى الصنعة والصق بالمحسنات اللفظية ، لأنه عاش في عصر ساعد على نمو الصناعة فيه ، ان ذلك العصر كان مصبوغا بالصبغة الفارسية ، والفرس قوم يغلب عليهم التأنق في المعيشة والامعان في ذلك التأنق وهم يميلون الى الزخرفة في كل فنونهم ، ولا شك أن ذلك له أثره في اتجاه الأدب العربي الى البديع وفنون الصناعة .

* * *

: : الفصل الثانـــى : :

" نثر الثعالـــــبى "

— ١ —

جاء العصر العباسى وقد أخذ النثر الفنى يزدهر ويتطور ، ويتخذ وضعا فنيا يعتمد على التأنق فى العبارة والدقة فى المعنى ، والتسلسل فى الفكر .

وقد ازداد هذا النثر نموا وازدهارا ودقة وتأنقاً نتيجة للحضارة ، وتأثـــرا بالفلسفات والمنطق والثقافات الوافدة .

وما أن جاء القرن الرابع الهجرى حتى كان النثر الفنى يتخذ لنفسه أساليـــب معينة وسمات مميزة ، وأخذ اسلوب الكتابة الفنية يميل الى الزخرف والتأنق والصنعة ، وامتازت هذه الكتابة امتيازا ظاهرا بلزوم السجع القصير الفقرات ، وباستعمال الجناس وبعض انواع البديع ، وباستخدام معانى الشعر واغراضه وحل معانيه واصطناع طرائقه ، حتى كادت الرسائل تكون شعرا منثورا ، وكثرت فيها عبارات التعظيم والتفخيم للملـوك والامراء ، والاقتباس من كلام الخلفاء وتضمين الأفذاذ من ابيات الشعراء ، ولا عجب من ذلك اذ كان معظم كتاب دول المشرق الاسلامى الذين اشتهرت هذه الطريقـة على ايديهم من الفرس ، وهم أميل الناس الى الحلية اللفظية ، والغلو فى عبـارات التمجيد والتعظيم ..

ومع هذا لم تخل كتابة كثير من هؤلاء من جزالة اللفظ ، وحسن انتقائـــه ، واجادة استعماله فى مواضعه ، وجمال اسلوبه .

وبذلك يمكننا أن نفهم حالة النثر فى أيام الثعالبى فهما شاملا عن طريـــق دراسة هذا التراث الأدبى الضخم الذى حمـل سمات البيئة وعبر عن مظاهرهـا أصدق تعبير .

ويمثل نثر الثعالبى جانبا من هذا التراث ، حتى يكاد الحديث عن خصائـص النثر فى البيئة الشرقية يكون حديثا عن خصائص نثر الثعالبى نفسه ، فبالرغم من أن الرجل أبدع صورا أدبية خلدت اسمه بين مشاهير كتاب عصره ، فإنه لم يكن ليتميـــز عنهم كثيرا ، أو يخالفهم فيما دأبوا عليه من أساليب تصطنع التأنق فى اللفظ ، وتميـل الى التعمق فى المعنى الحضارى الذى يرضى الذوق المثقف .

لقد عبر الثعالبي عن ميله الى التأنق في الاسلوب ، وأصبح السجع ضروريـــا للبليغ ،حتى قال في وصف أحد البلغاء : " البلاغة خالصة لديه ، ومقصورة عليـــه ، ومركبة فيه ، ومسخرة لطاعته ، ان مدح سجع ، وان أثنى أبدع " (١)

وذكره الوطواط في الغرر ص٢٧٧ فقال : " وصف الثعالبي صديقا له ، فقال : فلان كريم ملء لباسه ، موفق مدى انفاسه ،ذو وجد كملو الجد ، وهدى كحديقة الورد ، عشرته الطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال ، والصق بالقلـــب من علائق الحب :

فتى قد قد السيف مانا؛ عـــوده * ولا وهنت اعضاؤه ومفاصلـــــه
اذا جد عند الجد الهاك جده * وذو باطل ان شئت الهاك باطله

وذكر ايضا في ص٢٩٢ قوله : " اذا كان الصديق المجانس متعذرا ،وصحيـــح الاخاء لا يكاد يرى ، فالثقة بغير الله منقصمة العرى . "

من هذين النصين نرى أن الثعالبي كان يتأنق في اسلوبه ،ويحسن تخـــير الألفاظ والتنسيق والرصف ، كما يمعن في دقة المعنى ، ويلتزم السجع ، وان جاء به في جمل متوسطة الطـول :

وقد كان الثعالبي أيضا يعجب بالاسلوب السهل الواضح ، الذى يعلـــق بالقلب دون عناء ، فيقول : " أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مصنعه . " (٢)

وأحيانا كان يأتي نثره مرسلا ، يكاد يخلو من المحسنات البديعية كقوله في ترجمـــة الواثقي : " ومن خبره أنه كان نزع بأهله الى الحضرة ببخارى ، راجيا أن يحل بهـا محل اقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله ،أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعـض الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الاقامة بها ، وكثرة الخدمة لأركانها على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضبا ، يتوغل بلاد الترك ، الى أن القى عصاه بحضرة عظيمها (نهر أفاخان) . " (٣)

" وقد كان للثعالبي أثره في شيوع السجع والتصنيع ، فقد قدم للأدباء مـــن كتاب وشعراء في يتيمته بمقدمات مسجوعة ، اعتمد فيها على زخرف البديع . " (٤)

---

(١) سجع المنثور — ورقة ٢ ظهر
(٢) التمثيل والمحاضرة ١٥٨
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٩٢
(٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي ١٥٧

ولكنى وجدت من خلال دراستى لآثار الثعالبى أنه لم يتخل عن وضوح المعنى وبساطة التعبير ، مع التزامه أحيانا بالسجع والتصنيع ، وكيف لا وهو الذى تأثر باسلوب القرآن الكريم الذى كان موردا عذبا لثقافته ، وكذلك تأثر بأساليب النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، وتعلق باللغة العربية ، ودرس علومها وآدابها .

— ٦ —

ومن دراستنا لآثار الثعالبى نستطيع أن نلخص طريقته النثرية فى السير على منوال عصره من حيث التأنق فى فن الكتابة ، والاحتشاد لها ، واصطناع السجع ونحوه من الوان البديع ، والبراعة فى اختيار الألفاظ والصور الجميلة والمعانى الدقيقة اذا استثنينا بعض التراجم والأخبار ، فانه كان يتخلى عن الصنعة أو يكاد ، حيث يرسل كلامه ارسالا على سجيته دون تأنق أو احتشاد ، على أنه بصفة عامة كان مقتصدا فى استعمال الصنعة البديعية والسجع اذا قيس بغيره من الكتاب .

لقد اهدى " الاقتباس من القرآن الكريم " للأمير أبى المظفر نصر بن ناصر الدين و " فقه اللغة " للأمير أبى الفضل الميكالى و " التمثيل والمحاضرة " للسلطان قابوس بن وشمكير .

وكان نفسه طويلا فى مقدمات كتبه التى عثرنا عليها بعد أن فقد منها الكثير . وقد تأنق فى تدبيج هذه المقدمات ، لأنها مقدمات كتب أهداها الى من جمع الله لهم الى عزة الملك بسطة العلم ، وهو يتوج هذه الكتب بلمع من ثمار بلاغتهم .

لهذا نجده يحرص على أن تخرج مقدماته قطعا فنية خالصة ، لا تخلو من جمال اللفظ وطرافة المعنى .

وقد ذكرت آنفا أن الثعالبى كثيرا ماكان يقتبس من آى الذكر الحكيم وبخاصة فى كتابه (الاقتباس من القرآن الكريم) فمن ذلك قوله :

" الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين على نعمه التى لا يبلغ اقصى حمد الحامدين أوائل حدودها ، ومنحه التى لا تؤدى نهايات شكر الشاكرين ادانى حقوقها . "(١)

---

(١) الاقتباس ورقة (١) وجه

أين الاقتباس من القرآن؟

وقوله فى مقدمة " تحفة الوزراء " : " الحمد لله مبدع الأشياء بمتقن نظرته ، ومودعها لطائف حكمته ." (١)

وقال فى مقدمة " غرر أخبار الملوك " : " أما بعد حمد الله مدبر الأفلاك فى سمائه ، ومستخلف الأملاك فى أرضه ." (٢)

ويقول فى مقدمة " المبهج " : " أما بعد حمد الله استجاحا ، والصلاة على نبيه المصطفى غدوا ورواحا ." (٣)

لقد ضمن الثعالبى مقدمات كتبه مديحا فضفاضا لعظماء عصره الذين أهداهم كتبه ، مدحهم بطول العمر ، ودوام السلطان والسعادة والعزة والفضل ، فقال فى تقديم كتاب أهداه لخوارزم شاه ، وهذا الكتاب هو " نثر النظم " قال فيه : " أيام مولانا الملك المؤيد العالم العادل المسدد ولى النعم أبى العباس خوارزم شاه ، أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ." (٤)

وقال فى تقديم كتاب آخر للأمير شمس المعالى قابوس بن وشمكير : " خير من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة الى نفاذ الحكم ، وجعله مبرزا على ملوك العصر ومدبرى الأرض وولاة الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلها بالعبارات ، ومحاسن سير تطرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها ألسنة الليالى والأيام ، وهذه صفة تغنى عن تسمية الموصوف ، لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه اياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها لمولانا الأمير الأجل شمس المعالى ، أطال الله بقاءه ، ونصر لواءه ، وعليه مقصورة وبه آنسة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ، بمعاينة الآثار وشهادة الأخيار واجماع الأولياء ، واتفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافى الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ." (٥)

وهذا النموذج نلمح فيه روح الجاحظ وطريقته فى الترادف وكثرة استعمال

---

(١) تحفة الوزراء ورقة ١ وجه
(٢) غرر اخبار الملوك (المقدمة)
(٣) المبهج ص٢
(٤) نثر النظم للثعالبى ص٢
(٥) التمثيل والمحاضرة للثعالبى ص٣ ، ٤ ، وزهر الآداب جـ ٢ ص ٤١٦ .

حروف الجر ، وذلك الى جانب ماقررناه من اقتصاده فى استعمال السجع وعـدم الالتزام به على الدوام .

وقد كان يحس أن بين من يهديهم كتبه أدباء لا يستطيع اللحاق بهم ،ولهذا يفضلهم على نفسه ، وربما كان هذا تواضع العلماء ، مثل تفضيله للشيخ الاديب أبى الحسن مسافر بن الحسن حين قال فى تقديم كتابه " خاص الخاص " : " وانى حين أخدمه بكتبى كمن يهدى الخضاب الى الشباب . "(١)

وقال فى تقديم كتابه " الايجاز والاعجاز " الى القاضى الهروى : " وان كنت فى ذلك كمن يهدى الى الشمس نورا أو يزيد فى البحر نهرا . "(٢)

وشبه نفسه حين حمل كتابه " لطائف المعارف " الى خزانة السلطان محمود الغزنوى " بمن يحمل كوزماء اجاج الى بحر عجاج "(٣)

وهذا دليل على تأثره بأمثال الخاصة من أهل عصره ،وقد ساقها فى كتابـه الامثال ورقة ٧ ظهر .

ان من امثال الخاصة قوله : " فلان يسوق الى البحر نهرا ، ويهدى الى البدر نورا ،ويزيد فى الشمس ضوءا . ولم يكفه أن يأتى بمثل هذا التشبيه فى نثره ،بـل أتى به مستشهدا بشعر صديقه البستى حين قال : من البسيط

لا تنكرن اذا اهديت نحوك من * علومك الغر أو آدابك النتفـا

فقيم (الباغ)(٤) قد يهدى لمالكه * برسم خدمته من باغه التحفـا

وفى بعض مقدماته نجد التزاما عجيبا للسجع بحيث يلتزم بالقافية فى فقرات كثيرة كما يقول فى مقدمة (الاقتباس) : " وتهيأ الفراغ من هذا الكتاب الذى لولا ماأتهمه من حسن رأيى فيه ،واخاف من فتنة اعجابى به ،لقلت انه كتاب بديع الصنع ،شريـف المودع ، جليل الموقع ، هنىء المكرع ،لذيذ المترع ،انيس المرأى والمستمع ،انيـق المبدأ والمقطع ، مفيد المغزى والمنتجع . "(٥)

وكثرت التشبيهات الرائعة فى مقدمة (من غاب عنه المطرب) كقوله فيه " هـذا الكتاب يشتمل على محاسن الألفاظ الدعجة ،وبدائع المعانى الأرجة ، ولطائـف

---

(١) خاص الخاص للثعالبى ـ طبعة السمكرى ص٤ (٢) الايجاز والاعجاز ص٨

(٣) لطائف المعارف ص٣ (٤) الباغ: كلمة فارسية بمعنى المزرعة

(٥) الاقتباس ورقة ١ وجه وظهر

الأوصاف التى تحكى أنوار الأشجار ، وانفاس الاسحار ، وغناء الأطيار ، وأجياد الغزلان ، واطواق الحمام ، وصدور البازات والشهب ، واجنحة الطواويس الخضر ، وملح الرياض ، وسحر المقل المراض وتحرك الخواطر الساكنة ، وتبعث الأشواق الكامنة ، وتسكر بلا شراب ، وتطرب من غير اطراب ، وتهز باطرابها كما هزت الغصن ريح الصبا ، وكما انتفض العصفور بلله القطر ، من نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد . " (١)

ونجده فى هذه المقدمة لا يحيد عن عادته فى تضمين الأفذاذ من ابيات الشعر فى نثره .

وهنا يضمن تشبيهاته شطرا من بيت الشعر :

وانى لتعرونى لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ولكنه نثره كنثر الورد .

وهكذا نرى تأنقا فى اللفظ ، وطرافة فى المعنى ، وتشبيهات رائعة ، وتضمينا لأبيات الشعر فى نثره .

— ٣ —

هذه هى السمات العامة التى تكاد تغلب على اسلوب الثعالبى ، كما تغلب على بعض مقدماته العاطفة الصادقة ، لاسيما اذا كان من يهدى اليه الكتاب صديقا قريبا الى قلبه ، من ذلك مانقرأة فى مقدمة " نسيم السحر " حيث يقول : " ان لقاء الشيخ الأجل الأوحد أبى الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمرى نسيم الصبا على كبد المكروب ، وترياق سم الهموم على قلب المغموم ، وقد طالما اشتقته حتى رزقته ، وتمنيته حتى رأيته ، واقتبست من نوره ، واغترفت من بحوره ، واستظهرت على كربة الغربة بحسن عشرته ، وتداويت من جروح الزمان بطيب كرمه ، ووجدت ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب فى آثار يده ، وثمار لطفه ، وانعقدت بيننا حال فى المودة توفى على اللحمة " (٢)
أما الميكالى الذى اهداه الثعالبى عددا من كتبه ، فقد حظى بكثير من الاطراء فى مقدمات تلك الكتب ، وكانت هذه المقدمات قطعا فنية فى المدح ، تغلب عليها العاطفة الصادقة ، ويحس الثعالبى بان الاسلوب النثرى عاجز من التعبير عما يريد

---

(١) من غاب عنه المطرب ٠ ٢٣

(٢) نسيم السحر للثعالبى — ورقة ١ وجه

أن يعبر عنه ،فيستعين بالشعر يرصع به كلامه .

ولنسمع ماقاله فى مقدمة " فقه اللغة " حين يمدح الأمير الميكالى الذى أصبح الثعالبى من المقربين لديه ، وأصبح صديقا وفيا له ، يقول فيه : " وأيم الله مامن يوم اسعفنى الزمان بمواجهة وجهه ، واسعدنى بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ،فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ،ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الكرم والفضل من الحاظه ، وانتهبت فرائد الفوائد من الفاظه ، الا تذكرت ماانشدنيه — أدام الله تأييده — لعلى بن الرومى : من البسيط :

لولا عجائب صنع الله مانبتت * تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

وانشدت فيما بينى وبين نفسى ورددت قول الطائى (من الوافر) :

فلو صورت نفسك لم تزدها * على مافيك من كرم الطباع

وتلثت بقول كشاجم : من الكامل :

ماكان أحوج ذا الكمال الى * عيب يوقيه من العين

وربعت بقول المتنبى : من الوافر :

فان تفق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه لسان أبى اسحق الصابى حيث قال للصاحب ورثة الله اعمارها ، كما ورثه فى البلاغة أقدارها : من السريع

الله حسبى فيك من كل ما * يعوذ العبد به المولى

ولا تزل ترفل فى نعمة * انت بها من غيرك الأولى

وما أنسى لا أنسى أيامى عنده بفيروز اباد احدى قراه برستاق جوينى سقاها الله مايحكى اخلاق صاحبها من سيل القطر ، فانها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته المطرية ،وآدابه العلوية ، والفاظه اللؤلؤية ،مع جلال انعامه المذكورة ،ودقائق اكرامه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله التى يعيا بها الواصفون ، انموذجات من الجنة التى وعد المتقون . " (١)

وقلما تحمل مقدمات كتبه آراء نقدية لمادة الكتاب كما فى مقدمة " يتيمة الدهر "

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ص٨ ، ٩

حينما علل سبب تفضيله شعراء الشام على شعراء العراق وما جاورها ، على أنه قد ينهى مقدماته بالدعاء لمن يقدم الكتاب له ، فيجمع فى هذا الدعاء جمال اللفظ ورشاقته وطرافة المعنى ودقته ، كقوله فى مقدمة " ثمار القلوب " الذى أهداه للأمير أبى الفضل الميكالى ، بعد ذكر أبواب الكتاب ، يقول : " جعلها الله أبوابا مفتوحة للأمير السيد الى امنيته ، وعرفه من بركاتها مايربى على عدد سطورها ، بل حروفها برحمته " (١)

والمطلع على مقدمات كتب الثعالبى يجدها متشابهة ، تسير على وتيرة واحدة لا فرق فيها بين مقدمة كتاب وكتاب ، من ناحية الطريقة والموضوع والدعاء .

ومهما يكن من أمر فاننى لا أجانب الصواب ، اذا قلت ان مقدمات الثعالبى لكتبه القيمة تجف بعدها غدر محاسن الكلام ، لما تحويه من رونق كلام ، وحسن نظام ، وتأنق فى الصياغة ، وتخير الألفاظ ، وجودة التأليف .

— ٤ —

لكل موضوع عند الثعالبى وزنه وحجمه ، فعندما يتحدث عن موضوع بعيدا عن الخيال يكون الغالب على كلامه الاسلوب العلمى ، حيث لا يحتاج الى تأنق فى اختيار الألفاظ ، من ذلك قوله فى كتابه " مرآة المروءات " : " الطعام قوام الأبدان ، ومادة الحياة ، ولابد منه على كل الأحوال ، وكلما كان الطف طبخا ، وأحسن لونا ، وأزكى رائحة ، واطيب طعما ، كان الطبع اليه أميل ، والهضم أجود ، والغذاء اكثر والقوة أبلغ ، والقدرة على امور الدنيا والدين اكمل ، فمن المروءة تنظيفه وتحسينه وتجويده وتطييبه ، كيف لا ، والله عز ذكره يقول : " قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق " وقال ايضا عز وجل : كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا . " (٢)

فنحن لا نلاحظ هنا حرصا على سجع ولا غراما بزينة لفظية .

وأما فى كتاب " غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم " فقد اصطنع اسلوبا ادبيا ، وصورا خيالية ، وصنعة بديعية تتفق مع موضوعه ، لأن الخيال يلعب دوره فى أخبار ملوك الفرس ، وقد أحس الثعالبى أن قصته حياة (اسفندياذ) لا يصدقها العقل ، فقال فى تقديمها : " هذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم مما لا يقبله العقل ،

---

(١) ثمار القلوب للثعالبى ص٨ (٢) مرآة المروءات للثعالبى ص ١٠

ولا يصدقه الرأى ، ولكنى اوثرأن لا يخلو كتابى هذا منها مع شهرتها ، وتـداول الناس اياها ، وميلهم اليها ، واستطابة الملوك عجائبها ."(١)

وقد سرد لنا الثعالبى هذه القصة كلها ، ولكن يضيق المقام هنا عن سردها كاملة .

ومن قراء تنالها نجد أنه اكثر من السجع وفنون البديع ، كما فى قوله : " ثم انه رأى ربعا خصبا ،وروضا وغديرا ، واشجارا كأن الحوراعارتها قدودها ،وكستها برودها ، فنزل فى ظل شجرة ملتفة الاغصان بالورق على غدير كأن ماءه اذا صافحته الريح تشنيج ذيل القرطق الازرق ،وشكل فرسه ، وافترش غاشيته وبسط سفرته ،وحل زكرته ،وأخذ الطنبور فنقره ،واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : الى متى تترامى المفاوز والجبال بى ، وتنبو الاوطان والاوتار عنى ،حتى متى خوض الحروب ومعاناة الخطوب ؟ أين السرور بوجوه الحسان ،ومغازلة الغزلان ؟ وان الذى انزلنى هذا المكان الذي يحكي الجنان ، قادر ان يقرعينى بجارية وسيمة جسيمة ، تسرنى بطلعتها ،وتؤنسنى بمساعدتها ، وذلك بمرأي ومسمع من الساحرة ، فقالت : قد وقع الأسد فى الحبالة ،وجاءتنى الغنيمة ،فلم تلبث أن برزت فى صورة جارية ،كأنها فلقة قمرعلى برج فضة ، وعليها من الحلى والحلل مايروق ويشوق ."(٢)

ونستنتج مما سبق أن الثعالبى عندما يطرق موضوعا علميا يقتصد فى الصور الخيالية ، والصنعة الفنية ،ليوضح لنا الفكرة بأدق تعبير ، وعندما يصوغ قلمه قصة أدبية تعتمد على الخيال ، فانه يصول ويجول ،ويسبح فى الخيال ،ونرى رقة الأدب والصور الفنية المتلاحقة المتمثلة فى رشاقة السجع ،وجمال التشبيه ،وتنميق اللفظ . فاسلوبه فى كل ماكتب يتراوح بين البساطة والسهولة ، وبين الصنعة والتأنق . وما أصدق تلميذه الباخرزى عندما سماه (جاحظ نيسابور) مشبها اياه بجاحظ البصره ، لما فى اسلوبهما من تشابه فى عرض مادة كتبهما ، وتقارب طريقتهما فى التأليف ، وثقافتهما العريضة الواسعة التى حصلاها من مختلف العلوم والفنون .

— ٥ —

أما فى تراجم الثعالبى لادباء عصره الذين حملوا لواء الشعر والنثر اكثر من قرن من الزمن فانه سخر كل مافى وسعه من براعة الاسلوب ، وحسن العرض ،وقوة

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبى ص١٠٣

(٢) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٣١٣ و٣١٤

التعبير ، وتنميق الألفاظ ، وسجعه الذى كاد يلتزمه التزاما ، كقوله فى ترجمة سيف الدولة : " وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان - رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه غرة الزمان ، وعماد الاسلام ، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور ، وكانت وقائعه فى عصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتفل انيابها ، وتذل صعابها ، وتكفى الرعية سوء آدابها ، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن فى الاسلام الآثار ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الحسود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء " (١)

وأحيانا نراه يكثر من التشبيه والاستعارات والمترادفات ، كقوله فى ترجمة المتنبى : " نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به ، اذ هو الذى جذب بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفق سحر شعره ، والقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والايام تحفظه ، " (٢)

وتارة يكثر من السجع القصير ، من ذلك قوله فى ترجمة السرى الرفاء :

" السرى وما أدراك ما السرى ، صاحب سر الشعر ، والجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث فى عقد السحر ، لله دره ، ما أعذب بحره ، واصفى قطره ، واعجب أمره ، " (٣)

وقد يجنح الى الاستشهاد بالشعر ، كقوله فى ترجمة الخالديين :

" هما فى الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان فى قرض الشعر وينفردان ولا يكادان فى الحضر والسفر يفترقان ، وكانا فى التساوى والتشابك ، والتشاكل والتشارك كما قال أبو تمام : من المتقارب :

رضيعى لبان شريكى عنان * عتيقى رهان حليفى صفاء

بل كما قال البحترى من الكامل :

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد (٤)

وتبدو الرقة فى كتابته حين يصف شعر من يترجم لهم ، كقوله فى وصف شعر ابن نباتة السعدى : " وشعره - مع قرب لفظه - بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٧
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢٦
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١١٧
(٤) يتيمة الدهر ٢ : ١٨٣

غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب المطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الاسحار ، وشكوى الأحباب "(١)

وقد يعمد الى اللفظ القريب حين يحدثنا عن المقربين الى قلبه من الأمراء والأدباء الذين أصبحت مناصبهم العالية لا تحول دون أن يتصل بهم ، ويرتبط معهم برباط وثيق من الاخوة الصادقة .

وهذا الأمير أبو الفضل الميكالى ، عندما يترجم له الثعالبى يقول : " يزيد على الاسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم مكان الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم فى جميع محاسنهم ومناقبهم وخصائصهم ، وينفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة ، وأتم بلاغة "(٢)

— ٦ —

ومن خلال دراستى ليتيمة الدهر وتتمة اليتيمة ، تبين لى أن الثعالبى يميل الى الايجاز فى تراجمه ، ولكنه يطيل ويسهب فى القول اذا ترجم لمن له شهرة فى الأدب عظيمة أو تربطه به صلة وثيقة ، وكان شديد الحرص أن تبدو تراجمه فى هذين المؤلفين قطعا فنية رائعة .

" الا ان ذلك كله لا يعفيه من مسؤولية تشابه كثير من تراجمه المختصرة ، يمكن معه ابدال بعضها ببعض دون أن يخل ذلك بشيء من مادة الكتاب ، الا أننا قد نلتمس له العذر فى كثرة الادباء ، وكون اغلبهم من المغمورين "(٣) واشتهر الثعالبى بحل النظم ، اذ ألف كتابا برأسه فى هذا الغرض ، وسماه : " نثر النظم وحل العقد " ، وقدمه الى الأمير خوارزم شاه الذى كان يجمع فى بلاطه معظم العلماء والادباء ، وكان الى العلم أميل " ولعله كان يميل — بسبب ذلك — الى النثر اكثر من ميله الى الشعر ، لأن النثر أقرب الى طبيعة العلم من الشعر . "(٤)

فحل قول الشاعر من الطويل :

أطال الله السلامة والبقا ✱ وزادك فى الدنيا علوا ومرتقى

بعثت رسولى وهو حامل رقعتى ✱ فرأيك فيما قلت أمسى موفقا

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٣٨٠
(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٥٤
(٣) الثعالبى ناقدا واديبا ٤١٦
(٤) المصدر نفسه ٤٢٣

فقال : " يلقى الشيخ أطال الله بقاءه ، وأدام فى المعالى ارتقاءه ، برقعتى من هـو وسولى فى تحصيل سولى ... (١)

ويتضح من اطلاعنا على اسلوب الثعالبى فى " المبهج " و " نثر النظم وحـل العقد " أن تعلقه بالمحسنات البديعية فى الكتاب الثانى يبدو أخف مما كان عليه فى الكتاب الأول وربما كان السبب فى ذلك أن مادة كتاب (المبهج) مكونة من الأمثال البليغة التى لا يسهل حفظها الا مع السجع والجناس ، أما مادة " نثر النظم " فان نثر أبيات الشعر الموجودة لديه بمعانيها لا تحتاج كد الخاطر للتعلـق بالمحسنات البديعية .

وسبب آخر لعدم تعلقه بالمحسنات فى " نثر النظم " أنه ألف هذا الكتاب لأمير يحب العلم والعلماء ، كما اسلفنا فى الحديث عن (خوارزم شاه) ، ولهذا لم يكـن بحاجة الى تلك المحسنات البديعية .

ومهما يكن من أمر فان كتاب " نثر النظم " يعد شاهدا على قدره الثعالبى على اكساء المعانى كساء جديدا من اللفظ ، مطرزا بفنون من وشى الكلام وزخارف التعبير الفنى .

ويبلغ اسلوب الثعالبى أعلى مرحلة من مراحل النضج الفنى فى الكتب التى ألفها فى شيخوخته ، أى بعد طول خبرة فى التأليف ، كما يبدو فى كتابه " خاص الخاص "

تلك هى أهم خصائص نثر الثعالبى ، وبعد فقد آن الأوان لكى ندرس آراءه النقدية ثم نضعه فى ميزان النقد لنرى آراء النقاد والادباء فى نقده .

* * *

---

(١) نثر النظم للثعالبى ٣٢

:: الفصل الثالث ::

"آراء الثعالبى النقديــــــة"

— ١ —

لعل أول مايطالعنا فى الصفحات الأولى فى اكبر كتب الثعالبى حكم خاص بناه على البيئة وهو "ان شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والاسلام [1]. ودليله على ذلك ان ماأحصاه من اسماء المشهورين من شعراء الشام اكثر من اسماء المشهورين من شعراء العراق أو البيئات الأخرى .

وذكر السبب فى تبريزهم على من سواهم فى الشعر ، وهو "قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورتهم الفرس والنبط ، ومداخلتهم اياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة "[2]

وعزز رأيه بآراء ادباء متفوقين يشار اليهم بالبنان من امثال شيخه الخوارزمى عندما اعجب أيما اعجاب بطريقة شعراء الشام ، وقد نقل عن الخوارزمى قوله فى فضل شعراء الشام : "مافتق قلبى وشحّذ فهمى وصقل ذهنى وارهف حد لسانى وبلغ هذا المبلغ بى الا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التى علقت بحفظى ، وامتزجت بأجزاء نفسى "[3] .

ويبدو أن سر تفضيله شعراء الشام على غيرهم راجع الى الاسباب التى ذكرها ولتعلقه باستاذه الخوارزمى الذى اخذ عنه الكثير والذى افتتن بتلك الطرائف الشامية عندما كان فى بلاط سيف الدولة .

واعتمد ايضا على رأي الصاحب بن عباد الذي هو الآخر اعجب اعجابا — لا يقل عن اعجاب الخوارزمى — بطريقة ادباء الشام ، وقال انه كان "يحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم ، ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد مايحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخم الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفى سن قلمه ، فطورا

(1) يتيمة الدهر ١ : ٢٤ (٢) المصدر نفسه ١ : ٢٤ ، ٢٥ (٣) المصدر نفسه ١ : ١٤

يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله ويورده كما هو في رسائله ." (١)

—٢—

ومن آرائه في الصاحب أيضا : "احتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنه في الأخذ برقاب القوافي وملك رق المعاني " (٢)

—٣—

وقوله في أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني : " هو حسنة جرجان وفرد الزمان ... يجمع خط ابن مقلة الى نثر الجاحظ ونظم البحتري ." (٣)

—٤—

ومن احكامه النقدية في شعر السري الرفاء ما أورده من ابيات للسري :

وبرق مثل حاشيتي رداء * جديد مذهب في يوم ريح

قال الثعالبي : هكذا بخط السري ، والذى بخط الخالدي. "حاشيتي لواء ".ولست أدري أأنسب هذه الحال الى التوارد أم الى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهما مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف اعنة القوافي ،وصياغة حلى المعاني . ولما وجدت السري أخذ جديد القميص في حسن السرقة ، وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته .

قول السري في سيف الدولة :

افنت ظباك الروم حتى انهما * لم تبق الا ظبية أو ريما

وانما سرقه من قول المتنبي :

فلم يبق الا من حماها من الظبى * لمى شفتيها والثدى النواهد

وفي قصيدة السري :

فالدهر يمسح فيه غرة سابق * لاقاه أول سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة :

مسحت محمد وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال من قصيدة :

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٥ (٢) المصدر نفسه ٣ : ١٨٩ (٣) المصدر نفسه ٤ : ٣

تناهى فلا ... الى العتاب * وأحسن للعواذل فى الخطاب
وصار جنيب غصن غير رطب * وكان جنيب أغصان رطاب
خلت منه ميادين التصابى * وعري منه أفراس الشباب
وزهده خضاب الله لما * تولى عنه فى زور الخضاب

وانما اخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير " وعري افراس الصبا ورواحله " وذكر خضاب الله فى البيت الرابع ، وهو من قول أبى تمام :

" ورأت خضاب الله وهو خضابى " .

وقال من قصيدة :

صادق البشر يرى ماء الندى * يرتقى فى وجهه أو ينحدر
قلت اذ برز سبقا فى العلا * أ الى المجد طريق مختصر

وهو من قول البحتري :

ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق الى العلياء مختصر[1]

ويورد غررا من وصف السرى لشعره[2] ، كما يورد غررا من اهاجيه للشعراء[3] ، ومن غزله ونسيبه ، وما يتغنى به من شعر السرى ، ولا يرى الثعالبى أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قول السري[4] من البسيط :

قسمت قلبى بين الهم والكمد * ومقلتى بين فيض الدمع والسهد
وحت فى الحسن اشكالا مقسمة * بين الهلال وبين الغصن والعقد

ويورد قول السري من قصيدة قالها فى الوزير المهلبى[5] ، ويضعها تحت عنوان (حسن الخروج والتخلص) من الكامل :

عصر مزجت شمائلى بشموله * وظلاله ممزوجة بشماله
حتى حسبت الورد من أشجاره * يجنى أو الريحان من آصاله
وكأننى لما ارتديت ظلاله * جار الوزير المرتدى بظلاله

ويذكر له من المدح والعتاب ووصف الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره ، وذكر الشراب وما يتصل به ، وفى الاستزارة ووصف آلاتها وأوصاف شتى .[6]

---

(١) يتيمة الدهر حـ٢ ص ١٢٠ ـ ١٢٩ (٢) يتيمة الدهر ٢ : ١٣٩
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٤٨ (٤) المصدر نفسه ٢ : ١٥٨
(٥) المصدر نفسه ٢ : ١٦٢ (٦) المصدر نفسه ٢ : ١٦٢ ـ ١٨٢

— ٥ —

وكان اكثر افاضة فى نقده للمتنبى ، وهو موضوع شغل الكثير من النقاد والادباء ،ومن أجله عد الثعالبى ناقدا .

يقول فى المتنبي : " نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر،ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به ، اذ هو الذى جذب بضبعه ،ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، والقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ماشاء :

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا

فليست اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبى الطيب من مجالس الانس ، ولا أقلام كتاب الرسائل أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ، وقد الفت الكتب فى تفسيره ،وحل مشكله وعويصه وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئة ، وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح عن ابكار كلامه وعونه ، وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه ،والنضح عنه ، والتعصب له وعليه ، وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ،يملك رقاب القوافى ورق المعانى ،فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته (وما زالت الأملاك تهجى وتمدح) . "(1)

وقد اهتدى الثعالبى بذوقه النقدى الى حل الصاحب بن عباد وغيره نظم المتنبى ، واستعانتهم بألفاظه ومعانيه بالترسل ، كقول الصاحب فى وصف قلعة افتتحها عضد الدولة : " فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ،وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون مابين البحور والأنهار ، وظنوا الاقدار تأتيهم على مقدار ، فمالبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ، ومثواهم القديم ، تهزه الحوادث وفرصة البوائق ، ومجر العوالى ، ومجرى السوابق " .

وانما ألم بألفاظ بيتين لأبى الطيب أحدهما من الكامل :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها * فشكا اليه السهل والجبل

---

(1) يتيمة الدهر ١ : ١١٠ر١١١

والآخر من الطويل :

تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجر عوالينا ومجرى السوابق[1]

ويورد الثعالبي أمثلة كثيرة من حل الصاحب نظم المتنبي[2] .

ثم يورد انموذجا من سرقات الشعراء منه ، وهم : أبو الفرج الببغاء والمهلبي الوزير والصاحب والسري وابو بكر الخوارزمي وأبو الفتح البستي وأبو الحسن السلامي وابو القاسم الزعفراني .

ويذكر بيتا لأبي الطيب من الوافر :

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا

ويقول : أغار عليه الصاحب لفظا ومعنى ، فقال من الطويل :

لبسن برود الوشي لا للتجمل * ولكن لصون الحسن بين برود

وانما فعل ببيتيه مافعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف من الكامل :

والنجم في كبد السماء كأنه * أعمى تحير ما لديه قائد

فقال من المنسرح :

مابال هذي النجوم حائرة * كأنها العمي مالها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة ، وهي مذمومة جدا عند النقدة .[3]

—٤—

ثم يذكر سرقات المتنبي من الشعراء وهم : مخلد الموصلي وعمرو بن كلثوم وبشار ومسلم والفرزدق وامرؤ القيس وأبو نواس وابن أبي عيينة وأبو تمام وابن الرومي وعبيد الله ابن طاهر وابن المعتز .

ولا يكتفي الثعالبي بذكر سرقات المتنبي من الشعراء بل يدون ملاحظاته النقدية القيمة مثل : " أخذه أبو الطيب فجوده "[5] و " أخذه فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش اذ هو من الفاظ العامة "[6] و " أخذه فأكمل الوصف واظهر الغرض . "[7]

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٢٣
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢٣ــ١٢٨
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٢٨ ــ١٣٢
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٣٢ــ١٣٨
(٥) المصدر نفسه ١ : ١٣٢
(٦) المصدر نفسه ١ : ١٣٣
(٧) المصدر نفسه ١ : ١٣٥

ثم عرض بعض ما تكرر في شعر المتنبي من محاسنه (١) ،وأتى بذكر معائب شعره ومقابحه ، وعد من المقابح قبح المطالع ، يقول : " وحقه الحسن والعذوبة لفظا ، والبراعة والجودة معنى ،لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ،فاذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقول العامة : (أول الدن دردى) .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي ـ كما نعاها عليه العائبون ـ مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه (٢) ".

وهنا في هذا الفصل لا يفوت الثعالبي أن يتبع كل بيت بحكم نقدي يختلف عن حكمه في البيت الآخر ،فيطلعنا على قدرته النقدية ، حين يورد بيتا لأبي الطيب، وهو مطلع قصيدة له ، يقول (٢) من الكامل :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا * ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

" فانه لم يرض بحذف علامة النداء من (هذى) ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ،فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

وكقوله من المنسرح :

" أوه بديل من قولتي واها "

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بازاء التأذى باستماعه : من الطويل :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقيه : من الطويل :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن امانيا

وفي الابتداء بذكر من الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة التي تنفر منها السوقة فضلا عن الملوك . " (٤)

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٨٣ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ١٤٥

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ ،١٤٦

(٤) يتيمة الدهر ١ : ١٤٦

وعد الثعالبي ايضا من القبائح (اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما اكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينا هو يصوغ افخر حلى ، وينظم أحسن عقد ، وينسج انفس وشى ، ويختال في حديقة ورد ، اذا به قد رمى بالبيت والبيتين بابعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، الى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج الى الافراد والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، واعقب حلاوتها مرارة لامساغ لها . "(١) ، ثم يسوق لنا الأمثلة على ذلك .

ومن المعايب التي عدها الثعالبي : استكراه اللفظ وتعقيد المعنى : " وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة ، فيضل ويضل ، ويتعب ويتعب ولا ينجح "(٢) .

ويعلق الثعالبي على ابيات شعر المتنبي حين قال : من الطويل :

لساني وعيني والفؤاد وهمتي * أود اللواتي ذا اسمها منك والسطر

وقوله من الطويل :

فتى الف جزء رأيه في زمانه * أقل جزء بعضه الرأى أجمع

وقوله من الكامل :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو * عقمت بمولد نسلها حواء

يقول الثعالبي : " وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فاذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر ، وكد الخاطر ، والحمل على القريحة ، ثم ان ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل . "(٣)

ومن معايب المتنبي أيضا عسف اللغة والاعراب ، يقول الثعالبي (٤) : " وهو مما سبق الى القلوب انكاره ، وأن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله : من الطويل :

فدى من على الغبراء أولهم أنا * لهذا الأبى الماجد الجائد القرم

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٤٧ و١٤٨ (٢) المصدر نفسه ١ : ١٥٣

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٥٤ (٤) المصدر نفسه ١ : ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦

ولم يحك عن العرب (الجائد) ، وانما المحكى : رجل جواد ، وفرس جـواد ، ومطر جواد .

وكقوله من الطويل :

فأرحام شعر تتصلن لدنـــه * وأرحام مال لا تنى تتقطـــع

وتشديد النون من (لدن) غير معروف فى لغة العرب .

وكقوله من الوافر :

شديد البعد من شرب الشمول * ترنج الهند أو طلع النخيـل

والمعروف عند العرب (الا ترج) ، والترنج مما يخلط فيه العامة .

وكقوله من الكامل :

بيضاء يمنعها تكلم دلهـــا * تيها ، ويمنعها الحياء تميسـا

فنصب (تميس) مع حذف (أن) . وهو ضعيف عند اكثر النحويين .

وكقوله من الكامل :

وتكرمت ركباتها عن مـبرك * تقعان فيه ليس مسكا أذفـرا

فجمع الركبات ، ثم انتقل الى التثنية ، فقال : (تقعان) وهو ضعيف وغير سديـد فى صناعة الأعراب وكقوله (من الخفيف) :

ليس الاك ياعلى همـــام * سيفه دون عرضه مسلـول

فوصل الضمير بالا ، وحقه ان ينفصل عنه كما قال الله تعالى [1] : " ضل من تدعـون الا اياه " .

وكقوله (من البسيط) :

" لأنت أسود فى عينى من الظلـم "

والف التعجب لا تدخل على أفعل ، وانما يقال أشد سوادا وحمرة وخضرة .

وكقوله (من الكامل) :

" حلا لكما بى فليك التبريـح "

وحذف النون من (يكن) اذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين ، لأنهـا تتحرك الى الكسر ، وانما تحذف استخفافا اذا سكنت .

وكقوله (من الطويل) :

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء

" امط عنك تشبيهي بما وكأنه "

والتشبيه (بما) محال .

وعد أبو منصور من معايب شعر المتنبي : (الخروج عن الوزن) [1]، كقوله : (من الطويل)

تفكره علم ومنطقه حكم * وباطنه دين وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب (مفاعيلن) في عروض الطويل غير مصرع ، وانما جاء (مفاعلن)

ومن المعايب : استعمال الغريب الوحشي [2] : " واذا كان المتنبي من المحدثين بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة ، المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على اقحاح المتقدمين ـ حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

وينقد استعماله لكلمة (الا تشاك) ، بمعنى الكذب و (الساحي) بمعنى القاشر و (الحفش) : مصدر حفش السيل حفشا ، اذ جمع الماء من كل جانب الى مستنقع ، وكلمة (تطس) أى تدق و (اليرمع) : الحجارة الرخوة ، و (اليلل) : اقبال الاسنان وانعطافها على باطن الفم ، و (الكنهور) : القطع من السحاب العظيمة ، و (النال) : المعطى .

واستعماله للجموع الغريبة منها : (جمع أرض : أروض ، وجمع اللغة (اللغى) وجمع الدنيا (الدنى) وجمع الاخ (آخاء) .

ويورد صاحبنا ابياتا للمتنبي فيها ركاكة وسفسفة ، وفيها من الفاظ العامة والسوقة ومعانيهم [3] .

وينقد الثعالبي ابعاد الاستعارة والخروج عن الحد في ابيات المتنبي ، يقول : " جعل المتنبي للحليب والبيض واليلب قلوبا ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤادا ، وللكبد شيبا ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وانما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقارنة " [4] ويشير الى استكثاره من قول (ذا) ، ويقول : " فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف [5] " ويذكر من معايبه (الافراط

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٥٧ (٢) المصدر نفسه ١ : ١٥٧ و١٥٨ و١٥٩

(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٦٠ (٤) المصدر نفسه ١ : ١٦٢ (٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٣

فى المبالغة والخروج فيه الى الاحالة)، "فهو مما يستهجن فى صنعة الشعر" (١)

ومنها تكرير اللفظ فى البيت الواحد من غير تحسين ، ويورد امثلة كثيرة من شعر المتنبى (٢) ؛ ومنها اساءة الأدب بالأدب (٣) ، ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين (٤) .

فيقول : " على أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذى لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به فى موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته فى وقته . "

ويقول تعليقا على ابيات المتنبى : " وكأن المعانى اعيته حتى التجأ الى استصفار امور الانبياء ، وقد جاوز حد الاساءة . " (٥)

ونرى الثعالبى حتى فى احكامه النقدية يلجأ الى السجع ، فيقول فى نقده لأبيات من شعر المتنبى :

أى محل ارتقى * أى عظيم اتقى

وكل ماقد خلق الله وما لم يخلق

محتقر فى همتى * كشعرة فى مفرقى

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذى لا تسعه معذرة . " (٦)

ومن المعايب (الغلط بوضع الكلام فى غير موضعه (٧)) ، كقوله (من الوافر) :

أغار من الزجاجة وهى تجرى * على شفة الأمير أبى الحسين

" وهذه الغيرة انما تكون بين المحب ومحبوبته ، وأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاههم . "

وكقوله (من المتقارب) :

وغر الدمستق قول الوشا * ة ان عليا ثقيل وصب

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٦٤
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٦٥ ، ١٦٦
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٦٧
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦٨
(٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٩
(٦) المصدر نفسه ١ : ١٦٩ ، ١٧٠
(٧) يتيمة الدهر ١ : ١٧٠ ، ١٧١

فجعل الأمراء يوشي بهم ، وانما الوشاية والسعاية ونحوها من الرعية ، ومن شأن المدوح أن يفضل على عدوه ، ويجرى العدو مجرى بعض اصحابه ، وليس في اللغة أن يقال : (وشي فلان بالسلطان الى بعض رعيته).

وكقوله في وصف الحمى المحرقة (من الوافر) :

اذا مافارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وقوله في وصف مهره (من الرجز) :

" وزاد في الاذن على الخرانق "

واذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، واذن الأرنب على الضد من هذا الوصف .

ومن المعايب امتثال الفاظ المتصوفة ، والخروج عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة ، واستكراه التخلص ، وقبح المقاطع .

بعد أن يفرغ الثعالبي من ذكر المعائب والقبائح ، يتناول في نقده المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها المتنبي على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

يقول : "فمنها حسن المطالع ، وحسن الخروج والتخلص ، ويورد دررا من شعر المتنبي [1] ، ومنها النسيب بالأعرابيات ، كقوله : من البسيط :

من الجآذر في زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

ان كنت تسأل شكا في معارفها * فمن بلاك بتسهيد وتعذيب

سوائر ربما سارت هوادجها * منيعة بين مطعون ومضروب

أى لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغرى بي

وقد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

ويورد قصيدة من شعر المتنبي ويعلق قائلا : " وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦

وله طريقة ظريفة في وصف الدويات قد تفرد بحسنها ، وأجاد ماشاء فيها ." (١)
ومنها حسن التصرف في سائر الغزل ، وحسن التشبيه بغير أداة تشبيه ، والابداع في سائر التشبيهات والتمثيلات ، والتمثيل بما هو من جنس صناعته ، والمدح الموجه ، وحسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية ، والابداع في سائر مدائحه ، ومخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الاحسان والابداع .
يقول الثعالبي : " وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه اقتدارا منه ، وتبحرا في الألفاظ والمعاني ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجا لها الى مماثلة الملوك ." (٢) ومنها استعمال الفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد ، يقول : " وهو أيضا مما لم يسبق اليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ." (٣)

ومنها حسن التقسيم ، وحسن سياقة الاعداد ، كقول المتنبي :

وربّ جواب عن كتاب بعثته * وعنوانه للناظرين قتام
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة * جواد ورمح ذابل وحسام

لما سمى الجيش جوابا جعل حروفه جوادا ورمحا وحساما ، اقتدارا واتساعا في الصفة . (٤)

ومنها ارسال المثل في انصاف الابيات ، وارسال المثالين في مصراعي البيت الواحد ، وارسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس ، وما يجري مجراها ، وافتضاضه ابكار المعاني في المراثي والتعازي ، كقوله : من الطويل :

سبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك سالب * وفارقها الماضي فراق سليب

يعلق الثعالبي على البيتين ، فيأتي بالحكم والموعظة للتوضيح : " هذا كقول بعضهم في الموعظة : وان مافي ايديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون ." (٥) ومنها الايجاع في الهجاء ، وابراز المعاني اللطيفة في معارض

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٧٧
(٢) المصدر نفسه ١ : ١٩١
(٣) يتيمة الدهر ١ : ١٩٣
(٤) المصدر نفسه ١ : ١٩٧
(٥) المصدر نفسه ١ : ٢١٣

الألفاظ الرشيقة الشريفة ، والرمز بالطرف والملح ، ويورد قول المتنبي في وصف الفرس : من الطويل :

ويوم كليل العاشقين كمنته * أراقب فيه الشمس أيان تغرب

وعيني الى اذني أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب

أى كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه الى اذنه لأنه كامن لا يرى شيئا ، فهو ينظر الى اذني فرسه ، فان رآه قد توجس بهما ، تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن اذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه . "(١) . وهنا نرى الثعالبي يضمن أمثال العرب في نقده ويتأثر بها .

وكقول المتنبي (من الطويل) :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا

سبحان الله : ما أحسن الحشو بقوله " وحاشاك " . (٢)

نراه هنا يطرب وتأخذه النشوة ، فيصيح سبحان الله ، وكل ذلك من أجل استحسانه للحشو في هذا البيت .

ومنها حسن المقطع ، كقوله من البسيط :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها * وشرف الناس اذ سواك انسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله (سواك انسانا) لأنه لا يليق بشرف الفاظه ، ولو قال (أنشاك) أو نحو ذلك لكان اليق بالحال .

وهنا يتصدى الثعالبي لابن جني ، فيقول : ولو قال غير ما قاله ، لم يكن فصيحا شريفا ، لأن في القرآن (ثم سواك رجلا (٣)) ، ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره . "(٤)

ومن هنا يبدو تأثره بالقرآن الكريم ، وثقافته المستمدة من دروه ، وكذلك فانه أيضا قد تأثر بالحديث النبوي الشريف عندما أورد بيتا للمتنبي (من الوافر) :

قد استشفيت من داء بداء * وأقتل ما أعلك ما شفاكا

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٢١٨ (٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٠

(٣) من الآية ٣٧ من سورة الكهف (٤) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٢

أى قد أضمرت ياقلب شوقا الى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضا اعظم من داء شوقك الى اهلك ، وهذا شبه قول النبى صلى الله عليه وسلم : " كفى بالسلامة داء [1] " .

هذه بعض النماذج لنقد الثعالبى ، وهى نماذج تدلنا على ذوقه الفنى المرهف ، وحسه النقدى الدقيق ، وحسن بصره بصناعة الكلام ، ومعرفته بدقائقه وفنونه ، كما تدلنا على سعة ثقافته اللغوية والأدبية .

ولئن كان النقاد من قبله قد سبقوه الى كثير من آرائه فان ذلك لا يقدح فى ذوقه النقدى ، ولا ينال من مكانته ، فقد كانت له آراؤه الشخصية المبتكرة كموقفه من ابن جنى الذى ذكرناه آنفا ، وكالتزامه بآداب الدين والعقيدة كما رأينا .

ومن أجل ذلك ، ومن أجل افاضته فى نقد المتنبى عد من النقاد .

* * *

(١) المصدر نفسه ١ : ٢٢٣

:: الفصل الرابع ::

(الثعالبى فى ميزان النقد)

على ضوء ماعرفنا من شعر الثعالبى ونثره ونقده، وثقافته ، وعلى ضوء آراء العلماء والنقاد فيه تتضح معالم شخصيته ،وتتجلى مكانته فى عالم الأدب بصورة واضحة جلية .

فهذا تلميذه الباخرزى يقول فيه : " جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الاعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان . " (١) وقال ايضا فيه : " أسد الصناعة فى غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوال جوالب ،وأسلاته فى النطق والكتابة قواض قواضب . " (٢)

وقال أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى : " وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات فى العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب . " (٣)

وقال الصفدى : " كان يلقب بجاحظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة الى الغاية " (٤)

ويقول أبو البركات الانبارى : " وأما أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى فانه كان أديبا فاضلا فصيحا بليغا . " (٥)

ويذكر ابن خلكان عن ابن بسام ماقاله فى حق الثعالبى : " كان فى دقته راعى تلعات العلم ، وجامع اشتات النظم والنثر ، رأس المؤلفين فى زمانه ، وامام المصنفين بحكم اقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت اليه آباط الابل ،وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب طلوع النجم فى الغياهب ، وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، واكثر راو لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف . " (٦)

ويقول عنه أبو الفدا : " صاحب التآليف المشهورة ، وكان امام وقته . " (٧)

---

(١) دمية القصر ١٨٣ — (٢) دمية القصر حـ١ : ١١

(٣) زهر الآداب حـ١ : ١٦٩ — (٤) الوافى بالوفيات حـ١٩ ورقة ٩٩ وجه

(٥) نزهة الألبا ص٣٦٥ — (٦) وفيات الاعيان حـ ١ ص ٥٢١ .

(٧) المختصر فى أخبار البشر ٢ : ١٦٢

ويقول ابن شاكر الكتبي : " الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية ... وكان يلقب بجاحظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة ، وانه كان مؤدب صبيان في مكتب . " (١)

وينقل ابن قاضي شهبة عن ابن شاكر الكتبي كل ماقاله في الثعالبي . (٢)

أما عبد الحي بن العماد الحنبلي فينتقل ماقاله ابن بسام وابن خلكان في أبي منصور الثعالبي (٣) . " ويقول فيه الحافظ بن كثير : " كان اماما في اللغة والاخبار وأيام الناس ، بارعا مفيدا ، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ... وله اشعار مليحة " (٤) ويذكر الحافظ الذهبي انه " الاديب الشاعر ، صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا (٥)

ويذكر الشيخ كمال الدين الدميري عنه فيقول : " ويقال للامام العلامة أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري رأس المؤلفين ، وامام المصنفين ، صاحب التصانيف الفائقة ، والآداب الرائقة كثمار القلوب وفقه اللغة ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وغير ذلك من التصانيف . " (٦)

وصدر الدين بن معصوم المدني يقول فيه : " شاعر مطبوع كان في عصره رأس الأدباء وامام المصنفين . " (٧)

ويقول محمد كرد علي : " كان شاعرا عظيما وكاتبا مجيدا ، يعرف مايختار ويدع ، وفي كل ماكتب أجاد وأبدع ، ونم عن ذوق ظريف في الشعر والنثر . " (٨)

ولجرجي زيدان رأي في أبي منصور ، فهو يعتبره : " خاتمة مترسلي هذا العصر — العصر العباسي الثالث — وأهم ادبائه ، ونعم الخاتمة ، لأنه اكثرهم آثارا ، وأوسعهم مادة . " (٩) .

وهذا الاستاذ احمد أمين يقول : " كان أديبا بليغا على اسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه ، وكان واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم ، وألف في ذلك كله . " (١٠)

---

(١) عيون التواريخ ص ٤٥٧
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧
(٣) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٦
(٤) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤
(٥) العبر في خبر من غبر ٣ : ١٧٢
(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨
(٧) أنوار الربيع ١ : ١٧٢
(٨) كنوز الاجداد ٢٣٣
(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٠) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٢

وأما الدكتور طه حسين فيقول فى مقارنة بين الثعالبى وابن بسام " ولكنه — يعنى ابن بسام — يخالف الثعالبى فى أمر ذى خطر ، فهو أبعد منه نظرا ،وانفذ منه بصيرة ، وأعمق منه تفكيرا ، وهو على تكلفة فى اللفظ ،لا يخدع بالرواء الظاهر عماوراءه من جودة المعنى أو رداءته ، ومن صواب التفكير أو خطئه ، ولعله أن يكون أفقه من الثعالبى بالحياة الأدبية فى اقليم من الأقاليم ،فهو أدق منه ملاحظة ،لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الاقليم وما ينتج فيه من أدب ، بل بين طبيعة الأجناس البشرية وما تنتج من أدب ، بل بين مايكون من مجاورة الامم المختلفة وما ينتج من الأدب .

وهو قد سار سيرة الثعالبى فى العناية بالملوك والامراء والرؤساء ،وما يكون من تأثيرهم فى الأدب ، ومايكون من انتاجهم الأدبى الخاص، ولكن عنايته بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت اشد واقوم وأجدى من عناية الثعالبى ، فهولا يكتفى بهذا الاطراء الذى لا غناء فيه ، والذى تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفى بروايــة مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبى ، ولكنه يعرض تاريخهم عرضا دقيقا مفصلا ، يرد آثارهم الأدبية الى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التى أنشئت فى بيئتهم الى مصاردها (١) " .

ولعل السبب فى تفضيله ابن بسام على الثعالبى يرجع الى ماورد فى مقدمة ابن بسام بأنه ثائر على الأدب الجاهلى ،وهذا صادف هوى فى نفس الدكتور طه حسين ، اذ يقول ابن بسام : " كل مردد ثقيل ، وكل متكرر مملول ، وقد مجت الاسماع (يادارمية بالعلياء فالسند) ، وملت الطباع (لخولة اطلال ببرقة تهمد) ،ومجت (قفانبك) فى يد المتعلمين ، ورجعت على ابن حجر بلائمة المتكلفين ، فأما (أمن أم أوفى) فعلى آثار من ذهب العفا . " (٢)

ولأن الثعالبى كان على فضله وعلمه وسعة اطلاعه اكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام . وأما الدكتور زكى مبارك فقد وضع الثعالبى بين كتاب الآراء والمذاهب نظرا لأن له اتجاهات نفسية تقربه من كتاب هذا الباب ولكنه يرى أن مكان الثعالبى

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة / المجلد الأول / تقديم طه حسين صفحة ب ،ج
(٢) المصدر نفسه / مقدمة المؤلف(ابن بسام الشنتريني) المجلد الأول من٢ ، ٣

بين كتاب النقد الأدبي الحق من مكانه هناك .» (١)

وينقل ماقاله صاحب الذخيرة (ابن بسام) وما قاله ابن خلكان ، ويعلـــق قائلا :

"وعبارة ابن بسام هذه قد تعد وكأنها نوع من المدح الفضفاض الذى يقال بلا حساب. ولكن الواقع أن الثعالبي فوق كل مدح ، وفضله على اللغة العربية اكبر من أن يقدر (٢) ."

غير ان الدكتور مندور الذى ينقصه حقه ويحرمه مزية وفضل شهادة كبار الادباء لـــه بطول الباع فى الأدب ، يقول فيه : " وفي الحق أن الثعالبي ، حتى فى كتبه فـــراء يخيط آراء غيره بعضها الى بعض ، فهو جامع اكثر منه ناقدا أو مؤلفا ." (٣)

فلو كلف الدكتور مندور نفسه بعض العناء فى البحث فى كتب الثعالبي لوجـــده مؤلفا وناقدا وأديبا ، ولكنه اكتفى بدراسة (اليتيمة) ، أو بدراسة الباب الخـــاص بالمتنبي فيها ، وهذا لا يكفى لأن يصدر حكما قاسيا ظالما على الثعالبي .

ويقول أيضا : " وانما نقف عند اليتيمة لأن صاحبها قد جمع فى فصل طويل طائفة من أخبار المتنبي ، وما أخذ على شعره من مآخذ أو رؤى فيه من محاسن ." (٤)

وعندما يقول الدكتور مندور : " ان الثعالبي رجل ضعيف الشخصية حتى لنكـــاد نجزم بأنه لا رأى له فى شئ ، وانما هى انتقادات الصاحب والحاتمي وآراء عبـــد العزيز الجرجاني وغيرهم ، تخير من بينها ونظمها ." (٥)

حقا أخذ الثعالبي بعضا من آراء الصاحب والقاضى الجرجاني ، ولكننا لا نجحد تعليقاته الخاصة وآراءه الشخصية التى أشرنا الى بعضها فى الفصل السابق ، ثـــم ان الثعالبي رجل أمين فى نقله ، فهو يذكر اسم الناقد صراحة عندما يقبل رأيه النقدى ، أما حين لا يذكر اسم صاحب الحكم النقدى ، فان هذا الحكم يكون له هو .

على أن الدكتور مندور يعلق على بعض ماتكرر من شعر المتنبي من معانيه الـــذى أورده الثعالبي فى هذا الباب قائلا : " وهذا باب لم نجد له شبيها عند النقاد ، وهـــو عظيم الأهمية ." (٦)

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع حـ٢ ص ١٨٠ (٢) المصدر نفسه حـ٢ ص ١٧٩
(٣) النقد المنهجي عند العرب حـ١ ص ٣٠٢ (٤) المصدر نفسه ص ٣٠٢
(٥) المصدر نفسه ص ٣٠٢ (٦) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٠٤

وهذه شهادة للثعالبي بأن هذا الباب الذى طرقه ، لم يجد مندور له مثيلا عند النقاد ، وهو عظيم الأهمية .

غير أنه يعود لينقد الثعالبي فى هذا القسم ، فيقول : " ان تكرار الشاعر لبعض المعانى قد يدل على امتلائه بها ، وانشغاله بأمرها ، حتى لتستطيع أن ترى فيها افكاره الأساسية ، واذن فلهذا التكرار دلالته ، ومع ذلك نرى الثعالبى لا يفطن الى شىء من تلك الدلالة ، أو على الأقل ، لا يشير الى شىء منها ، وانما يورد الابيات المتحدة المعنى أو المتقاربة فى صمت بحيث لا ندرى ماذا يقصد بذلك ، بل لا نحس بحكمه على هذا التكرار ، أهو عيب فى الشاعر أم حسنة له ، وفى هذا تعزيز لما قلنا عن هذا المؤلف من ضعف الشخصية وفقر التفكير . قد يكون للتكرار دلالة نفسية ، أو دلالة فنية ، أو دلالة تاريخية ، هذا بعض ما يمكن استنباطه من تكرار المتنبى لبعض معانيه ، أما الثعالبى فقد جمع تلك المعانى دون أن يدرسها أو أن يوضح لجمعها حكمه . "(١)

لقد نسى الدكتور أن الثعالبى كان فى القرن الرابع للهجرة ، والبون شاسع بين عصره وعصر الثعالبى ، ويكفى الثعالبى فخرا أنه انتبه الى الدلالات النفسية والفنية دون أن يذكر المصطلح الذى لم يكن معروفا فى أيامه .

وعند ما ذكر الثعالبى المحاسن والروائع والبدائع والقلائد وفصلها تفصيلا جيدا ، علق الدكتور مندور قائلا : " ولعل هذا القسم هو خير ما فى الباب كله ، أو لعل فضل المؤلف فيه أوضح ، لأن كثيرا مما ذكره لم تلقه عند النقاد السابقين ، وان كان هذا لا يكفى لكى ننسبه الى الثعالبى ، لأنه ربما يكون قد أخذه عن نقاد ضاعت كتبهم "(٢)

وهنا يجنح الدكتور مرة أخرى الى ظلم صاحبنا بعد أن يعترف له بالفضل ، فيشكك فى نسبة هذا القسم اليه ، دون اعتماد على مصدر يقينى ثابت ، غير مجرد الحدس والتخمين .

وأخيرا بعد اطلاع الدكتور مندور على الصفحتين اللتين كتبهما الثعالبى ، وذكر فيهما آخر شعر المتنبى وأمره ، وحدثنا عن المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر وقتله بقوله : " هذا وقد جمح بى القلم فى اشباع هذا الباب وتذييله وتصييره كتابا برأسه فى أخبار أبى الطيب ، والاختيار من شعره ، والتنبيه على محاسنه ومساويه . "(٣)

---

(١) المصدر نفسه ص٣٠٤ (٢) النقد المنهجى عند العرب ص٣٠٤

(٣) يتيمة الدهر ١ : ٢٢٤

يقول مندور: " وهذا كما نرى منهج واضح فى التأليف ، يبدأ ببعض أخبار الشاعر ، ثم يورد سرقات الغير منه ، وسرقاته من غيره ، ثم ماتكرر فى شعره من معان ، وينتقل الى ما عيب على شعره ، وماروى فيه من محاسن ، ويختتمه بآخر أخبار الشاعر وقتله ." (١)

ونرى الدكتور فى هذا يناقض نفسه ، حين يطلع على ماقاله الثعالبى فى ذكر ابتداء أمر المتنبى ، ومولده ، ونبذ عن أخباره ، وتجوله ، واتصاله بسيف الدولة ، يقول: " وهذا القسم لا منهج فيه ولا دقة ، وانما قوامه عدة حكايات جزئية وقصت للشاعر عند أمير حلب او فى العراق وفارس ." (٢)

ثم يقف مندورها عند ملاحظة واحدة لأهميتها وجدتها وهى قوله : " ان المتنبى يخاطب الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب ، ثم استعمال الفاظ الغزل والنسيب فى أوصاف الحرب والجد ." والدكتور لا يشك فى أن للثعالبى فضل ملاحظة هذه الظاهرة ، ثم فضل تحليلها .

ويختتم الدكتور مندور باكتفائه ببعض النتائج التى استطاع استخلاصها من ملاحظات الثعالبى القيمة التى فيها مفتاح فهم لنفسية هذا الشاعر العظيم الذى ملأ الأرض وشغل الرجال ." (٣) .

وأما الدكتور محمد زغلول سلام فيقول : " ولا نستطيع أن نقول انه أتى بجديد فى المآخذ التى اخذت على المتنبى ، حتى اتهامه بضعف العقيدة ، ومحاولته الفصل بين الدين والشعر ، أو الحقيقة الدينية والحقيقة الشعرية ، لم تكن من بدعه ، بل نادى بها من قبله القاضى الجرجانى ، ولكنه زاد هنا ملاحظة دقيقة وهى قوله : " ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذى لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ، وكأنه مع تسليمه برأى الجرجانى لا يرى مع ذلك أن ينفصل الشاعر عن مجتمعه والقيم التى يسلم بها ويجلها ." (٤)

فلو قارنا بين حكم الثعالبى وحكم القاضى لوجدنا فى حكم الثعالبى اضافة جديدة من عنده نابعة من حبه الجارف لعقيدته ، ودفاعه عنها ، وتحمسه الذى غطى على حكم القاضى . لأن القاضى قال : " فلو كانت الديانة عيارا على الشعر ، وكان سوء

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص٣٠٤ (٢) النقد المنهجى عند العرب ص٣٠٢
(٣) المصدر نفسه ص٣١٢
(٤) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ص٥١

الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب ان يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى واضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاب من اصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر ، "(١)

ومن هنا نرى أن الثعالبى جدد فى النقد وجدد كذلك فى المنهج الذى بنى عليه ترجمته للمتنبى حيث يقول الدكتور سلام : " والجديد فى ترجمته أنه أقامها على أساس منهجى متكامل ، فعرض للصلة بين حياته وشعره ، وما كان بها من أحداث أثرت فيه آثارا عميقة ، كرغبته الملحة فى ولاية ، وسعيه الى ذلك بكل وسيلة ، وبالقوة احيانا حتى حبس ، ثم فى صلته بسيف الدولة ، ورضاه بجنابه ، وباقامته الى جواره مما أسعده ، وما جر ذلك على الشاعر والأمير معا من خير ، والاشارة الى الفرق بين ماقال من شعر المديح قبل سيف الدولة وفيه ، وخرج من علاقات شعره بحياته ونفسه ومزاجه ، وطابعه الذى يبدو فى اباءه وكبره واعراضه عن صغار الناس وصغائر الامور ، وثورته على الدهر وأهله ، خرج من هذا كله الى الحديث عن شعره وخصائصه الفنية ، وحاول ان يقف موقف الانصاف الذى وقفه من قبل القاضى الجرجانى ، ولكنه سلم بأشياء ماكان ينبغى له التسليم بها لو حكم فيها نظرة محايدة ، ولم يتأثر بالحاتمى أو الصاحب اللذين سبقاه الى مثل تلك الآراء التى صدرت عن حيف وتحامل "(٢)

ويبدو ان (سلام) اطلع على كتاب (اليتيمة) كله ، فجاء حكمه على صاحبنا أقرب الى الصواب من حكم (مندور) ، وان تابعه فى بعض آرائه .

وهكذا يأخذ (سلام) مثالا آخر غير المتنبى ، هو قوله فى السرى الرفاء الشاعر الموصلى ويورد ماقاله الثعالبى : " ولما وجدت السرى أخذ جديد القميص فى حسن السرقة ... الخ "

وقد سبق أن ذكرت هذا النص فى آراء الثعالبى النقدية ، يعلق الدكتور سلام قائلا " ويهتم الثعالبى بتوثيق الشعر وتحقيقه ، وهو موضوع متصل باصالة الشعر وصحة

---

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٦٤
(٢) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجرى ١ ص ٢٥

نسبته لقائله من ناحية ، ويتصل كذلك بقضية السرقة والانتحال من ناحية أخرى ، فقد اتهم السرى بالسرقة من الخالديين ، كما يتهم هو الخالديين بالسرقة من كشاجم "(١)

ويقول الثعالبى : ان السرى الرفاء اتهم بالتزيد على كشاجم من شعر الخالديون ليتهمهما بالسرقة منه : " وكان يدس فيما يكتبه من شعره - يعنى كشاجم - أحسن شعر الخالديين ، ليزيد فى حجم ماينسخه ، وينفق سوقه ، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الاصول المشهورة منهما ، وقد وجدتها للخالديين بخط أحدهما "(٢)

ويقول الدكتور (سلام) : " ان الثعالبى يهتم باظهار بعض الخصائص والمعالم الفنية فى شعر من يترجم لهم ، رابطا بين تلك المعالم ومذاهب كبار الشعراء المشهورين ممن ابتدعوها أو عرفوا بها من قبل ، مثل مذهب أبى تمام ومذهب ابن الرومى ."(٣)

وحين نردد نظرنا فى كتاب " تاريخ النقد الأدبى عند العرب " نجد تحامل الدكتور احسان عباس على الثعالبى واضحا صريحا حيث يقول : " لا يعد الثعالبى فى النقاد ، لأن كتبه التى تتصل بالشعر لا تصور الا ذوقا فرديا خالصا ، من العسير تبين أساس نقدى له ، سوى اعجابه باللون الحضرى فى اشعار معاصريه - على تباين تلك الاشعار فى موضوعاتها وصياغتها - وعلى الرغم من أنه ذكر شعراء عصره فى (اليتيمة) - وهى أوضح كتبه من حيث الاسس النقدية - على حسب الأقاليم ، فمن الكثير عليه أن يقال : انه فعل ذلك ادراكا منه لاختلاف الشعراء باختلاف بيئاتهم .

صحيح انه ميز شعراء الشام بأنهم أشعر من شعراء العراق وما يجاورها فى الجاهلية والاسلام ، وعلل ذلك بقربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجمة ، وسلامة السنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، وجمعهم بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ووجود امراء شغوفين بالأدب ، يحبون الشعر وينتقدونه ولكن هذا - حتى لو أقررنا بصحته - لم يكن هو الاساس الذى جعله يفرد بابا لشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان ، وآخر لأهل خراسان وما وراء النهر ، وانما وجد أن التأليف بحسب القسمة الاقليمية

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٢ (٢) يتيمة الدهر ٢ : ١١٨ .

(٣) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجرى ص ٥٢

أسهل فى حصر أسماء المعاصرين ، فاعتمده ، ولو كان اختلاف البيئة مقياسه فى النظرة النقدية لما خلط بين شعراء مصر والمغرب والاندلس ، وترجم لهم فى نطاق واحد ." (١)

من هذا نرى ان الدكتور احسان عباس يأخذ على الثعالبى أمرين أولهما انه استعمل ذوقه الفردى الخاص المقصور على الاعجاب باللون الحضرى فى اشعار معاصريه ، وثانيهما أن تقسيمه شعراء اليتيمة على حسب الأقاليم لم يكن ادراكا منه لاختلاف الشعراء باختلاف بيئاتهم ، وانما وجد أن القسمة الاقليمية أسهل فى حصر أسماء المعاصرين .

أما الأمر الأول فلو سلمنا به فحسبه أن يثبت له ذوقا فنيا خاصا فى مجال النقد .

وأما الأمر الثانى فحسب الثعالبى أن ينهج هذا المنهج التاريخى مهما يكن سهلا ومهما تكن الدوافع اليه .

ان هذين المأخذين يحسبان للثعالبى لا عليه .

ويتفق الدكتور احسان عباس مع الدكتور مندور والدكتور سلام فى دراستهم للفصل الخاص بالمتنبى الذى يعد كتابا قائما بنفسه ، وهو مختلف عن بقية فصول الكتاب بما حوى من مادة نقدية فالثعالبى معجب بالمتنبى ، نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ،ولكنه كان قد قرأ عنه رسالة الصاحب بن عباد ،وكتاب الوساطة للجرجانى ، وشرح بن جنى للديوان ، ولعله قرأ كتبا أخرى أيضا ،وسمع اخبارا شفوية عنه من الخوارزمى الذى عاش مدة من الزمن فى بلاط سيف الدولة ." (٢)

ويعود الدكتور احسان ليقر ويعترف بفضل الثعالبى بأنه ابتكر اشياء جديدة فى دراسته للمتنبى لم نجدها فيما ألف عن المتنبى من قبل ، منها : معانيه التى حلها الكتاب فى رسائلهم مثل الصاحب والصابى والضبى والخوارزمى ، ونماذج من المعانى التى سرقها من الشعراء ، والمعانى التى كررها فى شعره ، والتوسع فى ضروب محاسنه ، وان الثعالبى لمح اشياء أجاد فيها المتنبى ، كالغزل فى الأعرابيات ، وحسن التصرف فى أنواع الغزل ، والابداع فى التشبيه ، والتمثيل ، والمدح الموجه، ومخاطبة الممدوح مخاطبة المحبوب أو الصديق ، واستعمال الفاظ الغزل فى أوصاف

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٣٧٤ و ٣٧٥

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٣٧٥

الحرب ، والمعانى المبتكرة .

هذا الى كثرة الأمثال السائرة ، والحكم ، وغير ذلك من ميزات ، "(١)

ويذكر الدكتور احسان أن الثعالبى يحاول أن يجعل للدين تدخلا فى المقياس الأدبى حين قال : " ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذى لا يسوغ الاخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر مايتعلق به موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته فى وقته . "(٢)

ولكن يبدو أن الدكتور احسان يحاول طمس آثار الثعالبى النقدية التى تحاشى بها ماجاء به القاضى الجرجانى فى الوساطة ، يقول : " وربما اعتمد فى ذلك على مصدر آخر "(٣)

ويختم الدكتور حديثه بقوله : " من كل ماتقدم نستطيع أن ننصف الثعالبى حين نقول أنه ليس يعد فى النقاد ، ولا حتى فى مؤرخى الأدب ، ولولا فصله عن المتنبى لكان ادراجه فى باب النقد تزيدا لايجد له مسوغا "(٤)

ويقول (بلاشير) عن الشاعر الناقد شفيق جبرى فى سلسلة محاضراته عن المتنبى : " ان البحث فى اسلوب المتنبى يبدو سطحيا ، يستوحيه الناقد من الثعالبى . "(٥)

ويقول ايضا : " الى جانب الأعمال النقدية يجب أن نضع الفصل الذى كتبه المؤلف ، ذو التصانيف المتنوعة (الثعالبى) ، وكرسه لشاعر الكوفة ولديوانه فى كتابه يتيمة الدهر .

واذا صدقنا المؤلف رأينا أنه تحت الحاح صديق له ، فكر فى أن يكتب تاريخا للمتنبى ، ولكنه انتهى بالاكتفاء بهذا الفصل من اليتيمة ، ويمكن مع ذلك عده كلا كاملا لأهميته (٦) " ويعلق على دراسة الثعالبى للمتنبى قائلا : " هذه الدراسة مبنية على خطة شخصية ، وهى مع ذلك تظهر شيئا اكثر من افكار الرجل ، فالثعالبى له فى الحقيقة شخصية ضعيفة ، تسمح لنا فى أن نجد فى احكامه على المتنبى الصدى

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٣٧٥ و٣٧٦
(٢) المصدر نفسه ص ٣٧٦ (٣) المصدر نفسه ص ٣٧٦
(٤) المصدر نفسه ص ٣٧٦
(٥) ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين ص ٧٨
(٦) ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين ص ١٥

لمذهب معتدل ، ظهر في نهاية القرن الرابع ، والثعالبي كالجرجاني ، وازن بين مزايا الديوان الذي درسه ونقائصه ، وأوحى الينا أن هذا الرأي هو الأكثر قبولا في الغالب ، "(١)

ويقول (نيكلسون) في كتابه (تاريخ الأدب العباسي) : "اذا أريد الوصول الى تقدير عادل لشاعر سيف الدولة ، يجب الالتجاء الى ناقد عربي يكشف لنا أسرار فن المتنبي ، والثعالبي بيتيمته خير من يكفل لنا ذلك وهو يقدره حق قدرة في كتابه القيم (٢) " أما الدكتور شكري فيصل فانه يورد السبب الذي ذكره الثعالبي لتفضيله شعراء الشام على شعراء العراق وسائر البلدان ، ويعلق بقوله : " الثعالبي اذن كان يقصد أولا الى العناية بالمحدثين من أهل العصر ، فقد وجد أن العناية بالقدماء استنفذت كثيرا من الجهود ، وغلبت على كثير من الكتب ، وان هؤلاء المعاصرين لهم محاسنهم ولهم رواؤهم ، ان لم يكن الرواء الحق ، فهو (رواء الحداثة) ، وان لم تكن الحلاوة الصرفة ، فهي (حلاوة قرب العهد) ، دون ان يكون لهم كتاب يجمع آثارهم ، أو مصنف يضم مختارهم ، فكان لابد من هذه النسخة التي تجمع بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، وقد كان يسع الثعالبي أن يصنف هؤلاء الشعراء المحدثين في طبقات تبعا للاجادة ، أو تبعا للشهرة ، أو تبعا لسني الوفاة والولادة ، ولكنه أثر أن يبتدع هذا التصنيف الذي يتمشى مع الأقاليم ، ويوحد بين الشعراء وبين البيئات التي وجدوا فيها غذاءهم الروحي والمادي ،

ويتساءل الدكتور فيصل : أكان صنيع الثعالبي ايمانا منه بأثر الاقليمية في صنع الأدب أم كان أثرا من آثار القسمة السياسية التي توزعت العالم الاسلامي آنذاك بين الحمدانيين والديالمة والسامانيين والغزنويين ؟ أكان عمله تنبها أدبيا عميقا أم كان استجابة سياسية سطحية ؟

ان ذلك يقتضينا أن نرى رأي الثعالبي في كتبه الأخرى ، وما علينا فهذه الاسباب التي فضل بها شعراء الشام على شعراء سائر البلدان تجعل صنيعه أقرب الى الاحساس بالاقليمية منه الى القسمة السياسية ، "(٣)

---

(١) المصدر نفسه ص١٦

(٢) تاريخ الأدب العباسي لنيكلسون ص(٨٦)

(٣) مناهج الدراسة الأدبية ص١٦٩ و١٧٠

ويؤيد الدكتور عمر الدقاق ماذهب اليه الدكتور شكري فيصل بأن " الثعالبي امتاز في يتيمته أنه ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل ، فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وهذا التناول في الحقيقة أقرب الى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعا لترتيب أسمائهم أو غير ذلك ، لأن صاحب اليتيمة استطاع في كتابه أن يربط بين الأديب وبيئته ، وهذا مايجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد في عصرنا هذا ، "(١)

ويقول الدكتور الدقاق : " انه - يعني الثعالبي - من الادباء البارزين بين القرنين الرابع والخامس ، كان متمكنا في اللغة وفقهها ، كما كان في الوقت نفسه أديبا ذواقة ، وناثرا بليغ البيان . "(٢)

أما الاستاذ عمر رضا كحالة فيقول فيه : " أديب ، ناثر ، ناظم ، لغوي ، اخباري ، بياني "(٣) ويذكر اسكندر آصاف في تقديمه كتاب " الاعجاز والايجاز " أن الثعالبي " من أئمة العربية ، طويل الباع ، رقيق المعاني ، حسن الاختيار ، غزير المادة . "(٤)

ويقول محققو كتاب (فقه اللغة) : " وكان الثعالبي واعية ، كثير الحفظ ، فعرف بحافظ نيسابور ، واوتي حظا في البيان ، بز فيه اقرانه ، فلقب بجاحظ زمانه ، وعاش بنيسابور حجة فيما يروي ، ثقة فيما يحدث ، مكينا في علمه ، ضليعا في فنه "(٥)

وأختم هذه الآراء والنعوت التي نعته بها كل من أرخ له أو ترجم حياته ، وكل من ذكر اسمه بين المؤلفين والادباء من قدماء ومحدثين ، اختمها برأي الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم في تمهيده لتحقيق (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي ، حيث يقول فيه : " ويؤخذ مما كتب وصنف أنه كان بدر الادباء الزاهر ، وكوكبهم اللامع ، وعى ما زخر به عصره من فنون الأدب ، وما ترجم الى العربية من ثقافات ، وأنه أحاط بجميع ماصنف من كتب وحفظ ماتناقلته الرواة من حر الشعر ومصطفى الكلام في مختلف الاصقاع ، من الأندلس غربا الى خراسان وتركستان شرقا ، وأن كل ما ازدهر في ظلال الدولة البويهية في العراق وفارس ، والسامانية في تركستان وما وراء النهر ، والحمدانية بحلب ، والفاطمية بمصر ، والمروانية بالاندلس - من صنوف الآداب ، قد

---

(١) مصادر التراث العربي ص١٥٦ (٢) المصدر نفسه ص ١٥٦
(٣) معجم المؤلفين حـ٦ ص١٨٩
(٤) الاعجاز والايجاز - تقديم اسكندر آصاف ص٥
(٥) فقه اللغة وسر العربية - ط ٢ مقدمة المحققين ص د .

أحاط به وعاء ، وان ما تفتحت به قرائح الشعراء ، وترسل به الكتاب والادباء في بغداد ونيسابور ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة واشبيلية ، قد وقع له ، واودعه بطون كتبه واسفاره ،(١) أما النقاد والادباء الذين لم يقتنعوا بما قدمه الثعالبي من علل لتفضيله شعراء الشام على شعراء العراق ، فمنهم الدكتور زكي مبارك الذين يقول : " وهو قليل التعليل لأحكامه على الكتاب والشعراء ، فاذا بدا له أن يعلل ويحلل وينقد فعل بلا تعمق ولا استقصاء ، "(٢) ومنهم محقق كتاب " يتيمة الدهر " الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد حيث يقول : " على أن في هذا الكتاب عيبا لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب ، لأنه يغطي على كل محمدة ، بل انه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكرى لا يدل الا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد ان يبين السبب في ذلك ، يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى " سائر البلدان " التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس ، واختلاط اهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام ،

ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وان هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سببا في فساد السنة العرب من أهل الشام ، "(٣)

فهو ينعى على الثعالبي أمرين ، أولهما : نسيان شعراء سائر البلدان في موازنته بين شعراء الشام وشعراء العراق ، وثانيهما : عدم تنبهه الى أثر الروم في فساد السنة أهل الشام .

أما نسيانه شعراء سائر البلدان في موازنته بين شعراء الشام وشعراء العراق فلكون الشام والعراق مركزي الخلافة الاموية والعباسية ، وقد كثر الشعراء في بلاط خلفاء هاتين الدولتين ، وقد فاق عدد الشعراء فيهما شعراء سائر البلدان .

وأما محاولة اخفائه أثر الروم في السنة العرب من أهل الشام ، وتشهيره بأثر

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٣ـ٥
(٢) النثر الفني في القرن الرابع ١٨٨:٢ (٣) يتيمة الدهر / مقدمة المحقق ص٩ ح١

الفرس فى فساد السنة عرب العراق ، فلأن أهل الشام كانت علاقتهم بالروم علاقة عداء فكانت المعارك بينهم لا تهدأ الا نادرا ، فالكراهية كانت تحول دون ان يتأثر فريق منهم بالآخر .

أما علاقة عرب العراق بالفرس فقد كانت وطيدة للغاية ، فاندمجوا ببعضهم البعض ، وكان من الفرس الوزراء والامراء والكتاب والادباء الذين لهم باع طويل فى اللغة العربية وأسرارها . فرأى الثعالبى أثر الفرس فى عرب العراق يختلف عن أثر الروم فى عرب الشام ، فبنى على ذلك تفضيله لشعراء عرب الشام على شعراء العراق وما يجاورها .

هذه طائفة من آراء الادباء والنقاد فى أبى منصور ، تدلنا على مكانته العالية عند القدماء والمحدثين ، وهى ان دلت على شىء فانما تدل على ما لهذا الرجل من ثقافة واسعة وآثار قيمة فرضت نفسها على كل من ترجح للثعالبى ، حيث لم تدفع الى هذه الآراء والاحكام دوافع السلطة والجاه ، فقد كان ابو منصور عريا عنهما ، وانما هذه الصفات التى وصف بها كانت نتيجة لجهده الذى بذله ، وآثاره التى بقيت على كتبه التى سنتحدث عنها فى الباب الثالث .

* * *

:: الباب الثالث ::

مؤلفات الثعالبي

عرض ودراسة

:: الفصـــل الأول ::

مؤلفاته العامـــة

ذكرنا ان أبا منصور الثعالبي الأديب الشاعر الناقد اللغوي الاخباري مـــن المؤلفين الذين خدموا التراث العربي خدمة جلى ، وقد كان واعية ، كثير الحفـظ ، فعرف لسعة اطلاعه ، وتبحره في كل فن ، والمامه بكل علم ، ولأدبه الجم ، واسلوبــه السهل الواضح بجاحظ نيسابور ، فقصد اليه القاصدون يضربون اليه آباط الابـل ، بعد أن أصبح راعي تلعات العلم ، وسار ذكره في الآفاق سير المثل ، وطلعـــت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب ، وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، واكثر راولها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، وبعد فهذه مؤلفاتـــه ، بعضها مطبوع ، وقليل منها مخطوط ، وكثير منها أتى عليه الزمن وعثرته الأيـــام ، وجميعها حسان المصادر والموارد ، وقد قصر تلميذه الباخرزي في ذكر كتبه والتعريف به ،

يقول محققا كتاب (لطائف المعارف) : " واذا ذكرنا كتب أبي منصور ذكرنا نهمة ينوء بثقلها الباخرزي ، فلقد جره تقصيره الأول في سوق مايتصل بأبي منصور مفصلا ، الى تقصير ثان حين لم يذكر كتب شيخه ووالده أبي منصور ، ولو أن الباخرزي كفانــا وكفى الناس معنا مؤونة التقصي والتحري ، فتقصى هو كتب أبي منصور — وما كان عسيرا عليه أن يفعل — لأسلف لنا خيرا ، وأسلف لشيخه خيرا ، ولأراح الصفدي من بعده ، أن يقع في هذا الخلط الكثير ، وهو يذكر كتب ابي منصور ، وكان هو المؤرخ الذي انفرد بسرد هذه الكتب وضمها في ثبت ،

وهكذا كان المؤرخ أقرب الي نهج المؤرخين من هذا المؤرخ المتقدم ، علـــى الرغم من عسر المهمة على ذاك المتأخر ، ويسرها على هذا المتقدم لو فطن لها ، "(١) وبالرغم من كثرة مؤلفاته فانني أرى من الواجب أن أذكر شيئا عن كتبه المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ، ثم اعقد لكل كتاب من أهم الكتب فصلا خاصا ،

---

(١) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ص ١٢ و ١٤

قال الكلاعى [1] : " وأخبرنى أبو الحسن بن بسام قال : أخبرنى الوزير الفقيه أبو بكر بن العربى انه سقط اليه من تواليفه — يعنى الثعالبى — أحد وعشرون تأليفا ، لم يسمها لى أبو الحسن المذكور ، ثم وجدت بعد موته تسميتها بخط يده ، فمن ذلك فقه اللغة ، ويتيمة الدهر ، وثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، وبرد الأكباد فى الاعداد ، وحل العقد ، ومرآة المروءة ، وأحسن ماسمعت ، وأحاسن المحاسن ، وغرر المضاحك ، والفرائد والقلائد ، والتمثيل والمحاضرة ، واجناس التجنيس والمبهج ، والطرائف واللطائف ، والكناية والنهاية ، والثلج والمطر ، والسحر والبلاغة ، وسجع المنثور ، واللمع الغضة ، وكتاب الف غلام ، وتتمة اليتيمة .

أما ابو البركات الانبارى [2] فقد اورد ذكر يتيمة الدهر وسحر البلاغة والفرائد والقلائد وسر الأدب [4] ، وأما الصفدى [3] فقد ذكر سبعة وستين كتابا ، ونقل ابن قاضى شهبة قائمة الصفدى ، وهي بالاضافة الى الكتب التى ذكرها الكلاعى : الاقتباس، مدح الشىء وذمة ، المضاف والمنسوب ، الشمس ، السياسة ، تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين ، يواقيت المواقيت ، التحسين والتقبيح ، خاص الخاص ، الاعجاز والايجاز ، انس المسافر ، عيون النوادر ، افراد المعانى ، المتشابه لفظا وخطا ، النوادر والبوادر ، الفصول الفارسية الانيس فى غرر التجنيس ، المنتحل ، سر البيان ، من اعوزه المطرب ، سر الادب فى مجارى كلام العرب ، الاحاسن فى بدائع البلغاء ، منادمة الملوك ، عنوان المعارف ، الطرف من شعر البستى ، الورد ، حجة العقل ، صنعة الشعر والنثر ، سر الوزارة ، الامثال والتشبيهات ، مفتاح الفصاحة ، لباب الاحاسن ، لطائف الظرفاء ، الخوارزمشاهيات ، المديح ، الادب مما للناس فيه أرب ، التفاحة ، افراد المعانى (مكرر) ، نسيم الانس ، اللطيف فى الطيب ، بهجة المشتاق ، خصائص الفضائل ، جوامع الكلم ، الملح والطرف ، المشوق ، من غاب عنه المؤانس ، نسيم السحر ، الفصول فى الفصول .

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢ ٢٣٢ر٢٣٣
(٢) نزهة الألبا ٣٦٥
(٣) الوافى بالوفيات حـ١٩ ص٩٩ ظهر ١٠٠٥ وجه
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ر٣٨٨

وذكر ابن خلكان [١] من تواليف الثعالبي اليتيمة وفقه اللغة وسحر البلاغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومؤنس الوحيد .

أما حاجي خليفة فقد ذكر مايقرب من عشرين كتابا في (كشف الظنون [٢]) وذكر البغدادي [٣] خمسة وعشرين كتابا في (هدية العارفين) ، وذكر الدميري [٤] اهم ثلاثة كتب هي : ثمار القلوب وفقه اللغة واليتيمة .

والزركلي [٥] ذكر قائمة وأشار الى المطبوع بالحرف (ط) والمخطوط بالحرف (خ) : اليتيمة (ط) ، فقه اللغة (ط) وسحر البلاغة (ط) ، طبقات الملوك (خ) ، الاعجاز والايجاز (ط) ، نثر النظم وحل العقد (ط) ، مكارم الاخلاق (ط) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ط) ، سر الادب (ط) ، الكناية والتعريض (ط) ويسمى النهاية في الكناية ، والمؤنس الوحيد (ط) ومختارات منه ، والتجنيس (خ) ، غرر البلاغة (خ) ، برد الاكباد (ط) ، والأمثال (ط) واسمه الفرائد والقلائد من انشاءه ، ومرآة المروءات (ط) ، والغلمان (خ) ، وتحفة الوزراء (خ) ، واحسن المحاسن (خ) ، وأحسن ماسمعت (ط) ، واللطائف والظرائف (ط) ، يواقيت المواقيت (ط) والشكوى والعتاب (خ) ، والمقصور والممدود (خ) ، المتشابه (خ) والمنتحل (خ) ، والمبهج (ط) والتمثيل والمحاضرة (خ) طبعت منتخبات منه .

أما طاش كبرى زاده [٦] فقد ذكر له من التصانيف: اليتيمة وقال ان هذا الكتاب ذيل للبارع ، وفقه اللغة ومؤنس الوحيد وسحر البلاغة ونشر البراعة ومن غاب عنه المطرب .

وذكر محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني [٧] جملة كتب منها : اليتيمة وفقه

---

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢

(٢) كشف الظنون ١٤ ر ١٢٠ ر ٢٣٨ ر ٤٨٣ ر ٥٢٣ ر ٩٨١ ر ٩٨٥ ر ١٦٠٦ ر ١٢٠٣ ر ١٢٨٨ ر ١٤٤٥ ر ١٤٨٨ ر ١٥٣٥ ر ١٥٥٤ ر ١٥٨٢ ر ١٥٨٣ ر ١٩١١ ر ١٩٨٩ ر ٢٠٤٩

(٣) هدية العارفين ١ : ٦٢٥

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨

(٥) الاعلام ٣ : ٣١١

(٦) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١

(٧) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ٥ : ١٦٢

اللغة وسحر البلاغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب وسر الأدب وذكر ماجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى .

والشيخ عباس القمى [1] ذكر : اليتيمة وفقه اللغة وسر البلاغة وسر الأدب واللطائف والظرائف. وذكر له ابن العماد الحنبلي [2] : اليتيمة وفقه اللغة وسر البلاغة وسر البراعة .

أما سركيس [3] فقد ذكر له تسعة وعشرين كتابا هى : أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام ، وأحسن ماسمعت ، وأربع رسائل منتخبة من مؤلفات العلامة أبي منصور الثعالبي ، والاعجاز والايجاز أو الايجاز ، والأمثال المسمى بالفرائد والقلائد ويسمى أيضا بالعقد النفيس في نزهة الجليس ، وبرد الأكباد في الأعداد ، والتمثيل والمحاضرة ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، وخاص الخاص ، ورسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة ، وسر البلاغة وسر البلاغة ، وسر الأدب في مجاري كلام العرب ، والعقد النفيس في نزهة الجليس وهو كتاب الأمثال ، وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، والفرائد والقلائد ، وفقه اللغة وسر العربية ، والكناية والتعريض ، ولطائف المعارف ، واللطائف والظرائف ، والمبهج ومختصرات من كتاب المؤنس الوحيد في المحاضرات ، ومرآة المروءات واعمال الحسنات ومكارم الأخلاق ، ومن غاب عنه المطرب ، والمنتحل ، والمؤنس الوحيد في المحاضرات ونثر النظم وحل العقد ، والنهاية في التعريض والكناية ، ويتيمة الدهر .

وذكر محمد كرد علي [4] : اليتيمة وفقه اللغة وأسرار العربية وثمار القلوب في المضاف والمنسوب وأحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام وكتاب من غاب عنه المطرب وأحسن ماسمعت والكنايات والتمثيل والمبهج وسحر البلاغة والاعجاز والايجاز والامثال وبرد الاكباد في الاعداد وخاص الخاص وسر الادب وغرر اخبار ملوك الفرس والفرائد والقلائد ونثر النظم وحل العقد والكناية والتعريض ولطائف المعارف واللطائف والظرائف والمؤنس الوحيد ومرآة المروءات ومكارم

---

(١) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧ (٢) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٣) معجم المطبوعات: مجلد١/ ٦٥٦ — ٦٦٠
(٤) كنوز الاجداد ٢٣٤ — ٢٣٦

الاخلاق والمنتحل .

أما جرجي زيدان [١] فقد ذكر قائمة بستة وثلاثين كتابا : اليتيمة ، لطائف المعارف ، فقه اللغة ، الاعجاز والايجاز ، خاص الخاص ، نثر النظم وحل العقد ، مكارم الأخلاق ، غرر اخبار ملوك الفرس في التاريخ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، شمس الادب في استعمال العرب ، الكناية والتعريض ، اجناس التجنيس سحر البلاغة ، غرر البلاغة وطرف البراعة ، اللطف واللطائف ، من غاب عنه المطرب ، برد الأكباد في الاعداد ، التوفيق للتلفيق ، النهاية في الكناية ، مرآت المروءات ، التمثيل والمحاضرة ، كتاب الغلمان ، تحفة الوزراء ، كنز الكتاب ، أحاسن المحاسن ، أحسن ماسمع ، المبهج ، اللطائف والظرائف ، يواقيت المواقيت لطائف الصحابة والتابعين ، احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء ، الشكوى والعتاب ، المقصور والممدود ، المتشابه ، المنتحل ، الفرائد والقلائد وذكرت دائرة المعارف الاسلامية اثنين وثلاثين كتابا للثعالبي [٢] .

وذكر أحمد امين [٣] : فقه اللغة واليتيمة والاعجاز والايجاز وخاص الخاص وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ومن غاب عنه المطرب ونثر النظم وحل العقد وغرر اخبار ملوك الفرس ولطائف المعارف والمبهج وسحر البلاغة والنهاية في الكناية .

وعمر رضا كحالة [٤] يذكر له : فقه اللغة وسر العربية ، وسحر البلاغة وسر البراعة ، ويتيمة الدهر ، ونثر النظم وحل العقد ، وثمار القلوب .

ويذكر محقق كتاب التمثيل والمحاضرة [٥] ستة وثمانين كتابا نقلها عن ابن قاضي شهبة وابن شاكر الكتبي والصفدي والبغدادي وحاجي خليفة وابن خلكان وابن الانباري .

أما الاستاذ محمود الجادر [٦] فقد ذكر للثعالبي ستة ومائة كتاب منها ثلاثة وعشرون مطبوعا وعشرون مخطوطا واثنان وخمسون مفقودا وأحد عشر كتابا نسب الى

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠ — ٣٢٣ (٢) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ٣٩٣ — [illegible]
(٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣ و ٢٧٦ (٤) معجم المؤلفين ٦ : ١٨٩
(٥) التمثيل والمحاضرة : مقدمة المحقق (٦) الثعالبي نلقدا واديبا ٧٠ — ١٦٦

الثعالبي خطأ عن طريق التوهم .

وبعد أن تناولت ماذكره الادباء والمؤرخون من كتب ابى منصور فان من المناسب للموضوع عرض نبذة عن كل كتاب .

أ — المطبوعات :

أ — فقه اللغة :

ذكره كل من الكلاعى (١) وابن خلكان (٢) والصفدى (٣) وابن قاضي شهبة (٤) والقلقشندى (٥) والدميرى (٦) وطاش كبرى زادة (٧) وابن العماد الحنبلى (٨) وابن معصوم المدنى (٩) ومحمد باقر الاصبهانى (١٠) والشيخ عباس القمى (١١) ومحمد كرد على (١٢) واحمد امين (١٣) وجرجى زيدان (١٤) وسركيس (١٥) .

أما محرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية فيقول (١٦) : وتشمل الطائفة الثالثة تواليفه فى فقه اللغة بمعناه الضيق ، واشهرها كتاب فى المترادفات العربية الفه فى اخريات أيامه وسماه أول الأمر (شمس الأدب فى استعمال العرب) وهو قسمان : قسم فى المترادفات بمعناه الضيق وعنوانه (أسرار اللغة العربية وخصائصها) ، وقسم فى ملاحظ على الاسلوب عنوانه (مجارى كلام العرب برسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، وجل هذا القسم منقول بحذافيره من كتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس ، والكتاب فى أقدم صورة لا يوجد الا فى ليدن (مخطوط رقم ٦٦) وبرلين (رقم ٧٠٣٢—٧٠٣٣) ، ثم نشر الثعالبى القسم الأول

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٣) الوافى بالوفيات ج ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) صبح الاعشى ١ : ١٥٢
(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٨
(٧) مفتاح السعادة ١ : ٢٣
(٨) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٩) انوار الربيع ١ : ١٧٣
(١٠) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١١) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧
(١٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٦) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧

بمفرده بعنوان " فقه اللغة " وراج في صورته هذه رواجا عظيما ، والنسخ المطبوعة (باريس (١٨٦١م) طبعة الكنت رشيد الدحداح والقاهرة ١٢٨٤ هـ ، ١٣١٧ هـ وعلى هامشه النسخة الأصلية " اسرار البلاغة ١٣٢٥ هـ وبيروت ١٨٨٥م طبعة موجزة ، وقد نشر في طبعتي القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ١٣٢٥ هـ ايضا القسم الثاني من النسخة الأصلية بعنوان " سر العربية في مجاري كلام العرب وصلتها والاستشهاد بالقرآن على اكثرها ، كما طبع ايضا في طهران بعنوان " سر الأدب في مجاري علوم العرب" مع السامي في الاسامي للميداني ، وهو طبعة حجرية غير مؤرخة ، ونجده منفردا في مخطوط بباريس رقم ٥٩٨٩ وفيه خطأ في العنوان اذ قيل (مجازي) بدلا من (مجاري) ، ووقع هذا الخطأ في غير هذا المخطوط (شل حاجي خليفة طبعة فلوجل حـ٤ ص ٥٩٠) ونظمه ناظم مجهول عام ٧٤٣ هـ (١٣٤١م) بعنوان (نظم فقه اللغة " (مخطوط بليدن تحت رقم ٦٧) .

طبع بعناية الكنت رشيد الدحداح — باريس — طبع حجر مصر — طبع حروف مصر بالمط العمومية على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه — بتصحيح الشيخ محمد الزهري ، وباعتناء الأب لويس شيخو مط اليسوعيين — بيروت . وطبع في بيروت سنة ١٨٨٥ م وفي مصر .

كان الثعالبي واسع العلم باللغة فألف (فقه اللغة) ، وأراد أن يجعله معجما على نمط جديد وهو جمع الكلمات في الموضوع الواحد في موضع واحد ، وأتت هذه الفكرة له في نيسابور عندما أتاح له الامير الميكالي أن يدخل مكتبته وان ينقل ما يستطيع به أن يؤلف هذا الكتاب القيم ، والكتاب : " هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها أو تدرجها أو تفرعها ، مما يفتقر الى درس طويل ، وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . " (١)

استقى الثعالبي مادته — كما ذكر في المقدمة — من كتب ائمة اللغة أمثال الخليل بن أحمد والاصمعي وأبي عمرو والشيباني والكسائي والفراء وأبي زيد وأبي عبيدة وابن

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٣

الاعرابى والنضر بن شميل وابن دريد وابن خالوية والازهرى وغيرهم ، فجاء كتابه جامعا وافيا .

يمتاز الكتاب بحسن ترتيبه ، فهو مقسوم الى ثلاثين بابا كل منها يتناول معنى من المعانى الاساسية ، وكل باب مقسوم بدوره الى عدد من الفصول الصغيرة "جمع فيه الألفاظ المتقاربة فى موضع واحد ، كالمائدة والخوان ، مع بيان الفرق بينهما "(١)

نقد الكتاب :

يقول محمد كرد على : " وهو كتاب كاد يحيط باللغة ، قسمه ابوابا وضم كل معنى الى شكله وكل لفظ الى مايماثله ، وجعله فى متناول الخواص والعوام ، والبنات والبنين ، وهو كتاب آخذ بناصية الكمال من أوله الى آخره ، قدمه لأبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى ، وكان أقام عنده زمنا فى ضيعه فيروز اباد من رستاق جوين وأمده بكتب من خزانته حتى كتب هذا الكتاب الدال على اغراقه فى النظام والتنسيق مايكاد يكون فيه منقطع النظير ." (٢)

ويقول محمد المبارك: " ولو نظرت فى كتاب (فقه اللغة) للثعالبى وهو مجلد صغير أو فى كتاب المخصص لابن سيدة وهو كتاب كبير لوجدت تحت كل نوع من انواع الموجودات وكل ضرب من ضروب الاشياء والنبات والحيوان والآلات والمرافق وصفاتها عددا كبيرا من المفردات المختلفة فى معانيها ودلالاتها ." (٣)

ويمتاز (فقه اللغة) من كثير من كتب المعانى التى سبقته بأنه ككتاب ابن السكيت يوجه عنايته الى ايراد الألفاظ المفردة لا الى التراكيب المنتقاة ، وبأنه يبذل وسعه فى سبيل تحديد مدلولات هذه الألفاظ وبيان مابينها من فروق .

ولا شك فى ان مثل هذا الكتاب الثمين لا يمكن أن يصدر الا عن فقه اللغة العربية تمام الفقه وتمثلها اكمل تمثل ." (٤)

---

(١) ظهر الاسلام ٢ : ١١٨ (٢) كنوز الأجداد ٢٣٤
(٣) فقه اللغة وخصائص العربية : ط ٢ : ص ٣١٤
(٤) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١ : ٦٣

ويقول الدكتور زكي مبارك: " في الكتاب فصول مهمة فيما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية والرومية ". (١)

وقد لاحظ أن الكتاب مختصر في موضوعه وانه خال من الشواهد فيقول " ولو أنه ضرب الامثال من الشعر والنثر لتحديد المعاني التي رمى الى تحديدها في كتابه لأصبح ذلك السفر كتاب أدب ولغة، ولكان متعة لاتملها النفس واساسا لدرس تطورات المعاني والألفاظ والتعابير ." (٢)

ويرى الدكتور صبحي الصالح عدم أهمية هذا الكتاب فيقول: " لانجد اسمه الا كالثوب الفضفاض عليه، فانه لم يضمن الا بعض المباحث القليلة التي يمكن أن تتعلق بهذا العلم كايراده بعض الألفاظ العربية التي نسبها أئمة اللغة الى الرومية، أو بعض الاسماء التي تفردت بها الفرس دون العرب، فاضطر العرب الى تعريبها أو تركها كما هي، أو الاسماء التي ماتت فارسيتها مع أن عربيتها ماتزال مستعملة محكية، وهذه المباحث مثبوتة في الباب التاسع والعشرين من كتابه، ولا تشغل اكثر من خمس عشرة صفحة ." (٣)

ومهما قيل في هذا الكتاب فان له اهمية كبرى ويدل على أن صاحبه فقه اللغة العربية تمام الفقه.

٢ـ المنتحل :

ذكره كل من الصفدي (٤) والزركلي (٥) ومحمد كرد علي (٦) وجرجي زيدان (٧) وسركيس (٨) ومحرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٩)

وقد طبع وعليه حاشية احمد بن علي بعنوان (المنتخل في تراجم شعراء المنتحل)

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع ٢٥٦ (٢) المصدر نفسه ٢ : ١٩٠
(٣) دراسات في فقه اللغة ٩٥ - ١٠ (٤) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ص ١٠٠ وجه
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١ (٦) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠ (٨) معجم المطبوعات / مجلد ١/ ٦٥٦
(٩) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٥

الاسكندرية (١٣٢١ هـ وتحمل مخطوطة دار الكتب المرقمة (٢٠٨٧ أدب) اسم المنتحل وهى منسوبة الى الثعالبى ، أما مخطوطة أيا صوفيا رقم (٤٥٥٠) فتحمل اسم المنتخل وهى منسوبة الى الميكالى .

وقد صححه الشيخ احمد ابو على امين مكتبة الاسكندرية الذى قال : "بيد أن الأمر فيه نكتة خفية لا بد من اظهارها ، وهو ان الامير الميكالى كان ممدوح الثعالبى وله فيه قصائد سيارة نال عليها جوائزه ، فلا غرو اذا ألف كتابا مثل هذا ونسبه اليه ، أو انتحله الامير لنفسه ، وسكت عنه الثعالبى ." (١)

يقع الكتاب فى خمسة عشر بابا يتناول كل باب منها غرضا شعريا وقد جمع المؤلف الابيات التى تعالج الغرض ، طريقته فى هذا الكتاب كطريقته فى بعض كتبه التى ثبتت له ، وعناوين الابواب مثل عناوين وابواب بعض كتبه مثل (أحسن ما سمعت) ، و (مكارم الاخلاق) و (سحر البلاغة) .

٣ــ سحر البلاغة :

ذكره الثعالبى (٢) بهذا الاسم وتبعه ابن الانبارى (٣) وحاجى خليفه (٤) والزركلى (٥) وابن معصوم المدنى (٦) والشيخ عباس القمى (٧) ومحمد كرد على (٨) وجرجى زيدان (٩) الذى قال : منه نسخ فى مكتبه برلين وفينا وباريس وكوبريللى وغيرها ، وقد طبعت بالآستانة منتخبات منه فى جملة رسائل اخرى .

وأما الذين ذكروه باسم (سحر البلاغة وسر البراعة) فهم الصفدى (١٠) وابن خلكان (١١) والموسوى الاصبهانى (١٢) وسركيس (١٣) ودائرة المعارف الاسلامية (١٤) .

---

(١) المنتحل / مقدمة المصحح ص٣
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٢٢٥
(٣) نزهة الألبا ٣٦٥
(٤) كشف الظنون ٢ : ٩٨١
(٥) الاعلام ٤ : ٣١١
(٦) انوار الربيع ١ : ١٧٣
(٧) الكنى والألقاب ٢ : ١١٧
(٨) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(١٠) الوافى بالوفيات ح١٩ ص٩٩ ظهر
(١١) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(١٢) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٨

أما طاش كبرى زادة [١] فقد ذكر كتابين هما : (سحر البلاغة) ، (نشر البراعة) وابن العماد الحنبلي [٢] ذكر كتابين هما : (سحر البلاغة) ، (سر البراعة) . والكلاعي [٣] ذكره باسم (السحر والبلاغة) والبغدادي [٤] ذكره باسم (رسوم البلاغة) .

وطبع بعنوان (سحر البلاغة وسر البراعة) في دمشق بتحقيق الاستاذ احمد عبيد . وقد صرح المؤلف باهداء النسخة الاولى من الكتاب الى الرئيس أبي سهل الحمدوني ، والثانية الى صاحب الجيش أبي عمران موسى بن هارون ، والثالثة الى أبي الفضل الميكالي [٥] .

قسم الكتاب اربعة عشر قسما وعالج كل قسم من هذه الاقسام غرضا ادبيا ، وأورد نصوصا لكتاب عصره ، وحل ابيات الشعراء بأسلوبه .

أوله : أما بعد فالحمد لله أولى من حمد والصلاة على محمد ... الخ

قال : فان هذا كتاب اخرجت بعضه من غرر نجوم الارض ، ونكت اعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر . وحللت بعضه من نظم امراء الشعر الذين اوردت ملح اشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر . فلفقت جميع ذلك ، وحررته وسقته ونسقته ، وانفقت عليه ما رزقته ، وعملته بكد الناظر وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدت فيه لذة الجدة ، ورونق الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم اشبه بشيء من كلام غير أهل العصر الا في قلائل وقلائد من الفاظ الجاحظ وابن المعتز تخللت اثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم اخل كلماته — التي هي وسائط الأدب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتع به أنفس الادباء ، وتلذ اعين الكتاب — من لفظ صريح أو تجنيس انيس أو تشبيه بلا شبيه أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل أو استعارة مختارة أو طباق ذي رونق باق . فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتاب اذا وشوا ديباجة

---

(١) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(٢) شذرات الذهب ٣ : ٢٤٧
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٤) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٥٧٢
(٥) سحر البلاغة / مقدمة المؤلف / ص٣

كلامهم بما يقتبسونه من نوره وسماحة قياده لأفراد الشعراء اذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره ، فأما المخاطبات والمجاورات فانها تتبرج بغرة من غرره وتتوج بدرة من درره " .

وهذه المقدمة نقلها الحصرى فى كتابه (زهر الآداب[1]) ويقول : فكل ما مر أو يمر من ذكر الفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت ، وعليه عولت .

هذا وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم وهم الصابيان والخالديان وبديع الزمان وابو نصر بن المرزبان والقاضى الجرجانى وابو محمد القاضى وابو القاسم الزعفرانى وابو فراس الحمدانى وابن ابى العلاء الاصبهانى وابو الطيب المتنبى وابو الفتح البستى وابو الفضل الميكالى وشمس المعالى قابوس والصاحب بن عباد وجماعة يكثر بهم التعداد .

وبلغ من شهرة هذا الكتاب انه لم يتخل أحد من القدماء والمحدثين الذين ترجموا للثعالبى عن ذكره ، حتى ان الحصرى ذكره ونقل عنه بعض نصوصه ، ولم يذكر غيره من الكتب وحرص ابن الانبارى على ذكره مع أنه نسى فقه اللغة .

ويروون أن أبا يوسف يعقوب بن احمد بن محمد صاحب كتاب البلاغة قال يقرظ كتاب (سحر البلاغة) : (من الوافر) [2]

سحرت الناس فى تأليف (سحرك) * فجاء قلادة فى جيد عصرك

وكم لك من معان فى معان * شواهد عندما تعلو بقدرك

وقيت نوائب الدنيا جميعا * فانت اليوم جاحظ أهل عصرك

٤ ـ المنهج :

ذكره الثعالبى [3] ، وتبعه الصفدى [4] والكلاعى [5] والزركلى [6] ومحمد كرد

---

(١) زهر الآداب ١ : ١٦٩ ، ١٧٠ (٢) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩

(٣) المتشابه ١٩ ، التمثيل والمحاضرة ٤

(٤) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩ ظهر

(٥) احكام صنعة الكلام ٢٣٢

(٦) الاعلام ٣ : ٣١١

على [١] وسركيس [٢] وأحمد امين [٣] ودائرة المعارف الاسلامية التي سمته (المبهج أو الموهج) [٤] وذكره جرجي زيدان وقال "منه نسخ مخطوطة في برلين وباريس وكوبريللي " [٥] وقد أهداه المؤلف لشمس المعالي قابوس بن وشمكير •

والكتاب يتناول في كل باب من ابوابه موضوعا ادبيا أو سياسيا أو اجتماعيا •

٥ــ اجناس التجنيس :

ذكره الكلاعي [٦] والصفدي [٧] وابن ابي الاصبع [٨] وجرجي زيدان [٩] •

وفي الاسكوريال مخطوطة منه بهذا الاسم ضمن مجموعة برقم (٣٦٣) •وفي دار الكتب نسختان منه برقم (١٢٨ بلاغة) ورقم ٤٨٠ مجاميع) •

وقد أهداه المؤلف للأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين • ومنهجه الجناس والاستشهاد لأنواع الجناس بنصوص من الشعر والنثر •

٦ــ المتشابه :

ذكره الصفدي باسم (المتشابه لفظا وخطاً) [١٠] وتابعه ابن قاضي شهبة [١١] على ذلك • وسماه الزركلي (المتشابه رسالة) [١٢] • أما جرجي زيدان فقد ذكره باسم (المتشابه) [١٣] • وقد طبع بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي باسم (المتشابه) • ويذكر السامرائي في المقدمة سيرة المؤلف وثمانية وثلاثين مؤلفا اعتمادا على كتب التراجم •

---

(١) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٣) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٨
(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٧) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٨) بديع القرآن ٨
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧
(١٠) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ص ١٠٠ وجه
(١١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٢) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٣)

وقد أوجز الثعالبى فى فاتحة الكتاب الخطة التى سار عليها ،فقد أشار الى أنه بناه على ثلاثة أقسام :

الأول : فى المتشابه الذى يشبه التصحيف .

الثانى : فى المتشابه من التجنيس الصحيح .

الثالث : فى المتشابه خطا ولفظا .

أهداه المؤلف الى الأمير الأجل أبى المظفر نصر بن ناصر الدين .

ولنأخذ مثلا القسم الأول : فى المتشابه الذى يشبه التصحيف فيه :

أ — باب ما نطق به القرآن وجاء فى الأثر عن الصدر الأول والسلف الأفضل ، من ذلك : " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا "

ب — باب فيما صدر عن سائر طبقات البلغاء : " يعمد الى زهرة الألفاظ فيجتنبها ، والى ثمرة المعانى فيجتبيها . "

ج — باب فى الامثال وما يجرى مجراها : " ليس من العدل سرعة العذل ،المشاورة قبل المساورة " .

د — باب فى أفعل من كذا : " أحسن من أنوار الاشجار ، وأطيب من انفاس الاسحار . "

هـ — باب من فقر وغرر شمس المعالى .

و — باب فيما اخرج منها لابن العميد .

ز — باب فيما اخرج منها للصاحب بن عباد .

ح — باب فيما اخرج لأبى الفتح البستى .

ط — باب فيما اخرج لبديع الزمان .

ى — باب فيما اخرج لا اسحق الصابى . . . الخ .

٧— كتاب الأمثال :

ذكره الصفدى باسم (الامثال والتشبيهات[١]) ، وتابعه ابن قاضى شبهة[٢] على ذلك . وسماه محمد كرد على [٣] (الأمثال) ، وذكره سركيس[٤] (الامثال أو الفرائد

---

(١) الوافى بالوفيات ج١٩ ص ١٠٠ وجه (٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(٣) كنوز الاجداد ٢٣٤ (٤) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

والقلائد ويسمى العقد النفيس فى نزهة الجليس)

واطلعت على نسخة مطبوعة على نفقة مصطفى البابى الحلبى وأخويه باسم (كتاب الامثال المسمى بالفرائد والقلائد ويسمى ايضا بالعقد النفيس ونزهة الجليس) انشاء الامام أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى ، طبعت فى مطبعة دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٢٧ هـ .

يقول الثعالبى (١) فى خطبة الكتاب: " الحمد لله العلى الكبير القوى القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، منشئ كل شئ ومبيده ، ومبدئ كل حى ومعيده ، الى أن يقول : وقصدنا فيما اقتناه عن ذلك وجه الاختصار وكنه الاقتصار ليقل لفظه ويسهل حفظه ، وجعلناه الف فصل ومثل فى ثمانية أبواب :

الباب الأول : فى فضيلة العلم والعقل .
الباب الثانى : فيما يستعان به على الزهد .
الباب الثالث : " " " على أدب اللسان .
الباب الرابع : " " " على أدب النفس .
الباب الخامس : " " " على مكارم الأخلاق .
الباب السادس : " " " على حسن السيرة .
الباب السابع : " " " على حسن السياسة .
الباب الثامن : " " " على حسن البلاغة .

ووسمناه (بكتاب الفرائد والقلائد) .واستعنا فيما قصدناه من ذلك بالله الجليل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٨ — يواقيت المواقيت :

ذكره الصفدى (٢) وتابعه على ذلك ابن قاضى شهبه (٣) والزركلى (٤) وجرجى زيدان (٥) ودائرة المعارف الاسلامية (٦) وابن معصوم المدنى الذى قال : " ولأبى

---

(١) الأمثال / المقدمة ٢ ، ٣ ، ٤ (٢) الوافى بالوفيات جـ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ (٤) الاعلام ٣ : ٣١١
(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠ (٦) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٥

منصور عبد الملك الثعالبى كتاب فى مدح كل شيء وذمه ، ترجمه بيواقيت المواقيت ، وهو غاية فى بابه ، فلنذكر منه هنا نبذا مستطرفة :

مدح العقل : قال صلى الله عليه وسلم : ان الناس يعملون الخيرات ، وانما يعطون اجورهم يوم القيامة على مقادير عقولهم .

وكان الحسن البصرى يقول : العقل هو الذى يهدى الى الجنة ويحمى من النار ، أما سمعت قول الله تعالى حكاية عن أهلها : " لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا من اصحاب السعير " .

وقال آخر : العقل أحصن معقل . وقال آخر : أشد الفاقة عدم العقل .

ومن فصول ابن المعتز : العقل غريزة تزينها التجارب ، ومنها حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن .

وأشار المؤلف فى مقدمته الى أنه أهدى الكتاب الى الأمير الأجل (١) ، ولم يذكر اسمه أما منهج الكتاب فقائم على مدح كل شيء وذمه .

٩ـ برد الأكباد فى الأعداد :

سماه الثعالبى فى مقدمته (٢) وتابعه الكلاعى (٣) وحاجى خليفه (٤) وجرجى زيدان (٥) ومحمد كرد على (٦) ودائرة المعارف الاسلامية (٧) وسركيس (٨) .

أما الصفدى فقد سماه (الاعداد) (٩) ، وتابعه ابن قاضى شهبة (١٠) .

لم يصرح المؤلف بذكر اسم الذى ألف له هذا الكتاب .

ويقع الكتاب فى خمسة ابواب وهى مجموعة أخبار وملح عن النبى صلى الله عليه

---

(١) يواقيت المواقيت ص٤
(٢) برد الاكباد فى الاعداد ص ١٠٣
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٤) كشف الظنون ١ : ٢٣٨
(٥) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٧) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧
(٨) معجم المطبوعات ٦ : ٦٥٦
(٩) الوافى بالوفيات حـ١٩ ص ٩٩ ظهر
(١٠) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

وسلم والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الأعداد ، خص الباب الأول بالاختيارات القائمة على ذكر شيئين والباب الثاني للثلاثة والثالث للأربعة والرابع للخمسة وهكذا .

في باب العدد ثلاثة مثلا يقول : " ثلاثة لا يسلم منهن أحد : " الظن والطيرة والحسد " طبع الكتاب في الآستانة في جملة رسائل أخرى ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، ونسخة مخطوطة في دار الكتب برقم (١٧٥٦١ أدب) ، ومخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١٧٧ مجاميع)

١٠ — مختصرات من كتاب المؤنس الوحيد في المحاضرات :

انفرد سركيس [١] بذكره : " طبع ومعه ترجمة الى اللغة الألمانية ، اعتنى بطبعها وتصحيحها وترجمتها العبد الضعيف غوستاف فليغل "

١١ — مرآة المروءات :

ذكره الصفدي [٢] باسم (مرآة المروءة) وتابعه على ذلك ابن قاضي شهبة [٣] وذكره الكلاعي [٤] بهذا الاسم أما سركيس [٥] وجرجي زيدان [٦] ودائرة المعارف الاسلامية [٧] فقد ذكروه باسم (مرآة المروءات وأعمال الحسنات وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٨٩٨ م دون تحقيق باسم (مرآة المروءات وأعمال الحسنات) .

لم يصرح المؤلف باسم الذي ألف له الكتاب ، ولكنه اكتفى بذكر " الصدر الأجل السيد الصاحب أكفى الكفاة) ثم أشار الى العبودية القديمة لحضرته ، " [٨] .

قسم الكتاب الى خمسة عشر بابا ، يبدأ كل باب بلفظة (مروءة) مضافة الى طبقات الناس ومظاهر العيش .

أما مادة الكتاب فهي تتضمن مجموعة اختيارات من الآيات القرآنية والاحاديث والامثال والاشعار كعادته في معظم كتبه .

---

(١) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٢) الوافي بالوفيات جـ ٩ ١ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٤) احكام صنعة الكلام ٢ ٢٣
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٧) ٦ : ١٩٧
(٨) مرآة المروءات ٢ ، ٣

١٢ــ مؤنس الوحيد :

ذكره ابن خلكان (١) وطاش كبري زادة (٢) وحاجي خليفة (٣) والبغدادي (٤) ومحمد كرد علي (٥) وأحمد امين (٦) وسركيس (٧) وذكر الزركلي (٨) انه مطبوع •

طبع الكتاب باسم " مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد " في فينا سنة ١٨٢٩ م بتحقيق (غوستاف فليغل) • ونسب الى الثعالبي •

وقد ذكر في دائرة المعارف (٩) الاسلامية (أن المطبوع ماهو الا قطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني)

١٣ــ من غاب عنه المطرب :

ذكره ابن خلكان (١٠) وتابعه طاش كبري زاده (١١) والموسوي الاصبهاني (١٢) وسركيس (١٣) ومحمد كرد علي (١٤) وجرجي زيدان (١٥) وأحمد امين (١٦) أما دائرة المعارف الاسلامية (١٧) فقد ذكرت (انه ذيل لأحسن ماسمعت • وهو مخطوط بخط المؤلف موجود في جامع (لاله لي) باستانبول وقد طبع في مجموعة (التحفة البهيسة) استانبول سنة ١٣٠٢ هـ وفي بيروت سنة ١٣٠٩ هـ وترجمه رشر " • وأما الصفدي (١٨) فقد ذكره باسم (من اعوزه المطرب) •

والكتاب يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة وأوصاف الليالي والايام والغزل والخمريات والاخوانيات •

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢
(٢) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(٣) كشف الظنون ١٩١١
(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٥) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٦) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) ٦ : ١٩٦
(١٠) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٢
(١١) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١
(١٢) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٦) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٧) ٦ : ١٩٤
(١٨) الوافي بالوفيات ج١٩ ص ١٠٠ وجه

وتوجد منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال .

١٤ ـ أحسن ماسمعت :

ذكره الكلاعي (١) والصفدي (٢) وابن قاضي شهبة (٣) والزركلي (٤) وسركيس (٥) ومحمد كرد علي (٦) . أما محرر مادة ثعالبي (٧) فقد ذكر "أن المخطوط الموجود منه في مكتبته كوبريللي اكبر من المخطوط الموجود في دار الكتب المصرية . وقد ترجمه (رشر) وله ذيل (من غاب عنه المطرب) " وأما حاجي خليفه (٨) فقد ذكره باسم (اللآلئ والدرر) وقال " ويعرف بأحسن ماسمعت " . وسماه جرجي زيدان (٩) " أحسن ماسمع " .

وقد طبع الكتاب باسم (أحسن ماسمعت) مع شرح لمحمد صادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤ هـ . وقد قسمه المؤلف الى اثنين وعشرين فصلا في مواد مختلفة افتتحها بالالهيات ثم اتبعها بالنبويات ثم الملوكيات ثم الاخوانيات ثم الادبيات ثم الخمريات ثم فصول السنة ثم الآثار العلوية ثم الدنيا والدهر والأمكنة والابنية والطعاميات وختمها بالمراثي والتعازي وفنون من المحاسن . وضمن كل باب بعض ابيات لمشاهير الشعراء .

وينتقد الاب لويس شيخو سكوت الثعالبي عن كثير من شعراء الاسلام كالفرزدق وجرير والاخطل . حيث لم يورد الا بيتا واحدا للأخطل . ويقول : أنه ـ يعني الثعالبي ـ لو جمع افضل ماسمع على الاطلاق لما كفته المجلدات الضخمة مع كثرة اغراض الكتابة واختلاف ابوابها " (١٠)

١٥ مكارم الأخلاق :

ذكره الزركلي (١١) ومحمد كرد علي (١٢) وسركيس (١٣) وجرجس زيدان (١٤) .

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(٢) الوافي بالوفيات جـ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٤) الاعلام ٣ : ٣١١ .
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٧) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٤
(٨) كشف الظنون ١٥٣٥
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) مجلة المشرق ـ السنة العاشرة ١٩٠٧م العدد الأول ١٣ ـ ٢٣
(١١) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١٣) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

وكتاب مكارم الأخلاق لأبي منصور الثعالبي برد الله مضجعه ، تولى نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق اللبنانية .

يقول الأب : " والرسالة المذكورة تدعى (مكارم الأخلاق) لم نجد لها ذكرا في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ، ولا في أحد فهارس المكاتب الاوربية ، فزادنا ذلك رغبة في نشرها لئلا تأخذها يد الضياع ، وهي عبارة عن ثمانية أبواب قصيرة ، أودعها صاحبها حكما بليغة مسجعة في حسن سياسة النفس ، فنزفها الى قرائنا " (١)

ولدى اطلاعنا على هذا الكتاب الذي نشره الأب لويس وجدنا أنه منسوخ عن كتاب الأمثال الذي مر ذكره معنا وذكرنا انه هو كتاب الفوائد والقلائد ويسمى أيضا بالعقد النفيس ونزهة الجليس حيث المقدمة نفسها :

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين : اما بعد فان أحق كلام نطق به لسان ، وأعرب به بيان ، وانطوى عليه كتاب ... الى قوله : وقصدنا فيما الفناه وجه الاختصار وكنه الاقتصار ليقل لفظه ويسهل حفظه .

ابواب الكتاب ثمانية : الباب الأول : في ما يستعان به على العقل والعلم ، والثاني في مايستعان به على الزهد والعبادة ، والثالث في مايستعان به على أدب اللسان .. وهكذا مثل ما جاء في كتاب الامثال السابق .

١٦ ـ الكناية والتعريض :

سماه الكلاعي (٢) (الكناية والنهاية) ، وذكره الصفدي (٣) ، باسم (الكناية والتعريض) وتابعه على ذلك ابن قاضي شهبة (٤) ، وذكره سركيس باسم (النهاية في التعريض والكناية) (٥) ، اما الزركلي فقد ذكره باسم (الكناية والتعريض ويسمى النهاية في الكناية) (٦) ، وجرجس زيدان سماه (النهاية في الكناية) (٧) ، وذكره أحمد امين باسم (٨) (النهاية في الكناية) وقال ان الثعالبي أهداه لمأمون خوارزم شاه " . وسماه

---

(١) مجلة المشرق / السنة الثالثة / العدد الأول سنة ١٩٠٠ م بيروت ٢٨ ـ ٣١

(٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٣

(٣) الوافي بالوفيات ج ١٩ ص ٩٩ ظهر

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٦) الاعلام ٣ : ٣١١

(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

(٨) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣

محمد كرد على [1] (الكناية والتعريض) .

أما دائرة المعارف الاسلامية [2] فقد ذكرته باسم (الكفاية في الكناية أو النهاية في التعريض والكناية أو الكناية والتعريض) . واشار محرر مادة ثعالبي الى الخلط في اسم هذا الكتاب فقال : " وفى عام ٤٠٠ هـ الف — يعنى الثعالبي — فى نيسابور لمأمون بن مأمون خوارزم شاه رسالة فى البلاغة مع الاشارة بصفة خاصة الى الكناية ، وتعرف بالمخطوطات حينا باسم (الكفاية فى الكناية) هكذا فى مخطوط باريس رقم (٥٩٣٤) ، وحينا باسم (النهاية فى التعريض والكناية) هكذا فى المتحف البريطانى الملحق رقم (١١١٠ ، ١١١١) ويكتفى حينا بـ (الكناية والتعريض) هكذا فى برلين رقم (٧٣٣٦) وطبعت بالعنوان الأخير فى مكة عام ١٣٠١ هـ وفى القاهرة عام ١٣٢٦هـ مع (المنتخب من كناية الادباء واشارات البلغاء) للجرجانى .

ويشتمل الكتاب على مايرد من الاوصاف بالكنايات عما يستهجن ذكره ويستقبح نشره ، أو يستحيا منه مثل أوصاف النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها . " [3]

وقسم المؤلف الكتاب الى سبعة ابواب ، عقد كل باب منها لغرض ، وقد تأنق فى استعمال الكنايات واختيارها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر .

١٧ — الظرائف واللطائف :

ذكره الكلاعى [4] والصفدى [5] بهذا الاسم ، أما الزركلى [6] ومحمد كرد على [7] والشيخ عباس القمى [8] وجرجى زيدان [9] وسركيس [10] ودائرة المعارف الاسلامية [11] فقد ذكروه باسم (اللطائف والظرائف) .

---

(١) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٢) ٦ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٣) الكناية والتعريض ١

(٤) احكام صنعة الكلام ٢٣٣

(٥) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩ ظهر

(٦) الاعلام ٢ : ٣١١

(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٨) الكنى والالقاب ٢ : ١١٧

(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢

(١٠) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(١١) ٦ : ١٩٥

وقد طبع مجموعا مع كتاب آخر للثعالبي (يواقيت المواقيت) سنة ١٢٧٥ هـ بمصر ، ثم طبع مرة ثانية بمصر سنة ١٢٩٦ هـ ، ومرة ثالثة سنة ١٣٠٧ هـ .

ونستدل من مقدمة الكتاب أن الثعالبي ألفه لخوارزم شاه [1] .

يشتمل الكتاب على مدح اشياء وذمها وقال المؤلف " لم اسبق الى مثله ولم اشارك في ارتباط شكله " [2]

ويضمن الكتاب مختارات من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر والامثال كعادته في معظم كتبه .

١٨ ـ سر الادب :

ذكره ابن الانباري [3] وحاجي خليفة [4] والزركلي [5] والشيخ عباس القمي [6] ومحمد كرد علي [7] والموسوي الاصبهاني [8] ، أما سركيس [9] فقد سماه (سر الادب في مجاري كلام العرب) ، وأما جرجي زيدان [10] فقد ذكره باسم (شمس الادب في استعمال العرب) ثم قال " وقد يسمى سر الأدب في مجاري لسان العرب ، ومنه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن " وقال محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية [11] : " انه طبع في طهران بعنوان (سر الادب في مجاري علوم العرب) مع (السامي في الاسامي للميداني) وهي طبعة حجرية غير مؤرخة ، ونجده منفردا في مخطوط باريس تحت رقم (٥٩٨٩) " .

١٩ ـ نثر النظم وحل العقد :

ذكره الكلاعي [12] والصفدي [13] وابن قاضي شهبه [14] باسم (حل العقد) ، أما

(١) ٣
(٢) ٣
(٣) نزهة الألبا ٣٦٥
(٤) كشف الظنون ٢ : ٩٨٥
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) الكنى والالقاب ٢ : ١١٧
(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٨) روضات الجنات ٥ : ١٦٢
(٩) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٠) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(١١) ٦ : ١٩٧
(١٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٢
(١٣) الوافي بالوفيات ج ٥ ص ٩٩ ظهر
(١٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧

الزركلي (١) ومحمد كرد علي (٢) وجرجي زيدان (٣) وأحمد امين (٤) وسركيس (٥) ودائرة المعارف الاسلامية (٦) وعمر رضا كحالة (٧) فقد ذكروه باسم " نثر النظم وحل المقد ".

توجد منه نسخة خطية في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية (أحمد الثالث رقم ٢٣٣٧) وعنوانها (نثر النظم)

طبع في دمشق سنة ١٣٠٠ هـ طبعة أولى ، ثم طبعة ثانية في دمشق سنة ١٣٠١ هـ وبهامشه (الفوائد والقلائد) ، ثم طبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ.

وهو عبارة عن تحويل النظم الى نثر، ويستفيد منه كل طالب يريد التفوق في صناعة الانشاء . هذا وقد أهداه الى خوارزم شاه ، كما صرح في مقدمته (٨) .

٢٠ — غرر ملوك الفرس وسيرهم : ذكره الزركلي (٩) ومحمد كرد علي (١٠) واحمد امين (١١) وسركيس (١٢) وجرجي زيدان (١٣) .

طبع الكتاب في باريس سنة ١٩٠٠ منسوبا الى عبد الملك الثعالبي ، ومعه مقدمة وترجمة فرنساوية للاستاذ زوتنبرج ناظر المطبوعات في مطبعة باريس الوطنية .

واعترض هذا على نسبة الكتاب الى المرغني الذي نسبه حاجي خليفة اليه ، فقال زوتنبرج " ان حسين المرغني غير معروف ، ولم يشر اليه أي كاتب من كتب التراجم والطبقات." وثمة ادلة تثبت أن الثعالبي هو صاحب الكتاب: لنأخذ مثلا حديثه عن ملك سابور بن هرمز ذي الأكتاف ، يقول المؤلف: " هو أول وآخر ملك ملك في بطن امه " ونحن نجد الخبر نفسه في كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي : تحت عنوان (في ملح

---

(١) الاعلام ٣ : ٣١١
(٢) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٤) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٥) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٦) ٦ : ١٩٥
(٧) معجم المؤلفين ٦ : ١٨٩
(٨) نثر النظم ٢
(٩) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(١٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

النوادر من غرائب الاحواب وعجائب الأوقات والاتفاقات) : (ملك ملك فى بطن امه " .

كذلك ورد فى كتاب (الغرر) وصف فرس بالتعبير التالى " كأنما انعلوه بالرياح الأربع " (١) وهذا الوصف استعمله الثعالبى فى شعره حين شكر الميكالى لاعدائـه فرسا :

ياواهب الطرف الجواد كأنمـا * قد انعلوه بالرياح الاربـع (٢)

وهكذا نجد الثعالبى قد برع فى علم التاريخ الى جانب العلوم الأخرى .

١١ — الاعجاز والايجاز :

ذكره الصفدى (٣) وابن قاضى شهبة (٤) والزركلى (٥) وجرجى زيدان (٦) ومحمد كرد على (٧) وأحمد امين (٨) وسركيس (٩) ودائرة المعارف الاسلامية (١٠) بهذا الاسم .
أما حاجى خليفة (١١) فقد ذكره باسم (اعجاز الايجاز) وتابعه البغدادى (١٢) على ذلك .

وتوجد منه نسخة مخطوطة فى المكتبة الخديوية برقم " ف ع ١٦٥٥٤ " ونسخة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم " ٤ أدب " بعنوان " الاعجاز والايجاز " وفى دار الكتب نسختان بعنوان " اعجاز الايجاز " الاولى برقم (٤٠٧ أدب " والثانية برقم " ٥٤٥ أدب " .

وقد طبع الكتاب فى استانبول سنة ١٣٠١ هـ ضمن خمس رسائل ، وفى القاهرة سنة ١٨٩٧ م مع شروح لاسكندر آصاف بعنوان " الاعجاز والايجاز " .

وذكر اسكندر آصاف فى المقدمة " أن الثعالبى أخذ عن أشهر العلماء الثقات كابن السكيت وأبى عبيدة والاصمعى والخوارزمى وسيبوية والسيرافى والمبرد وابن جنى وغيرهم " (١٣)

---

(١) غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٢٢
(٢) خاص الخاص ٢٣٨
(٣) الوافى بالوفيات جـ ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١
(٦) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٧) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٨) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣
(٩) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(١٠) ٦ : ١٩٦
(١١) كشف الظنون ١ : ١٢٠
(١٢) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١٣) الاعجاز والايجاز — مقدمة الشارح ص ٥

قسم الثعالبى الكتاب الى عشرة أبواب اختارها من القرآن الكريم والاقـــوال البليغة والحكم والامثال والشعر كعادته فى معظم كتبه .

٢٢ـ نسيم السـحر :

ذكره الصفدى [١] وابن قاضى شهبة [٢] . وقد طبع الكتاب فى بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين [٣] ، وطبع سنة ١٩٧١م فى بغداد بتحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار . لقد وجدت الدكتورة ابتسام [٤] فصولا فى فقه اللغة اختصرها الثعالبى فى نسيم السحر .

والرأى الذى لا يرقى اليه الشك هو " أن جميع ما ورد فى الكتاب موجود فى فقه اللغة بلا استثناء [٥] " .

٢٣ ــ تتمة اليتيمة :

ذكره الكلاعى [٦] والسبكى [٧] بهذا الاسم ، أما ابن قاضى شهبة [٨] فقد ذكره باسم يتيمة اليتيمة ، ولعل ذلك من خطأ الناسخ .

وقال محرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية [٩] : " وقد صنف الثعالبى نفسه أول ذيل لكتابه ــ يتيمة الدهر ــ ووسمه بتتمة اليتيمة . "

وقد ذكره ياقوت بهذا الاسم [١٠] ،وفى مكان آخر ذكر (يتيمة اليتيمة) اسم لكتاب الخطب فى دعوات ختم القرآن لابراهيم بن محمد بن حيدر بن على " [١١] .

وقد طبع كتاب (تتمة اليتيمة) فى طهران سنة ١٣٥٣ هـ فى جزأين بتحقيق عباس اقبال . وقد اشار الخورى جرجس فى مقال له : " الى أن الثعالبى ألف كتاب (تتمة اليتيمة) ليرد به فضل الشعراء الذين حملوا اليه الألطاف والهدايا بأن ترجم لهم فيه [١٢] " .

(١) الوافى بالوفيات جـ١٩ ص١٠٠ وجه
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٣) الثعالبى ناقد أو اديبا ١٤٠
(٤) نسيم السحر ـ مقدمة المحققة
(٥) الثعالبى ناقدا او اديبا ١٤١
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٨٥
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٩) ٦ : ١٩٤
(١٠) ارشاد الاريب جـ٥ : ١٠١
(١١) ارشاد الاريب جـ١ : ٣٢١
(١٢) مجلة لغة العرب سنة ١٩٢٠ ١٢ : ٥٣١، ٥٣٠

ومنهج (تتمة اليتيمة) كمنهج اليتيمة في تراجم الشعراء وتوزيعهم على اقاليمهم .

٢٤ــ ماجرى بين المتنبى وسيف الدولة :

ذكره الزركلى [١] بهذا الاسم ، وذكره سركيس [٢] باسم " رسالة فى ماجرى بين المتنبى وسيف الدولة "

أما ادورد فنديك فقد ذكر انه طبع فى ليبسك سنة ١٨٤٧ م [٣] .

٢٥ ــ لطائف الصحابة والتابعين :

ذكره جرجي زيدان [٤] فقال " طبع منه قطع فى ليدن للتعليم . " كما ذكره محرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية [٥] وقال انه طبع فى ليدن سنة ١٨٣٥ م .

٢٦ــ الفرائد والقلائد :

ذكره الكلاعي [٦] والصفدى [٧] وابن قاضي شهبة [٨] والزركلى [٩] ومحمد كرد علي [١٠]
اما ابن الانبارى [١١] فقد ذكره باسم (فرائد القلائد) ، واما محرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية [١٢] فقد سماه (الفرائد والقلائد أو العقد النفيس ونزهة الجليس) طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

وجرجى زيدان [١٣] قال انه طبع بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

٢٧ــ خاص الخاص : سأعقد له فصلا خاصا نظرا لأهميته

٢٨ــ لطائف المعارف : " " " " " "

٢٩ــ التمثيل والمحاضرة : " " " " " "

٣٠ــ ثمار القلوب : " " " " " "

٣١ــ يتيمة الدهر : " " " " " "

(١) الاعلام ٣١١/٣
(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٣) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ٢٦٩
(٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٥) ٦ : ١٩٦
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٧) الوافى بالوفيات ح ١٩ ص ٩٩ ظهر
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٩) الاعلام ٣ : ٣١١
(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) نزهة الألبا ٣٦٥
(١٢) ٦ : ١٩٥
(١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣

ب ـ المخطوطات :

١ ـ الاقتباس من القرآن الكريم :

يوجد منه نسخة مخطوطة بهذا العنوان في مكتبة سليم أغا برقم ١١٣ وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها برقم " ٢٦ التفسير وعلم القرآن "

ذكره الثعالبي في (اليتيمة) عندما أورد محاسن كلام أبي اسحق الصابي فقال : " وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الاحسان وحلاها بآي من القرآن . "(١) . وذكره في " الكناية والتعريض "(٢) . وذكره الصفدي (٣) باسم (الاقتباس) .

قسم الكتاب الى خمسة وعشرين بابا ، ومنهجه قائم على الاقتباس من القرآن الكريم لفظا أو معنى أو عملا .

وصرح المؤلف في مقدمته انه قدم الكتاب الى الامير أبي المظفر (٤) .

٢ ـ تحفة الوزراء :

ذكره الزركلي (٥) وسركيس (٦) وجرجي زيدان (٧) ، وذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٨) : ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وفي دار الكتب برقم ٦٣٣٣ .

يوجد منه نسختان مخطوطتان مصورتان في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية الأولى برقم (فيصل الله ٢١٣٣) والثانية برقم (أمانة خزينة ١٧٢٦) .

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢٤٢ ، (٢) الكناية والتعريض ١٩
(٣) الاقتباس ورقة ١٣ وجه وظهر ، (٤) المصدر نفسه ورقة ١ وجه
(٥) الاعلام ٣ : ٣١١ ، (٦) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢ (٨) ٦ : ١٩٦

وقد الف الثعالبي هذا الكتاب لأبي عبد الله الحمدونى وزير خوارزم شاه كما جاء في مقدمة الكتاب[١] .

وقسم الكتاب الى خمسة ابواب ، تكلم فيها عن سياسة الوزراء وأخذ يضرب الامثال ويستشهد بآى من الذكر الحكيم كقوله : " وقد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعدا من الوزراء ، والجمع بينهم في زمان واحد ، وذلك خطأ من الرأى وخطأ من التدبير ، وفيه خطر على المملكة ، اذ لا يسع السيفين غمد ، وكثرة الايدى في الصلاح فساد ، وفي أمثال العامة : من كثرة الملاحين غرقت السفينة ، وأجل الأقوال وأحسنها وأصدقها قوله تعالى في محكم كتابه : " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا . "[٢]

٣ـ تحسين القبيح وتقبيح الحسن :

ذكره الصفدى[٣] باسم (التحسين والتقبيح) وتابعه ابن قاضي شهبة[٤] .

توجد منه نسخة مخطوطة بهذا الاسم في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم " فيض الله ٢١٣٣ " ومنه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣١ مجاميع) وقد صرح المؤلف باهدائه الكتاب الى على بن عيسى الكرجى[٥] .

في النصف الأول من المخطوطة مدح اشياء تعارف الناس على ذمها ، وفي النصف الثاني ذم اشياء تعارف الناس على مدحها .

٤ـ اللطف واللطائف :

ذكره البغدادى[٦] ، وذكر جرجى زيدان[٧] أن منه نسخا مخطوطة في الاسكوريال وفينا ودار الكتب .

---

(١) ورقة ٢ وجه
(٢) ورقة ٧ وجه
(٣) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ١ وجه
(٦) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٧) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

ويقع الكتاب في ستة عشر بابا تضمنت أقوال طبقات الناس التي من جنس صناعاتهم ، وجعل لكل طبقة بابا . واشار الى أنه " لم يسبق الى مثل هذا المنهج " (١)

٥ــ الغلمان :

ذكره ابن بسام (٢) باسم (الف غلام) ونقل الكلاعي (٣) هذا الاسم نفسه (الف غلام) ، أما ابن خلكان (٤) والصفدي (٥) وابن قاضي شهبة (٦) وحاجي خليفة (٧) والزركلي (٨) فقد ذكروه باسم (الغلمان) ، وذكره جرجي زيدان (٩) بهذا الاسم وقال " ان منه نسخا مخطوطة في برلين والاسكوريال .

٦ــ سجع المنثور :

ذكره الكلاعي (١٠) والصفدي (١١) وابن قاضي شهبة (١٢) . وتوجد منه مخطوطة مصورة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (ف٥٥٠١٠) مصورة عن مخطوطة احمد الثالث (٢٣٣٧) وهي اثنتا عشرة لوحة ، وقد شرح الثعالبي منهجه في المقدمة .

قسم الثعالبي الكتاب الى خمسة عشر بابا ، جعل البابين الأول والثاني للصفات الممدوحة والمذمومة ، والثالث لجواهر الكلام ، والابواب الرابع والخامس والسادس والثاني والتاسع للأمثال المسجوعة ، أما الأبواب الستة الأخيرة فقد جعلها في الامثال .

٧ــ التوفيق للتلفيق :

ذكره البغدادي (١٣) ، وذكر جرجي زيدان (١٤) أن منه نسخة مخطوطة في برلين .

---

(١) اللطف واللطائف ورقة ١ وجه
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة /القسم الرابع مجلد ١ ص٧٦
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٤) وفيات الاعيان ١ : ٣٠
(٥) الوافي بالوفيات ١٩ / ورقة ٩٩ ظهر
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٧) كشف الظنون ١٤٤٥
(٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(١٠) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(١١) الوافي بالوفيات ١٩ : ورقة ٩٩ ظهر
(١٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٣) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢

٨ـ المهذب من اختيار ديوان ابي الطيب المتنبي واحواله وسيرته وماجرى بينه وبين الملوك والشعراء :

ذكر في فهرس دار الكتب[١] انه موجود بالدار نسخة برقم (١٨١٩٤ ش) .

٩ـ حلية المحاضرة وعنوان المذاكرة وميدان المسامرة :

ذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية[٢] ان منه مخطوطة بباريس تحت رقم (٥٩١٤) .

١٠ـ طبقات الملوك :

انفرد الزركلي[٣] بذكره وقال انه مخطوط ورمز اليه بالحرف (خ) .

١١ـ احاسن المحاسن :

ذكره الكلاعي[٤] والصفدي[٥] وابن قاضي شهبة[٦] وحاجي خليفة[٧] والزركلي[٨] وجرجي زيدان[٩] الذي اشار الى وجود نسختين مخطوطتين منه في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية ، وسماه (أحسن المحاسن)

١٢ـ غرر البلاغة وطرف البراعة :

ذكره الزركلي[١٠] باسم (غرر البلاغة (خ) واشار جرجي[١١] زيدان الى وجوده في مكتبة برلين كما اشارت دائرة المعارف الاسلامية[١٢] الى " وجود نسخة منه في برلين تحت رقم (٨٣٤١) ونسخة اخرى في كوبريللي برقم (١٢٩٠) بعنوان (غرر البلاغة للنظم والنثر) ونسخة في المتحف البريطاني بعنوان :

(غرر البلاغة للنظم والنثر والبراعة) ، ومنه مخطوط في حوزة نيكلسون . "

---

(١) فهرس دار الكتب ٣ : ١٣٧ (٢) ٦ : ١٩٦
(٣) الاعلام ٣ : ٣١١ (٤) احكام صنيعة الكلام ٢٣٢
(٥) الوافي بالوفيات ١٩ ورقة ٩٩ ظهر (٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٧) كشف الظنون ١ : ١٤ (٨) الاعلام ٣ : ٣١١
(٩) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢ (١٠) الاعلام ٣ : ٣١١
(١١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(١٢) ٦ : ١٩٦

لقد قام بدراسة هذا المخطوط الدكتور مرزوق فرج [1] فتبين له ان مؤلفه الثعالبي وان (غرر البلاغة) ماهو الا كتاب (الاعجاز والايجاز) .

١٣ـ ملح البراعة :

ذكره محققا (لطائف المعارف) [2] وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب بعنوان (سر البلاغة وملح البراعة) .

١٤ ـ تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١٥٤) [3]

١٥ـ التدلي في التسلي :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١ ٣ مجاميع) [4]

١٦ـ نتائج المذاكرة :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (١ ٣ مجاميع) [5]

١٧ـ نزهة الالباب وعمدة الكتاب :

يوجد منه مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١ ٢٧ مجاميع [6]

١٨ـ المقصود والممدود :

ذكره الزركلي [7] وقال جرجي زيدان [8] ان منه نسخة مخطوطة بدار الكتب وتابعهما محققا (لطائف المعارف [9]) ، ومحقق (التمثيل والمحاضرة) [10]

---

(١) مجلة كلية الاداب ـ بغداد ـ مجلد ٢ عدد ١٤ سنة ١٩٧١ ص ٦٢٢ ـ ٦٢٥
(٢) لطائف المعارف ـ مقدمة المحققين ١٩
(٣) مخطوطات جامعة الرياض المصورة ١ : ٣٥
(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٧ (٥) المصدر نفسه ٢ : ١٠٣
(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٠٥ (٧) الاعلام ٣١١/٣
(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٩) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ١٩
(١٠) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق ١٥

١٩ـ شمس الأدب في استعمال العرب : ذكر جرجي زيدان (١) أن منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن ، وذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٢) أن الكتاب في اقدم صوره لا يوجد الا في لندن (مخطوط رقم ٦٦) وبرلين (رقم ٧٠٣٢ ـ ٧٠٣٣)

٢٠ـ الاشباه والنظائر :

توجد منه نسخة مخطوطة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم (ولي الدين ٥٢) منسوبة الى الثعالبي ٠

٢١ـ الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والاصحاب :

ذكره الزركلي (٣) باسم (الشكوى والعتاب) واشار الى أنه مخطوط ٠ كما اشار جرجي زيدان (٤) الى وجود مخطوطة منه بدار الكتب وهذه المخطوطة برقم (١٦٧٣ أدب) ٠

٢٢ـ أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والكتاب والبلغاء والحكماء :

ذكره محمد كرد علي (٥) وسركيس (٦) باسم (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام) أما محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٧) فقد ذكره باسم (احاسن كلم النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء " ٠

توجد منه نسخ خطية في ليدن وباريس ، ويقول جرجي زيدان (طبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤م) ٠

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١
(٢) ٦ : ١٩٧
(٣) الاعلام ٣ : ٣١١
(٤) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٥) كنوز الاجداد ٢٣٤
(٦) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٧) ٦ : ١٩٦

٢٣ ـ كنز الكتاب :

ذكره جرجي زيدان (١) ودائرة المعارف الاسلامية (٢) ، ومنه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفينا .

٢٤ ـ سراج الملوك :

انفردت بذكره دائرة المعارف الاسلامية (٣) : " وهو مؤلف في الأخلاق نسب في مخطوط المتحف البريطاني الى الثعالبي .

٢٥ ـ كتاب الوزراء :

ذكر محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية (٤) ان هذا الكتاب يكمل كتاب سيرة الملوك ويوجد منه مخطوطة في جوتا تحت رقم ١٨٨٦ .

جـ ـ المفقودات :

١ ـ الأحاسن في بدائع البلغاء : ذكره الصفدي (٥) وابن قاضي شهبة (٦) .
٢ ـ الأدب مما للناس فيه أرب : ذكره الصفدي (٧) وابن قاضي شهبة (٨)
٣ ـ الأصول في الفصول : انفرد ابن قاضي شهبة (٩) بذكره
٤ ـ الانوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية : انفرد البغدادي (١٠) بذكره
٥ ـ الأنيس في غرر التجنيس : ذكره الصفدي (١١) بهذا الاسم ، وذكره ابن قاضي شهبة (١٢) باسم (الأنيس في غريب التجنيس)
٦ ـ البراعة في الكلم والصناعة : ذكر في فهرس المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا (١٣) .

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٣
(٢) ٦ : ١٩٥
(٣) ٦ : ١٩٧
(٤) ٦ : ١٩٧
(٥) الوافي بالوفيات جـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٧) الوافي بالوفيات جـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٩) المصدر نفسه
(١٠) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(١١) الوافي بالوفيات جـ ١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٣) ص ٤

٧ـ التفاحة : ذكره الصفدي [١] وابن قاضي شبهة [٢]
٨ـ الثلج والمطر : ذكره الكلاعي [٣] والصفدي [٤] وابن قاضي شهبة [٥]
٩ـ الخوارز مشاهيات : ذكره الصفدي [٦] وابن قاضي شبهة [٧]
١٠ـ السياسة : ذكره الصفدي [٨] وابن قاضي شهبة [٩]
١١ـ الشمس : ذكره الصفدي [١٠] وابن قاضي شهبة [١١]
١٢ـ الطرف من شعر البستي : ذكره الصفدي [١٢] وابن قاضي شهبة [١٣]
١٣ـ الفصول الفارسية : ذكره الصفدي [١٤] وابن قاضي شهبة [١٥]
١٤ـ الفصول في الفصول : انفرد الصفدي [١٦] بذكره
١٥ـ اللطيف في الطيب : ذكره الصفدي [١٧] وسماه ابن قاضي شهبة (الطيب) [١٨]
١٦ـ اللمع الغضة : ذكره الكلاعي [١٩] والصفدي [٢٠] وابن قاضي شهبة [٢١]
١٧ـ المديح : ذكره الصفدي [٢٢] وابن قاضي شهبة [٢٣]
١٨ـ المشوق : ذكره الصفدي [٢٤] وابن قاضي شهبة [٢٥]
١٩ـ الملح والطرف : ذكره الصفدي [٢٦] وابن قاضي شهبة [٢٧]
٢٠ـ الملوكي : انفرد الثعالبي [٢٨] بذكره
٢١ـ النوادر والبوادر : ذكره الصفدي [٢٩] وابن قاضي شهبة [٣٠]

---

(١) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(٢) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٨
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٣
(٤) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ٩٩ ظهر
(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٦) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(٧) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٨
(٨) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(٩) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٠) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر
(١١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٢) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(١٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٤) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(١٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٦) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(١٧) المصدر نفسه
(١٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٩) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .
(٢٠) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ٩٩ ظهر
(٢١) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٢٢) الوافي بالوفيات حـ٩ ١ ورقة ١٠٠ وجه
(٢٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(٢٤) المصدر الأول نفسه
(٢٥) المصدر الثاني نفسه
(٢٦) المصدر الاول نفسه
(٢٧) المصدر الثاني نفسه
(٢٨) تحفة الوزراء / ورقة ٣ وجه
(٢٩) المصدر الأول نفسه
(٣٠) المصدر الثاني نفسه

٢٢ـ الورد : ذكره الصفدي [١] وابن قاضي شهبة [٢].
٢٣ـ افراد المعاني : ذكره الصفدي [٣] مرتين وذكره ابن قاضي شهبة [٤].
٢٤ـ انس الشعراء : انفرد محققا (لطائف المعارف) بذكره [٥]
٢٥ـ انس المسافر : ذكره الصفدي [٦] وابن قاضي شهبة [٧]
٢٦ـ بهجة المشتاق : ذكره الصفدي [٨] وابن قاضي شهبة [٩]
٢٧ـ تحفة الارواح وموائد السرور والافراح : انفرد البغدادي [١٠] بذكره.
٢٨ـ تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين : ذكره الصفدي [١١] وابن قاضي شهبة [١٢]
٢٩ـ جوامع الكلم : ذكره الصفدي [١٣] وابن قاضي شهبة [١٤]
٣٠ـ جواهر الحكم : انفرد البغدادي [١٥] بذكره.
٣١ـ حجة العقل : ذكره الصفدي [١٦] وابن قاضي شهبة [١٧].
٣٢ـ حشور اللوزينج : ذكره الثعالبي [١٨] وزكي مبارك [١٩] ومحققا (لطائف المعارف) [٢٠].
٣٣ـ خصائص البلدان : انفرد الثعالبي [٢١] بذكره.
٣٤ـ خصائص الفضائل : ذكره الصفدي [٢٢] وابن قاضي شهبة [٢٣].
٣٥ـ ديوان أبي الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني : جمعه الثعالبي فقال : لم أر للحام ديوان شعر مجموعا ، فعنيت بجمع تفاريقه ، وضم منتشره [٢٤]

---

(١) المصدر الاول نفسه.
(٢) المصدر الثاني نفسه
(٣) المصدر الأول ورقة ٩٩ ظهر وورقة ١٠٠ وجه
(٤) المصدر الثاني نفسه
(٥) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ١٥
(٦) المصدر الأول /ورقة ٩٩ ظهر
(٧) المصدر الثاني نفسه
(٨) المصدر الأول نفسه
(٩) المصدر الثاني نفسه
(١٠) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٢٤٦
(١١) المصدر الأول / ورقة ٩٩ ظهر
(١٢) المصدر الثاني نفسه
(١٣) المصدر الأول نفسه
(١٤) المصدر الثاني نفسه
(١٥) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٣٧٦
(١٦) الوافي بالوفيات ج١٩ ورقة ١٠٠ وجه
(١٧) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٨) ثمار القلوب ٦١١
(١٩) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٨٥
(٢٠) لطائف المعارف/ مقدمة المحققين ١٦
(٢١) ثمار القلوب ٥٤٥
(٢٢) المصدر الأول نفسه
(٢٣) المصدر الثاني نفسه
(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ١٠٢

٣٦ــ ديوان شعر الثعالبي : انفرد الباخرزي (١) بذكره .

٣٧ــ رسوم البلاغة : انفرد البغدادي (٢) بذكره .

٣٨ــ سر البراعة : انفرد بن العماد الحنبلي بذكره (٣)

٣٩ــ سر البيان : ذكره الصفدي (٤) وابن قاضي شهبة (٥)

٤٠ــ سر الصناعة : انفرد الثعالبي بذكره (٦)

٤١ــ سر الوزارة : ذكره الصفدي (٧) وابن قاضي شهبة (٨)

٤٢ــ سيرة الملوك : انفرد حاجي خليفة بذكره (٩)

٤٣ــ صنعة الشعر والنثر : ذكره الصفدي (١٠) وابن قاضي شهبة (١١)

٤٤ــ عنوان المعارف : ذكره الصفدي (١٢) وابن قاضي شهبة (١٣)

٤٥ــ عيون الاداب : انفرد الثعالبي بذكره (١٤)

٤٦ــ عيون النوادر : ذكره الصفدي (١٥) وابن قاضي شهبة (١٦)

٤٧ــ غرر المضاحك : ذكره الكلاعي (١٧) والصفدي (١٨) وابن قاضي شهبة (١٩)

٤٨ــ فضل من اسمه الفضل : انفرد الثعالبي بذكره (٢٠)

٤٩ــ لباب الأحاسن : ذكره الصفدي (٢١) وابن قاضي شهبة (٢٢)

٥٠ــ لطائف الظرفاء : ذكره الصفدي (٢٣) وابن قاضي شهبة (٢٤)

٥١ــ مدح الشيء وذمه : ذكره الصفدي (٢٥) وابن قاضي شهبة (٢٦)

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٦
(٢) ايضاح المكنون مجلد ١ : ٥٧٢
(٣) شذرات الذهب ٣ : ٢٧٤
(٤) المصدر الأول نفسه
(٥) المصدر الثاني نفسه
(٦) تتمة اليتيمة ٢ : ٣٦
(٧) المصدر الأول نفسه
(٨) المصدر الثاني نفسه
(٩) كشف الظنون ٢ : ١٠١٦
(١٠) المصدر الأول نفسه
(١١) المصدر الثاني نفسه
(١٢) المصدر الأول نفسه
(١٣) المصدر الثاني نفسه
(١٤) اللطائف والظرائف ٥١
(١٥) الوافي بالوفيات حـ٩ ورقة ٩٩ ظهر
(١٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨
(١٧) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .
(١٨) المصدر الأول نفسه
(١٩) المصدر الثاني نفسه
(٢٠) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٣ ، ثمار القلوب ٢٩٣
(٢١) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٢٢) المصدر الثاني نفسه
(٢٣) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه
(٢٤) المصدر الثاني نفسه
(٢٥) المصدر الأول ورقة ٩٩ ظهر
(٢٦) المصدر الثاني نفسه

٥٢ــ مفتاح الفصاحة : ذكره الصفدي (١) وابن قاضي شهبة (٢)

٥٣ــ ملح النوادر : انفرد الثعالبي بذكره (٣)

٥٤ــ منادمة الملوك : ذكره الصفدي (٤) وابن قاضي شهبة (٥)

٥٥ــ من غاب عنه المؤنس : ذكره الصفدي (٦) باسم (من غاب عنه المؤانس) ولعلـــه خطأ الناسخ . وذكره ابن قاضي شهبة (٧)

٥٦ــ نسيم الانس: ذكره الصفدي (٨) وابن قاضي شهبة (٩)

٥٧ ــ نشر البراعة : انفرد طاشي كبرى زاده بذكره (١٠)

* * *

---

(١) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه

(٢) المصدر الثاني نفسه

(٣) اللطائف والظرائف ٦٣

(٤) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه

(٥) المصدر الثاني نفسه

(٦) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه

(٧) المصدر الثاني نفسه

(٨) المصدر الأول ورقة ١٠٠ وجه

(٩) المصدر الثاني نفسه .

(١٠) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١

عشر صفحات تلخيص للكتاب مطبوع وذكر أسماء عشرات من الشعراء بلا موجب

الفصل الثانــــي

كتاب خاص الخـــاص

أولا : تسمية الكتاب :

ذكره الثعالبي (١) بهذا الاسم في مقدمته ، ولم يخالفه أحد من القدماء والمحدثين في التسمية عدا ابن قاضي شهبة (٢) الذي سماه (خاص الخواص) ، ومن الذين سموه باسم (خاص الخاص) : الصفدي (٣) ومحمد كرد علي (٤) وأحمد امين (٥) وجرجي زيدان (٦) وسركيس (٧) ودائرة المعارف الاسلامية (٨) .

ثانيا : مخطوطاتـــه :

توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٤٧ أدب .

ثالثا : طبعاتـــه :

طبع بتونس ١٢٩٣ هـ ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ بتصحيح الشيخ محمود السمكري ، وطبع ببيروت سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م وقدمه الاستاذ حسن الأمين . وطبعة بيروت هذه تنقصها مقدمة المؤلف .

وقد صرح المؤلف في مقدمته باهداء الكتاب للشيخ أبي الحسن مسافر بن الحسن (٩)

رابعا : منهجه في الكتاب وتقسيمه :

يقع الكتاب في ثمانية أبواب :

الباب الأول :

فيما يقارب الاعجاز من ايجاز البلغاء وسحرة الكتـــاب

---

(١) خاص الخاص — طبعة السمكري ٢

(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨

(٣) الوافي بالوفيات حـ ١٩ ورقة ٩٩ ظهر

(٤) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٥) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣

(٦) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣١

(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٨) ٦ : ١٩٥

(٩) خاص الخاص — طبعة السمكري ٢

وغيرهم ، وقد اورد فى هذا الباب من ايجاز البلغاء والحكم المأثورة عن مشاهير الكتاب ، فكان يذكر اسم البليغ ، ويختار له بعض كلامه ، ثم يختم الكلام بأبرع ماقال .

ومن البلغاء الذين ذكرهم : أبو عبد الله كاتب المهدى ويحيى بن خالد البرمكى وعمرو بن مسعدة واحمد بن يوسف والحسن بن سهل ومحمد بن عبد الملك وأبو اسحاق النظام وابو عثمان الجاحظ وسعيد بن حميد الكاتب وأبو العباس بن الفرات وعبد الله بن المعتز وأبو الفضل بن العميد وأبو الفتح ذو الكفايتين والصاحب بن عباد والضبى والصابى وأبو الفتح البستى وأبو الحسن الأهوازى ، وأبو نصر العتبى وشيخ الثعالبى أبو بكر الخوارزمى والبديع الهمذانى والمهلبى الوزير وأبو فراس الحمدانى وأبو القاسم الاسكافى والرضى أبو الحسن الموسوى النقيب وأبو الحسن المزنى والقاضى الهروى الازدى والشيخ العميد أبو نصر بن مسكان ، وأخر ذكر أبي الفضل الميكالى كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد ، وقد أحسن الاختيار من الكلام والمتكلمين فى هذا الباب .

الباب الثانى : فى امثال العرب والعجم والخاصة والعامة : وقد أورد فى معانيها الفاظا من القرآن الكريم ويقول : " فهى أحسن وأبلغ وأشرف وأولى بالاقتباس والتمثل بها . " (١) فكان يأتى بالعبارة ويضرب عليها المثل الذى قالته العرب والعجم والخاصة والعامة ، ثم يأتى بآية من القرآن الكريم فى معنى المثل . مثلا " فى الصبر " العرب والعجم : الصبر احجى بذوى الحجى ، الخاصة والعامة : الصبر مفتاح الفرج . وفى القرآن : " وبشر الصابرين " (٢)

وكثيرا ماكان يضمن كلامه ابياتا من الشعر ، تخدم المعنى نفسه ، واحيانا كان يضمنه أمثالا من تأليفه وانشائه منها : " كناقل العود الى الهند ، والمسك الى الترك ، والعنبر الى البحر الأخضر " (٣)

---

(١) خاص الخاص — طبعة بيروت ١٧ (٢) المصدر نفسه ص١٧
(٣) المصدر نفسه ص٢٣

الباب الثالث : قسمه المؤلف الى قسمين : القسم الأول " فى جملة أفعل من كـذا منسوبة الى أصحابها نظما ونثرا " . وفى هذا القسم يختار من كـلام الادباء ، وقد أحسن الاختيار نثرا ونظما . أما القسم الثانى فهو مـن اختراعه على أفعل من كذا فى رسائل وفنون مقصورة عليها ، وقد تجلت روعة اسلوبه الشخصى فى هذا القسم ، ولنأخذ مثلا يدل على ماذ هبنـا اليه من روعة اسلوبه الجاحظى ، قوله :

" كان فلان أحسن من السلامة المطرزة بالعافية ، المبطنة بالسعادة ، فصار اقبح من زوال النعمة ، وحلول النقمة ، ولزوم المحنة ، وكان ألطف من هواء نيسان ، فصار اثقل من رضوى وشهلان . "(١)

الباب الرابع : فى لطائف الظرفاء : وقد ذكرنا ان الثعالبى كان يعرف كيف يختـار من كلام البلغاء والفصحاء ، وهنا اختار من لطائف الخليل بن أحمـد قوله : " ان سم الخياط لا يضيق على متصادقين ، والدنيا لا تتسـع متعاديين . "(٢)

واختار من لطائف الملوك مثل عبد الملك بن مروان ، عندما مات له ابن فجزع عليه ، ثم قال : " الحمد لله الذى يقتل أولادنا ونحبه "(٣)

الباب الخامس : من تكلم كل من صناعته وحرفته وحاله سوى ماعمله الجاحظ من ذلك :

وقسم هذا الباب الى فصول : فصل المعلمين وفصل الادباء والنحويين وفصل الوراقين وفصل القراء والمحدثين وفصل الفقهاء والمتكلمين وفصل القصاص والمذكرين والمتصوفين وفصل الكتاب والبلغاء وفصل الشعراء وفصل الاطباء وفصل الجند واصحاب السلاح ، حتى هنا فى هذا الفصل لـم يتخل عن ضرب الامثال ، فجاء بأمثال تختص بهم : العز تحت ظـل السيوف والحرب سجال ، وعثراتها لا تقال ، حصون العز بالخيـل والسيف ، السلاح ثم الكفاح ، والمحاجزة قبل المناجزة ، الهرب فى وقته

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٧ (٢) المصدر نفسه ص ٤٩
(٣) المصدر نفسه ص ٥٠

ظفر .

وفصل التجار والدهاقين . وفصل الشطار نجيين . وفصل لذوي صناعات شتى .

الباب السادس :

" في التوقيعات المختارة عن الملوك والسادة " .

وقسمه الى فصول : فصل في توقيعات الملوك المتقدمين وهنا تظهر مقدرته كمؤرخ فيورد توقيعات الملوك منهم الاسكندر ونقفور وابن بهرام وسابور بن سابور وانوشروان وابرويز .

وفصل في غرر التوقيعات الاسلامية للملوك . وفصل في اجناس توقيعات الوزراء والسادة الكبراء .

الباب السابع :

" في عجائب الشعر والشعراء " :

استغرق هذا الباب اكثر من نصف الكتاب . اى حوالي ١٣٤ صفحة لأن هذا الباب يعد ديوانا للشعر في العصر الجاهلي وصدر الاسلام والاموي والعباسي ويمكن ان يكون كتابا برأسه فقد ذكر فيه اشهر الشعراء وعجائب شعرهم كما يدل على ذلك عنوان الباب . فذكر ملك الشعراء في الجاهلية وهو امرؤ القيس وزهير والنابغة وأوس وطرفة وعلقمه بن عبدة والشنفرى والحارث بن حلزة وابو الدلحان والاعشى ميمون ولبيد وحسان والحطيئه وابو ذؤيب الهذلي وعبده بن الطبيب والفرزدق وجرير والاخطل وعدي بن الرقاع وذو الرمة والراعي وكثير وجميل وابو دهبل الجمحي وبشار وحماد عجرد وابو العتاهية وابو نواس ومنصور النمري واشجع السلمي وكلثوم بن عمرو العتابي وعبد الملك الحارثي وابو الشيص وابو يعقوب الخريمي ووالبة بن الحباب ومسلم بن الوليد ومحمد بن ابي اميه والمؤمل وخالد بن زيد الكاتب وابو عيينة وابراهيم بن المهدي ومحمد بن ابي زرعة الدمشقي والعباس بن الاحنف وعبد الصمد بن المعذل وعلي بن جبلة العكوك واسماعيل بن الحمدوني ومحمد بن وهيب الحميري ودعبل بن علي الخزاعي والبحتري وعلي بن الجهم

واحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الملك وابراهيم الصولى والحسن بن وهب وأبو على البصير والعطوى والعلوى الحمانى وعوف بن محلم الشيبانى وديك الجن وابن الرومى وعبد العزيز بن المعتز وعبد الله بن عبد الله بن طاهر وابو الحسين بن طباطبا العلوى وعلى بن محمد بن نصر وابن جحظة البرمكى والمصيح النسفى والصنوبرى والقاضى التنوخى وابو على بن المحسن بن على وابو الحسن بن لنكك البصرى ومحمد بن عمر المعزى الكاتب ونصر بن احمد الخبز أرزى والحفار البلدى وسيف الدولة وابو فراس وابو العشائر وابو المطاع ذو القرنين وابو محمد الفياضى والمتنبى وابو منصور الثعالبى (نفسه) وابو العباس الثانى والناشىء الاصغر وابو القاسم الزاهى وابو الفرج الببغا وابو الفرج الوأواء وابو عمارة الصورى ومحمد بن تميم والسرى الرفاء وابو بكر الخالدى وابو سعيد الخالدى والمهلبى الوزير وابن العميد وأبو الفتح ابن ابى الفضل بن العميد وابو العلاء السودى والصاحب بن عباد وابو اسحق الصابى ومنصور بن كيغلغ وابن ورقاء وابو الفرج سلامة بن يحيى وابو القاسم عبد العزيز بن يوسف وابو العباسى احمد بن ابراهيم القيتى وابن سكرة الهاشمى وابن الحجاج وابن نباته السعدى وابو الحسن السلامى والاحنف العكبرى وعبدان الاصفهانى الجوى وابو سعيد الرشمى وابو القاسم بن ابى العلاء الاصفهانى وابو محمد عبد الله الاصفهانى وابو الحسن البديهى وابو القاسم الزعفرانى وابو الحسن على بن هارون المنجم وابو الحسن بن المنجم الاصغر وهبة الله بن المنجم وابو حفص الشهرزورى وابو الطيب الطاهرى ومحمد بن موسى البلخى وأبو احمد النامى وابو النضر الابيوردى وابو محمد الشاشى وابو الحسن اللحام الحرانى وابو القاسم الدنيورى وابو على الزوزنى الكاتب وابو جعفر محمد بن عبس الرامى وابو طالب المأمونى والقاضى الجرجانى وابو على الحسن بن عمر الجرجانى وابو الفياض الطبرى وابو على القاشانى وابو بكر الخوارزمى والبديع الهمذانى وابو الحسين أحمد بن فارس وبراكويه الزنجانى وعبد الصمد بن بابك وابو ابراهيم الشاشى وابو الفتح البستى وابو سليمان الخطابى وابو نصر سهل بن المرزبان وابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى وابو عبد الله المغلسى وابو الحسين الفوقانى والرضى الموسوى النقيب والمرتضى ابو القاسم وابو الحسين المصرى القنوع وابو الحسين العزيزى المصرى وابو

الفهم النصيبني وابو الفتح ابن أبي الحصين وعبد المحسن الصدري وابو الفرث الحمصي وابو الحسين المستهام الحلبي وابو الغنائم الريان وأبو معشر الكاتب وابو الوفاء الدمياطي والاشرف بن فخر الملك وابو المظفر الصابوني وابو محمد المخزومي وابو القاسم بن المطرز وابو القاسم الهدلي وابو العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة وابو علي بن مسكوية والصفي ابو العلاء بن خسول والقاضي ابو بكر اللابس وأبو سعد الهمذاني وابو القاسم الاصفهاني وابو القاسم بن هندو وابو البركات علي بن الحسين العلوي وابو روح الهروي وابو عبد الله البغوي وابو القاسم الطبري وابو حفص المطوعي والباخرزي وابو محمد العبد لكاني والشيخ ابو الفتح مسعود بن الليث وابو محمد الدغاباذي والقاضي ابو الفضل اللوكري والشيخ ابو بكر القهستاني وابو نصر منصور بن مشكان وابو سهل احمد بن الحسن وابو الطيب طاهر بن عبد الله وابو سهل الحمدوي وابو الفتح المظفر الدامغاني ٠

والامير ابو الفضل الميكالي والامير ابو ابراهيم الميكالي والشيخ السيد ابو الحسن مسافر بن الحسن ٠

ومن هؤلاء الشعراء من جاء في يتيمته وهم شعراء أهل عصره ومنهم من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام والاموي الذين لم يترجم لهم في اليتيمة لأنها اقتصرت على شعراء أهل العصر ٠

وقد أحسن ترتيب الشعراء واختيار الدرر من شعرهم وعلق على شعرهم فأحسن وابدع ٠ ونلاحظ أنه ذكر الشيخ السيد ابو الحسن مسافر ٠

ابن الحسن في آخر الشعراء لأن الكتاب مهدى اليه ومن عادته ان يؤخر أبا الفضل الميكالي كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد مع أن هذا الكتاب اهداه الى ابي الحسن مسافر ٠ الا أنه مدح فيه أبا الفضل وفضله على سائر البلغاء والكتاب في الباب الأول عندما قال اخرت ذكره كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد ٠

وكذلك قد ساد النبي محمد كل الانام وكان اخر مرسل (١)

الباب الثامن :

(في افراد معان لمؤلف الكتاب لم يسبق اليها "

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ١٦

وقد أورد الكثير من شعره فى اغراض متنوعة : فى وصف الايام والليالى وفى المدح وفى فنون مختلفة وفى برد خوارزم وفى غلام شاعر وفى الشكوى وفى مملوك باعه ويختم هذا الباب بمدح مسافر حين قال :

تم الكتاب بدولة الشيخ الـذى * قد صك تاج علاه فوق الفرقـد

بدر الصدور مسافر ركن العـلا * والمكرمات وكيمياء السـؤدد

والحمد لله العظيم جلالـه * ثم الصلاة على النبى محمـد

مادة الكتاب :

لا تختلف عن مادة كتبه الأخرى كثيرا الا فى دراسة عجائب الشعر والشعراء القدماء حيث اعتدنا أن نرى جل مؤلفاته تتناول الشعراء والكتاب المحدثين .

وقد رأينا معظم كتبه تدور حول الاختيارات من كلام الفصحاء والبلغاء والحكماء ولكننا فى هذا الكتاب نراه يفرد بابا خاصا لمعان لم يسبق اليها ولولا خشية الاطالة لعرضنا بعضا من هذا الشعر فى هذا الفصل .
ولكننا نكتفى بما سقناه من شعر المؤلف عند ما تعرضنا لدراسة شعره واغراضه وكذلك نجده قد اخترع وابتدع على افعل من كذا فى رسائل وفنون مختلفة وقد ابدع فى هذا الباب ماشاء على قلة ماساقه .

ومن خصائص اسلوبه فى هذا الكتاب وبخاصة فى القسم الثانى من الباب الثالث تلك المبالغة ولا عجب فقد بنى هذا القسم على افعل من كذا ولذلك لجأ الى استعمال المبالغة والتهويل وكأنه يريد أن يجارى طبيعة التيار الأدبى فى عصره .
" ويخفف من مبالغة الثعالبى كثيرا تأنقه فى اختيار الألفاظ ، وعنايته بتناسق المعانى حتى بدت جمله أخذا بعضها برقاب بعض دون أدنى تكلف " (١)

ولنأخذ مثلا قول الثعالبى : " كلام سيدنا أحسن من الدر الأزهر ، والياقوت الأحمر ، واذكى من المسك الأصهب ، والعنبر الاشهب فلا فض الله فمه ، وأجرى بتدبير الاقاليم قلمه " (٢)

---

(١) الثعالبى ناقدا وأديبا ٢ ٤٣٢ (٢) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٥

وقد لعب عمق الخيال دورا كبيرا فى مجال الأداء الفنى فى مثل قوله : " يومنا أبرد من تسبيح العجوز ، وأذان المخنث ، وتشيخ الصبى ، ورقص الأعرج ، وأنا (بالانفراد) عنك أو حشى من عنوين تضاجعه عجوز ، ومن حمار أعمى على معلف خال فأحب أن اتأنس بقربك " [١] وقوله " انزلنا فلان على طعام ابشع من قبلة العجوز الشوهاء الفوهاء وشراب اكدر من ايام البلاء ، واللأواء ،

وسماع أشق على الآذان ، من نعى الأحباء " [٢]

هذا وقد أشار الاستاذ الجادر الى وجود عيب فنى لاحظه فى فصول هذا القسم من الباب الثالث وهو تشتت الصور الفنية احيانا عنده مايقول الثعالبى " ذكر مولاى أنى وفلان بن فلان متنافران ، وما أدرى لم قال ذلك ونحن آلف من الجسم والروح والناى والعود ، ومن المسك والعنبر ، ومن أبى بكر وعمر " [٣] وعلق على هذا النص فقال : " فما أبعد المدى بين صور تألف الجسم والروح وتآلف الناى والعود والمسك والعنبر ، تآلف ابى بكر وعمر ، ان متابعة هذه الصور المتنافرة يقتضى من السامع القفز بين تحليل العلاقة المعنوية فى الصورة الأولى وتحليل العلاقة الحسية فى الصورتين الثانية والثالثة ، وتحليل العلاقة الشخصية والاجتماعية عن طريق الرجوع الى الحصيلة الثقافية التاريخية فى الصورة الرابعة ، وذلك جهد كان يمكن للثعالبى أن يوفره على قارئه لو أنه بذل عناية اكثر باختيار الصور المنسجمة التى يطمئن اليها الخيال ، وتتقبلها النفس بأدنى مشقة ، ومن أقصر سبيل " [٤] ثم نراه يوفق الى حسن الاعتذار للثعالبى عن ذلك ، فيأخذ بعين الاعتبار طبيعة التيار الأدبى فى عصره وبيئته اذ كان هم الادباء أن يحشدوا ما أمكن من الصور وضرب مثلا مقامات الهمذانى [٥] ، ونحن بدورنا نقول ان حشد الثعالبى لهذه الصور الفنية يحسب له لا عليه حيث يدل ذلك على ثقافة الثعالبى العريضة واطلاعه الواسع حين أخذ من كل روض زهرة وجمعها فى باقة أزهار جميلة مختلفة الألوان والرائحة ، وهو لم يجهد القارئ عند قراءتها بل يعجب أيما اعجاب بعمق الخيال وطرافة الصور وقوة التعبير ،

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٦

(٢) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٨

(٣) خاص الخاص طبعة بيروت ٤٧

(٤) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٣٢

(٥) الثعالبى ناقدا واديبا ٤٣٣

ومهما يكن من أمر فالثعالبي في كتابه خاص الخاص عرف كيف يتخير المنتخبات الشعرية والنثرية وكيف يقطفها من ثمار الأدب غضة نضيرة ويعرضها على قرائه غذاء لأرواحهم وترويضا لأذهانهم .

وان جملة وردت في مختاراته تعد وصفا لائقا لهذا الكتاب : ذلك أنه أورد قولا للجاحظ يصف فيه الكتاب فقال : " وعاء ملئ وظرف حشي ظرفا " وكلمه حق قالها الاستاذ حسن الأمين في تقديمه لهذا الكتاب :

" فالعالم يجد فيه بغية والاديب يرى فيه حاجة والطالب يلقى فيه فائدة وكل قارئ مهما كانت ثقافته وتنوعت دراسته هو مستعذب لما يقرأ ، مستلطف لما يرى ، مستفيد مما يطالع .

ولقد كان الثعالبي ذواقة فيما اختار في هذا الكتاب ، فعرف كيف يطرح أمام ابصارنا بدائع النثر وطرائف الشعر وغرائب الأمثال وعرف كيف يثير اهتمامنا بما كتب لنتابعه فيه متابعة عنية عذبة تشوق وتروق . " (١)

ويقول سركيس " اودع الثعالبي فيه من عيون الغرر مايكاد يخرج من حد الاعجاب الى حد الاعجاز " (٢)

أما جرجي زيدان فيقول " وفيه خلاصة الخلاصة في الأدب " (٣)

* * *

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت / تقديم حسن الأمين ٥ ، ٦

(٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠

نحو عشر صفحات أيضا تخصص ما عدا نصف صفحة

الفصل الثالث

كتاب لطائف المعـــــارف

أولا : **تسمية الكتاب :**

ذكره ابن خلكان [١] بهذا الاسم وتابعه القلقشندى [٢] وحاجـــى خليفة [٣] ، أما البغدادى [٤] فقد سماه (لطائف المعارف فـى الأدب) وذكره الزركلى [٥] ومحمد كرد على [٦] وسركيس [٧] وجرجى زيدان [٨] ومحرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية [٩] بالاسم الأول .

وقد ذهب بعض الادباء الى ان الثعالبى كان على صلة بالصاحـب بن عباد وأنه اهداه كتابه (لطائف المعارف) منهم : ادوارد براون [١٠] وأحمد امين [١١] وعبد الفتاح الحلو [١٢] وأبو الفضل ابراهيم [١٣] ومحققا الكتاب (الابيارى والصيرفى) [١٤] والحقيقة أنه لم يؤلف للصاحب بـــن عباد ، لأن الصاحب توفى سنة ٣٨٥ هـ وفى الكتاب ذكر المؤلف اعجوبة فى هلاك تسعة املاك متناسقين فى مدة سنتين وهما سنة سبع وثمـــــان وثمانين .

ثانيــا : **مخطوطاتــــه :**

يوجد منه نسخ مخطوطة فى ليدن ولكن محققى الكتاب لم يعثرا عليها وانما وجدا نسخة خطية فى دار الكتب المصرية لا تشير الى أصلها الـذى نقلت عنه .

---

(١) وفيات الاعيان : ١ : ٣١

(٢) صبح الاعشى ١ : ٤١٢

(٣) كشف الظنون ١٥٥٤

(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥

(٥) الاعلام ٣ : ٣١١

(٦) كنوز الاجداد ٢٣٤

(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦

(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٠

(٩) ٦ : ١٩٥

(١٠) تاريخ الادب فى ايران ١١٦

(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٦

(١٢) التمثيل والمحاضرة — مقدمة المحقق

(١٣) ثمار القلوب — التمهيد ،

(١٤) لطائف المعارف — مقدمة المحققين

ثالثـا : طبعاتـــه :

طبع الكتاب بعناية المستشرق د ى يونغ في نحو ٢٠٠ صفحة سـنة ١٨٦٧م ، ثم طبع في مصر بدار احياء الكتب سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠م بتحقيق الاستاذين إبراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي .

رابعـا : منهجه في الكتاب وتقسيمه :

يعد الكتاب من الكتب الموسوعية في صورتها الاولى الضيقة ،وهـو يجمع فوائد كثيرة لا سبيل اليها الا بالنظر في كتب كثيرة متفرقة ، وأول الكتاب: " أما بعد حمد الله استفتاحا به واستنجاحا ، والصلاة علـى النبي المصطفى غدوا ورواحا ،فان هذا الكتاب في لطائف المعـــارف وطرائفها ، وغررها وغرائبها ، ونكتها وعجائبها ، وهو منتزع من كتـب التواريخ والأخبار على الايام الطوال ، ومشرف الآن بعالي اسم الصاحـب أبي القاسم . "(١)

ولعل هذه العبارة هي التي جعلت المحققين يذهبان الــى أن المؤلف اهداه الى الصاحب بن عباد ثم ان الكتاب مبوب على عشرة ابواب .

الباب الأول :

" في ذكر الأوائل " : أول ذنب عصي الله به في السماء والارض وأول من نطق بالعربية اسماعيل عليه السلام وأول من بيع من الأحرار واسـترق وأول من عمل الدرع ولبسها وأول من هشم الثريد عمرو بن عبد مناف وأول من كسا الكعبة الانطاع والبرود ابو كرب اسعد الحميري واول من كساهـا الحرير والديباج نتيلـــة بنت جناب بن كليب أم العباس بن عبـــد المطلب .... الخ .

وذكر محققا الكتاب(٢) انه سبق الى هذا الفن ، من الذين سبقوه ابـن قتيبة ٢٧٦ هـ في كتابه (المعارف) وابن رستة أبو علي احمد بن عمـــر (القرن الثالث) في كتابه الا علاق النفيسه والطبراني سليمان بن احمد

---

(١) المصدر نفسه — مقدمة المؤلف ٣ (٢) لطائف المعارف ٥ في الهامش

ابن أيوب ٣٦٠ هـ وله كتاب الأوائل وابو هلال السكرى سنة ٣٩٥ هـ
في كتابه (الأوائل)

الباب الثاني:

" في القاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم ":

فذكر المؤلف في هذا الباب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم أى بلفظة وردت في بيت شعر قاله الشاعر فلقب بها ولا ينسى الثعالبى أن يذكر اسم الشاعر الاصلي • كالمرقشي والممزق والمخرق والمتلمس والنابغة وأفنون وتأبط شرا وأعصر والمستوغر والأسعر وطرفة والمسيب وعويف القوافي والمزرد والبعيث وذو الرمة وجران العود والقطامى وموسى شهوات والعجاج والرقيات والاخضر وعائذ الكلب وصريع الغوانى وغبار العسكر ومقبل الريح • وهذا الشاعر الأخير الذى لم يذكر المؤلف اسمه الأصلى •

ولولا خشية الاطالة لذكرت الشعر الذى قاله كل شاعر حتى لقب بلفظة قالها ومهما يكن من أمر فهذا الباب يدل على حصيلة الثعالبى الأدبية وعلى المامه الواسع بشعر العرب ولهذا سمى حافظ أهل عصره •

الباب الثالث:

" في سائر الألقاب الاسلامية للوجوه والأعيان وغيرهم " •

ويعتبر هذا الباب مشابها لما قبله فقد أورد الثعالبى القابا للوجوه والأعيان من المسلمين منهم : عثمان وعلى ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وغيرهم •

ونراه يرتبهم ترتيبا زمنيا •

الباب الرابع :

" في ذكر الكتاب المتقدمين ": كان ادريس — عليه السلام أول من خط بالقلم • وكان يوسف — عليه السلام — يكتب لعزيز مصر •

ثم هارون ويوشع يكتبان لموسى عليه السلام • وكان سليمان عليه السلام يكتب لابيه داود عليه السلام ويستشهد لذلك بآيتين من القرآن الكريم ٣٠ر٣١ من سورة النمل " قوله تعالى : " انه من سليمان وانه بسم الله

الرحمن الرحيم • ألا تعلوا على وأتونى مسلمين " •
ثم يذكر كتاب الاسلام وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
كانوا يكتبون الوحى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم •
ويذكر الكتاب الذين صاروا خلفاء ثم سائر اشراف الكتاب •

الباب الخامس:

" فى ذكر الأعرقين من كل طبقة والمتناسقين فى أحوال مختلفة " •
وهنا يذكر اعرق الانبياء فى النبوه وهو سيدنا يوسف عليه السلام •
واعرق الاكاسرة وهو شيرويه وأعرق الخلفاء فى الخلافة هو المنتصر
وكذلك أخوه المعتز •

وأعرق ملوك العرب النعمان بن المنذر • واعرق الناس فى الملك والخلافة من كلا طرفيه هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان • • •

وأعرق الوزراء فى الوزارة أبو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وأعرق الناس صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الرحمن بن ابى بكر بن قحافة فان اربعتهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم وصحبوه •

واعرق الاشراف فى العمى : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فان كلا منهم عمى فى آخر عمره •

واعرق الناس فى القتل : عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد وأعرق القضاة فى القضاء : بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى •

وأعرق الناس فى الفقه : اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة •

وأعرق الناس فى حجابة الخلفاء : العباس بن الفضل بن الربيع •

وأعرق الناس فى الجود : عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف •

وأعرق الناس فى الغدر : عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معد يكرب •

وأعرق الناس فى الشعر : " قال المبرد : كان يقال : أعرق قوم فى الشعر آل حسان فانهم معتدون ستة فى نسق كلهم شاعر ، وهم سعيد بن عبد

الرحمن بن حسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام ، حتى جاء آل أبي حفصة ، وتوارثوا الشعر كابرا عن كابر وتناسق منهم عشرة على الولاء يذكورون بالشعر ، انشدوا الخلفاء واخذوا الجوائز.

وهم : متوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن سليمان ابن يحيى بن أبي حفصة .

الباب السادس:

" في الغايات من طبقات الناس "

يذكر أحسن زوجين في الاسلام مثل عثمان ورقية والوليد بن عتبة ولبابة ومصعب بن الزبير وعائشة بنت طلحة . ثم يذكر اشرف الرجال نسبا : الحسن والحسين . واشرف النساء نسبا فاطمة وأفرس الناس العزيز وصفورا بنت شعيب وأبو بكر الصديق ، ويستشهد بالايات الكريمة كعادته .

واكرم الناس اصهارا : العجوز الجرشية وهي هند بنت حماطة .

ورجل تزوج اليه اربعة من الخلفاء : هو عبد الله بن عمر و بن عثمان بن عفان واشرف الناس منكحا مصعب بن الزبير ثم خالد بن يزيد بن معاوية

وثلاث نسوة في الاسلام لا رابعة لهن : ولادة زوجة عبد الملك وشاه فرند زوجة الوليد بن عبد الملك والخيزران زوجة المهدي .

وذكر امرأة لها اثنا عشر محرما كلهم خليفة : هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ونظيرتها من بني العباس ام جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وامرأة حجت لم يحج مثلها في اقامة المروءة ملك ولا ملكة : هي جميلة بنت ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان واخت أبي تغلب وملك ملك في عصر الثعالبي تسعة من الملوك الكبار اما غلبة واما وراثة وهو عضد الدولة أبو شجاع .

الباب السابع :

" في طرائف الاتفاقات في الاسماء والكنى " :

خمسة من الانبياء عليهم السلام كلهم ذو اسمين . واسماء متكررة متناسقة

فى الملوك والسادة • والسادة الذين لهم كنيتان وثلاث والبلاد
التى لها اسمان •

الباب الثامن :

" فى فنون شتى من لطائف المعارف النبوية والقرشية والملوكية " •
المشبهون برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤذون له والمستهزئون
من قريش والمؤلفة قلوبهم من قريش ومن بنى فزارة ومن بنى تميم ومن
بنى نصر ومن بنى مالك ومن بنى سليم ومن بنى ثقيف •
واورد ذكر من عرف باللواط ومن عرف بالأبنة وذكر الزناة من قريش
والكذابين منهم • والحمقى والدعاة وعيوب السادة منها الحداثة
والبخل والزنى والظلم والحمق والفقر والكذب والجبن •

وذوى العاهات من الملوك ومن اشراف قريش •
ويذكر من حمل به اكثر من مدة الحمل •• دعوتان فى الاسلام لم
يكن لهما فى السرو والجلالة ثالثة : الأولى دعوة الحسن بن
سهل حين بنى المأمون بابنته بوران والثانية دعوة براكوازا لما
أعذر المتوكل ابنه المعتز •

ويذكر ابناء الاماء اعتمادا على قول الجاحظ : مثل عبد الملك بن
عمرو ابن عبد العزيز ومسلمة بن عبد الملك ـ واسماعيل بن ابراهيم
عليه السلام •
ومن ائمة الحسينية أولاد الاماء اربعة • ومن بنى العباس وهم
خلفاء أهل السنة والجماعة اكثرهم ابناء الاماء •
وقال المؤلف: ليس فى خلفاء بنى العباس من ابناء الحرائر الا السفاح
امه ريطة بنت الحارث بن كعب • والمهدى والأمين • ويعدد باقى
الخلفاء العباسيين واسماء أمهاتهم •
ثم نراه يذكر صناعات الاشراف •

الباب التاسع :

فى ملح النوادر من غرائب الاحوال وعجائب الأوقات والاتفاقات منها :

ملك ملك فى بطن امه (سابور ذو الأكتاف) وملك ملك فى الاسلام أربعين سنة (معاوية) ٢٠ سنة أمير أو ٢٠ سنة خليفة .

خليفة سلم عليه عمه وعم ابيه وعم جده (الرشيد) — خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة وهو (المتوكل) — خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفة يده وهو المعتصم بالله . خليفة تنقل فى خمس طبقات (ابراهيم بن المهدى)

خليفة خلع وحبس ثم أعيد الى الخلافة (محمد الأمين) — خليفة جرت أموره وأحواله كلها على ثمانية ثمانية هو المعتصم بالله وقد سمى (المثمن) — أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو مروان بن الحكم — أب وابن تقارب مابينهما من السن تقاربا شديدا هو عمرو بن العاص كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاث عشرة سنة — أخوان تباعد مابينهما من السن تباعدا شديدا هو موسى بن عبيدة : كان أخوه عبد الله أسن منه بثمانين سنة .

أربعة اخوة ، كل واحد منهم أسن من صاحبه بعشر سنين على الولاء وهم بنو أبى طالب . ويورد الثعالبى فى هذا الباب ذكر (اتفاق الأعمار) الرسول عليه الصلاة والسلام وابو بكر وعمر وعلى وعبد الملك والمنصور ٦٣ سنة .

وثلاثة اخوة ولدوا فى سنة واحدة وقتلوا فى سنة واحدة وأسنانهم ثمانى وأربعون سنة وهم يزيد وزياد ومدرك بنوا لمهلب بن أبى صفرة .

رجل من التابعين يعد فى ثمان طبقات هو أبو الاسود الدؤلى يعد فى الفصحاء والعقلاء الخ جرى أحوال النبى صلى الله عليه وسلم على يوم الاثنين مولده وبعثه وهجرته ووفاته . جرى أحوال عبد الملك بن مروان على شهر رمضان ، وقاض قضى فى الاسلام خمسا وسبعين سنة هو شريح بن الحارث الكندى . وأربعة فى الاسلام ولد من صلب كل واحد منهم مائة مولود ليلة ولد فيها

خليفة ومات خليفة واستخلف خليفة • وليلة السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ولد فيها المأمون ومات الهادى واستخلف الرشيد •

أربعة فى الاسلام قتل كل واحد منهم اكثر من ألف ألف رجل وهم الحجاج وأبو مسلم و بابك والبرقعى •

اعجوبة فيها معتبر قصة رأس الحسين وعبد الملك •وقعت فى قصر الامارة بالكوفية •

ثلاثة من الخلفاء قتلوا على التوالى ودعى الناس فى كل مرة ليشهدوا أنهم ماتوا حتف انفسهم •

اعجوبة وقعت لا يتاخ • ومن عجائب الاتفاقات نكبة أل برمك فى السنة السابعة عشرة من خلافة الرشيد ونكبة أل الفرات فى السنة السابعة عشرة من خلافة المقتدر اعجوبة فى هلاك تسعة أملاك متناسقين فى مدة سنتين وهما سنة سبع وثمان وثمانين وثلثمائة وفيهم يقول مؤلف الكتاب :

ألم تر مذ عامين أملاك عصرنا * يصيح بهم للموت والقتل صائح

الى آخر القصيدة •

والتسعة املاك هم : نوح بن منصور ومنصور بن نوح •وصاحب مصر وهو العزيز بالله نزار بن معد المعز لدين الله الفاطمى ووالى الجبال وهو فخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة وصاحب جرجانية وهو ابو العباس مأمون بن محمد من امراء خوارزم • وأبو على محمد بن محمد بن ابراهيم بن سيمجور صاحب نيسابور وصاحب بست ناصر الدولة ناصر الدين سبكتكين وصمصام دولة بويه هو أبو كاليجار بن عضد الدولة فنا خسرو بن بويه • ووالى الجوزجان ولعل الشاعر يريد أبا نصر محمد بن فريغون • وفائق وكان من خصيان موالى نوح بن نصر •

الباب العاشر :

في انموذج من خصائص البلدان وذكر محاسنها ومساويها :
وذكر مكة - المدينة - الشام - مصر - اليمن - البصرة والكوفة
وبغداد والاهواز وفارس واصبهان والموصل والري وطبرستان
وجرجان ونيسابور وطوس وهراة ومرو وبلخ وبست وغزنة وسجستان
والهند وبخارى وسمرقند والصين وبلاد الترك وخوارزم ونكت ولمح
في ذكر بلدان شتى .

نقد كتاب لطائف المعارف :

لو دققنا النظر في معظم كتبه لوجدنا أنه يكرر بعض مايقوله في اكثر من كتاب
فمثلا : " دعوتان في الاسلام " أورد قصتيهما في هذا الكتاب وفي " ثمار القلوب "
وكنا قد ذكرنا ان الثعالبي يستقي معظم معلوماته من كتب السابقين لأن مكتبات الامراء والفضلاء من أمثال صديقه أبي الفضل الميكالي كانت توضع تحت تصرفه يأخذ منها مايشاء .

وهكذا نراه يعتمد كثيرا على كتب الجاحظ فيورد أقواله ولكنه احيانا يخطئه ويفند أقواله لأن له شخصيته المستقلة ولا يقلده تقليدا أعمى فيقول : " زعم الجاحظ أن التماسيح لا تكون الا في وادي النيل ، والقرود لا تكون الا باليمن ، وقد غلط ، فان في وادي كنك من أرض الهند تماسيح ، وفي بعض بلادها قرود كثيرة . "

وهذا دليل على اتساع ثقافته فهو ليس اديبا فحسب بل نستطيع أن نعده مؤرخا عالما بجغرافية البلاد الاسلامية المترامية الاطراف ومن علمه بالتاريخ أن الطرف والملح والنوادر العجيبة التي أوردها في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه الكثيرة تدل على اطلاعه الواسع على كتب التاريخ من القديم الى عصره . وأما بخصوص علمه بالجغرافية فانه أفرد في هذا الكتاب بابا خاصا في انموذج من خصائص البلدان وهو الباب العاشر .

وقد ذكرنا أنه تأثر بالجاحظ ولكنه لم تكن تكفيه موسوعات الجاحظ بل امتدت يده فتناول كتبا اخرى منها كتاب (المعارف لابن قتيبة وكتاب (الاعلاق النفيسة) لابن رستة حيث أخذ منهما لطائفهما وكان يعرف كيف يختار فأحسن الاختيار فاختار من كل روض زهرة وأودعها طي هذا الكتاب فأتى بالعجب العجاب .

الفصل الرابع

كتاب التمثيل والمحاضرة

أولا : **تسمية الكتاب :**

ذكره الثعالبي (١) بهذا الاسم وتابعه الصفدي (٢) وابن قاضي شهبة (٣) وحاجي خليفه (٤) والبغدادي (٥) والزركلي (٦) وسركيس (٧) وجرجي زيدان (٨) ودائرة المعارف الاسلامية (٩) ، أما محمد كرد على فقد ذكره باسم (التمثيل) (١٠) .

ثانيا : **مخطوطاته :**

منه ثلاث نسخ خطية اعتمد عليها محقق الكتاب الاستاذ عبد الفتاح الحلو :

الاولى : نسخة خطية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٦٠٠ أدب والنسخة هذه قديمة ، ويبدو أنها كتبت في القرن السابع أو الثامن الهجري ، وهي بخط النسخ .

الثانية : نسخة خطية محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٩٢ أدب ، بعنوان (التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة) وهي بخط فارسي كتبت في المدينة المنورة ، وتمت يوم السبت وقت الظهر في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وتسعين ومائتين والف وكاتبها هو سيد يوسف على بن سيد أبرار شاه خوقندر .

لا داعي الى هذا التفصيل في كتاب مطبوع محقق

الثالثة : نسخة مصورة من مكتبة شيخ الاسلام فيض الله ، وهي مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وهي بخط النسخ .

---

(١) ثمار القلوب ٢ ٣ر ١٩١ ابـ٨٧٥
(٢) الوافي بالوفيات جـ ١٩ ورقة ٩٤ ظهر
(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٤) كشف الظنون ١ : ٤٨٣
(٥) هدية العارفين ١ : ٦٢٥
(٦) الاعلام ٣ : ٣١١
(٧) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦
(٨) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(٩) ٦ : ١٩٦
(١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤

: وقد ورد في فهرس المخطوطات المصورة انه يوجد من هذا الكتاب خمس نسخ مصورة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية [١] .

ثالثا : طبعاته :

طبعت منتخبات من الكتاب في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ وطبع هذا الكتاب في القاهرة بدار احياء الكتب العربية سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م بتحقيق الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو .

رابعا : منهجه في الكتاب وتقسيمه :

لعل أول مايطالعنا في الكتاب مقدمة المؤلف التي يمكننا أن نستشف منها منهجه في تأليف الكتاب ، يقول المؤلف: " أما على أثر حمد الله الذي هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكني دار ثوابه ، والصلاة والسلام على محمد خير خيرته من بريته ، وعلى الصفوة من ذريته ، فان خير القول ماشغل بخدمة خير من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ونور الحكمة الى نفاذ الحكم .. الخ " [٢] ثم نراه يذكر انه أهداه الى الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، ويكيل له المدح والاطراء بغير حساب كعادته عند اهدائه الكتب الى السلاطين والامراء .

وفي كتابه هذا التزم بمنهج معين وسار على نمط صعب شديد لأنه ليس معجما للأمثال ولا هو جمع امثال الجاهليين والاسلاميين ،ولكنه أخذ على نفسه بأن يكون كتابه في التمثيل والمحاضرة : " اسلامي جاهلي ، وعربي عجمي ،وملوكي سوقي وخاصي عامي يشتمل على امثال الجميع،ويضم نشر مايجري مجراها من الفاظهم ، ويتضمن مايأخذ مأخذها من فرائد النثر ، وقلائد النظم ، وفوائد الجد ، ونوادر الهزل ، فيوجد فيه مايتمثل به من القرآن والتوراة والانجيل والزبور ، وجوامع كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله وكلام الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بعده ، وعيون امثال العرب والعجم

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٤٢٩ (٢) التمثيل والمحاضرة /مقدمة المؤلف ٣

وما يناسبها وما يشاكلها من نتف الخلفاء ، وغقر الملوك والـــوزراء ، ونكت الزهاد والحكماء ، ولمع المحدثين والفقهاء وحكم الفلاسفـــة والاطباء ، وغرر البلغاء والشعراء ، وملح المجان والظرفـــاء ، وطرف السؤال والغوغاء ، وما تختص به كل طبقة من هؤلاء ، ومـــا تنفرد به كل فرقة من الدهاقين والتجار ، وسائر أهل الصناعـــات المتباينة الاقدار ، ولا يعدم فيه مايتمثل به من الشمس والقمـــر والنجوم ، والآثار العلوية ، والدهر والدنيا ، وضروب الجمادات ، وانواع الحيوانات ، وصنوف الادوات والآلات ، ولا يشذ عنه ماينخرط فى سلك الأمثال : من ذكر الاحوال والمحاسن والمساوئ والأوصاف"(١)

وبعد سرد بعض مقدمة المؤلف رأينا أنه كان كعادته يكشف لنـــا عن سيره وخطته فى كتابه الذى يقدم له حتى أصبح من السهل علينا معرفة الكاتب الثعالبى من قراءة مقدمته ومعرفة مايتضمنه الكتاب.

هذا وقد قسم الثعالبى الكتاب الى اربعة فصول :

الفصل الأول :

فى المدخل والانموذج " مما يجرى مجرى الأمثال من ذكر الله تعالى فى فنـــون الاغراض والمقاصد من ذلك : لطائف التحميد وماروى عن النبى عليه الصلاة والسلام وما صدر عن سائر السلف والحكماء والبلغاء ومن ذلك مايقع فى انصاف الابيات:

الله انجح ماطلبت به

وسائل الله لا يخيب

الا كل شئ ماخلا الله باطـل

ومن ذلك مايقع فى الابيات السائرة : مثل

وما من يد الا يد الله فوقهـــا * وما ظالم الا سيبلى بظالـــم

ومن ذلك مايجرى على السنة العوام : مثل الخيرة فيما يصنع الله.

انموذج من التوراة ومن الانجيل ومن الزبور ومن كلام الانبياء عليه الصلاة والسلام ومن

---

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المؤلف ٥

امثال العرب ،يتمثل من الفاظ القرآن بأحسن منها وأبلغ .

ومن امثال العجم والعامة يتمثل فى معانيها بألفاظ القرآن .

وما يجري مجرى الامثال فى الفاظ القرآن ومايتمثل به من قصص الأنبياء :
بضرب المثل بسفينة نوح وغراب نوح ونارابراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وعصا موسى وخاتم سليمان وناقة صالح وحمار عزير .

وما يتمثل به من أحوال المصطفى عليه الصلاة والسلام ومايتمثل به من اقواله التى هى جوامع الكلم القليلة الألفاظ الكثيرة المعانى ، ومن ذلك ماأجراه فى عرض كلماته غير قاصد به ضرب مثل أو ارسال فقرة فتمثل الناس به ، ومن ذلك تشبيهاته وتمثيلاته ومن ذلك حسن استعاراته ، ومن ذلك حسن الطباق فى كلامه ، ومن ذلك حسن التجنيس ومن ذلك فى ذكر الأموال ، ومن ذلك سائر امثاله وحكمه عليه الصلاة والسلام فى فنون مختلفة انموذج ينخرط فى سلك الأمثال من كلام الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

انموذج من امثال لقمان ، انموذج من امثال العرب فى الجاهلية : من ذلك ماصدر عن حكمائها ومن ذلك ماسار عنها فى سائر الأحوال ،ومن الامثال السائرة فى صدر الاسلام ومن الامثال السائرة فى صدر الايام العباسية .

انموذج من أمثال الفرس ، وانموذج من امثال العامة والمولدين ومن أمثال أهل بغداد .

انموذج من غرر مايتمثل به من ابيات لشعراء الجاهلية السائرة المستحسنة ، ومن الامثال الصادرة عن الابيات السائرة للمتقدمين فى صدر الاسلام ومن الامثال السائرة للمحدثين ويختمهم بأبى الفضل الميكالى .

الفصل الثانى :

" فى سياقة مايجرى مجرى الامثال :من الأقوال الصادرة عن طبقات الناس وذوى المراتب المتباينة والصناعات المختلفة وماقيل فيهم وذكر مالهم وماعليهم ووصف احوالهم وتصرفاتهم فى السلطان والملك والملوك ، ماأخرج من كلام ابن المعتز فى شئونهم وذكر اصحابهم ، ماأخرج من ذلك من كتاب المبهج ، الأقوال الصادرة عن الملوك

والاجلة الدالة على عظم هممهم وكرم اخلاقهم ومن كلامهم السائر مسير الامثال وما يجرى مجرى الامثال من كلام الامير شمس المعالى فى اثناء رسائله ومن كلام بلغاء اهل المصر فى ذكر السلطان ، قطعة من ذكر الآداب فى صحبته الملوك ، الوزارة والوزراء .

الامثال التى يتداولها العمال واصحاب السلطان ويتداولها الناس فيهم ، قادة الجيوش والشجعان والفرسان ، الكتاب والبلغاء ، ومن كتاب المبهج ، الادباء وذكر الادب ، النحويون والمعلمون والمؤدبون ، والعلماء ، والفقهاء والمحدثون ومن امثالهم ، القصاص والزهاد والمتصوفة ، الحكماء والفلاسفة ، كلامهم عن وفاة الاسكندر ، والمتكلمون ، الاطباء والشعراء ، المنجمون ، القضاة والعدول ، الثنا والدهاتين وفى كتاب المبهج التجار ، والسوقة ، السؤال والمكدون والغباغة ، الشطرنجيون ، النبيذيون ومن كتاب المبهج المغنون والعشاق والعشق ، ومن أمثالهم على افعل من كذا ، النساء ، الصبيان ، العبيد والخدم الاماء ، الخصيان ، اللصوص .

الفصل الثالث:

" فيما يكثر التمثل به من جميع الاشياء " ، الشمس والقمر والنجوم والسماء والسحاب والرياح ... الخ .

وسائر مايتمثل به من الادوات والالات المستعملة فى الدور والمنازل : السكين والقدر والخوان والاناء والابرة .

وما يتمثل به من ذكر الانسان والناس والرجل والرجال ومايتمثل به من اعضاء الانسان الظاهرة والباطنة . ومايتمثل به من ذكر الكعبة والحج والحرم ، الجنة والنار . ومايتمثل به من جميع الحيوانات والطيور .

الفصل الرابع :

" فى سائر الفنون والأغراض " : وقد قسم هذا الفصل الى اربعة فصول :

المفصل الأول : فيما يتمثل به او يجرى مجرى المثل من ذكر أحوال الانسان واطواره المختلفة وما يأخذ مأخذها : وصف الشباب وذمة ووصف الشيب مدحه وذمه .. الخ

الفصل الثانى : (فى المحاسن ومكارم الأخلاق) : العقل والعاقل والجود والكبر والقناعة الخ . ونبذ من الفاظ بلغاء العصر تجرى مجرى الامثال لحسن استعارتها وبراعة تشبيهاتها .

الفصل الثالث: " فى ذكر القبائح ومساوىء الاخلاق " : الجهد والحمق والنحل والكذب والحسد والظلم ... الخ . والفاظ لبلغاء العصر وغيرهم فى انواع الذم .

الفصل الرابع : " فى فنون شتى وانحاء مختلفة الترتيب " : الولد والقرابة والعتاب والعداوة والهدية والرشوة .. الخ .

خامسا : آراء الادباء والنقاد :

يقول محقق الكتاب الاستاذ عبد الفتاح الحلو [١] : " وكتاب التمثيل والمحاضرة أحد روائع الثعالبى ، وقد قدمه الى الامير شمس المعالى قابوس بن أبى طاهر وشمكير ، وخدم به سدته . والامثال قسمات واضحة بينة لوجه الأمة التى صدرت عنها ، ووصف ضمنى لوسائل حياتها وطرق معيشتها ، وهى فوق ذلك تكشف القناع عن نفسية الشعوب ، وترفع الحجب عن طبائع الامم ، فنرى النفس البشرية فى صفائها وفطرتها الأولى . وتعتبر الامثال أصدق الوسائل الادبية تعبيرا ، ولهذا نلقى ترحيبا من الأمة على اختلاف افرادها فى ثقافتهم ومبادئهم ونزعاتهم وطرق معيشتهم ، بل وتقلبهم لألوان الحياة ، وتلقى ترحيبا انسانيا عاما . والامثال فى كل امة قديمة قدم وسائل التعبير الادبية فيها ، بل هى اقدم هذه الوسائل ، ولأمتنا العربية أمثالها الموغلة فى القدم ، والتى تعبر تعبيرا صادقا عن الانسان فى صحرائه الواسعة وثقافته المحدودة ، ومن هنا فقد سجل مؤرخو الأدب العربى وخاصة من كتبوا فى الأمثال ، سجلوا كل مثل وحاولوا جاهدين ان يحددوا مكانه وزمانه والطائفة التى ينتمى اليها ولم يكن الثعالبى أول من ألف فى هذا الفن ، فقد سبقه

(١) التمثيل والمحاضرة / مقدمة المحقق

اليه كثيرون ، ولم يكن آخر من أدلى بدلوه فيه ، فقد جاء بعده كثيرون "
ويعدد المحقق من الذين الفوا في هذا الفن اربعة وخمسين مؤلفا ثم
يقول :" وكتاب ابي منصور يقف شامخا بين هذه المؤلفات " وأهتم ابو منصور
بأهل عصره فجمع مايخرج مخرج الامثال من كلامهم ، وتلك حسنة تحمد
لأبي منصور ، فلولاه لضاع التراث الزاهر الذى تألق في العصر العباسى
الثالث "

أما محرر مادة الثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية [1] فقد قال :" وصنف
الثعالبى مجموعات من الكلم والامثال ونخص بالذكر منها كتاب التمثيل
والمحاضرة وكتاب احاسن كلم النبى والصحابة والتابعين وملوك والجاهلية
وملوك الاسلام ... الخ "

وجرجى زيدان [2] قال : " انه يحتوى على مايحتاج اليه الاديب مما يتمثل
به فى الكتابة من اقوال الشعراء والمقتبسين "

ورأى الاستاذ محمود الجادر " أن مايتميز به هذا الكتاب من جميع كتب
الأمثال المعروفة فى الادب العربى هو هذا التبويب البارع الذى أخضع
له منهج الكتاب فابعده عن النسق المعجمي لكتب الامثال يضاف الى
ذلك أن المؤلف لم يقتصر فى كتابه على الامثال المتداولة المعروفة ، بل
ذهب الى جمع كل مايجرى مجرى المثل من اقوال القدماء والمحدثين
فجعل كتابه روضة تقل افانين مختلفات الثمر من أدب هذه اللغة العريقة
اننا لا نغلو اذا قلنا ان التمثيل والمحاضرة واحد من أحسن كتب
الثعالبى مادة ومنهجا ، ولعل الرجل أحسن بذلك فاستوحى من منهج
عدد من فصوله مناهج جعل كلا منها أساسا لكتاب برأسه فيما بعد " [3]

وقد ذكر الاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن سبعة كتب فى الأمثال رتبها
حسب قدمها وكان ترتيب كتاب (التمثيل والمحاضرة) الرابع ، وذكر انها
جميعا — عدا كتاب الثعالبى مرتبة على الأحرف الهجائية " [4]

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٦
(٢) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٣٢
(٣) الثعالبى ناقدا واديبا ٨٦ و٨٧
(٤) المراجع العربية والمعربة ٢٩٠ ، ٢٩١

نحن نعرف انه قدم الى الأمير شمس المعالى قابوس ونعرف أن هذا الأمير قد اوتى من العلم والجاه حظا وافرا وقد اجتمع فى بلاطه الادباء والعلماء واغدق عليهم الهبات والمنح فكان لزاما على صاحبنا الثعالبى أن يتفنن فى اخراج الكتاب وأن يختار له المادة التى تصلح لمن يقدم له الكتاب فجمع الامثال ودرسها وتناولها من أوجه مختلفة فنراه يتحدث تارة عما جاء منها فى القرآن الكريم والحديث الشريف واقوال الصحابة والتابعين واعلام الناس قديما وحديثا مع دراسة بلاغية لها حتى أنه اقتدى بمنهج هذا الكتاب عندما الف كتابه (الاعجاز والايجاز) السابق الذكر كما أن مادة الاعجاز والايجاز تبدو كأنها منتزعة من التمثيل والمحاضرة . والثعالبى لا يرى غضاضة فى أن يكرر بعض الامثال فى كتبه لا سيما وقد عرف كيف يحسن اختيارها وينقل الى كتبه اروع ما نضحت به قرائح الشعراء واقلام الكتاب والبلغاء . ونجده يضمن الفصل الأول من هذا الكتاب ما يجرى مجرى الامثال فى الفاظ القرآن وما يتمثل به من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بضرب المثل بسفينة نوح وغراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وعصا موسى ... الخ .
ويكرر ذلك فى ثمار القلوب (بناه على ذكر اشياء مضافة ومنسوبة الى اشياء مختلفة يتمثل بها كقولهم " غراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف ... "
وعندما يضمن كتابه " التمثيل والمحاضرة " امثالا من الكتب السماوية (التوراة والانجيل والزبور والقرآن الكريم) ومن اشعار القدماء والمحدثين ومن امثال الخاصة والعامة وأمثال العجم فان دل هذا المجهود الجبار على شىء فانما يدل على ثقافة صاحبنا الواسعة وعلى توفر الكتب والمراجع لديه ولدى الامراء الذين اتصل بهم .
وكنت قد تكلمت عن اصله ونسبه واثبت أنه من أصل عربى خلافا لما ذكره معظم من أرخوا له وقالوا انه من اصل فارسى .
قد اخترت نصا من كتاب التمثيل والمحاضرة نستطيع أن نستشف منه أنه عربى الأصل عندما اخذ على نفسه بأن يكون كتابه هذا " اسلامى جاهلى ، وعربى عجمى وملوكى سوقى وخاص عامى " فقد قدم العرب على العجم كما

قدم الاسلام على الجاهلية والملوك على السوقه الخاصة على العامة فلو كان فارسيا لماقدم ذكر العربي على العجمى .

ومن هذه العبارة ايضا نستدل على أن الكتاب شامل جامع يقف شامخا بين كتبه لا يستطيع أحد أن ينكر أنه فيه الفائدة لكل أديب أو دارس أو باحث شأنه في ذلك شأن جل كتبه التي خدم بها العربية خدمة ترفعه الى مصاف عمالقة الادب.

هذا وقد مدح الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الدنوسرى هذا الكتاب ارتجالا :

كتاب التمثل في الحسن لا * يشابهه أبدا من كتاب

حوى حكما فيه قد احكمت * ولكنهن عجاب عذاب

تذكر اخبار من قد مضوا * وما قيل عنهم بنقل صواب

كلام الأكابر فيه حلا * كما قد حلا واستلذ الشراب

عرائسه للنهى تجتلى * وقد أسفرت عن حلاها النقاب

وبدر المعالي به قد علا * يشبه في حسنه بالحباب

وأزهار أوراقه يجتنى * شذاها لأهل النهى يستطاب[1]

* * *

(1) التمثيل والمحاضرة / اورد الابيات محقق الكتاب في المقدمة .

نخصص صفحة لذكر ما يزيد عنه شيئا ما في الكتاب ما الفائدة ؟

:: الفصل الخامس ::

" كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنســــوب "

أولا : تسمية الكتاب :

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال : " فان هذا الكتــاب المترجم بـ " ثمار القلوب في المضاف والمنسوب " خدمت فيه خزانة كتب الامير أبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي "[١]

وتابعه الكلاعي [٢] على ذلك ولكن الصفدي [٣] عده كتابين " ثمــــار القلوب " و " المضاف والمنسوب " ، أما ابن قاضي شهبة [٤] فقد ذكره باسم " شهادة القلوب " وعد كتابا آخر باسم " المضاف في المنثور " ويبدو انه نقل عن الصفدي ولعل اختلاف الاسماء عنده جاء بسبب خطأ الناســخ ، وذكر البغدادي اسمه كاملا [٥] .

وقد ورد ذكره باسم " ثمار القلوب " عند كل من حاجي خليفـــة [٦] والدميري [٧] وابن معصوم المدني [٨] والزركلي [٩] ومحمد كرد علي [١٠] واحمد امين [١١] وسركيس [١٢] وجرجي زيدان [١٣] وذكره محرر مادة (الثعالبي) بهذا الاسم [١٤] .

ثانيــا : مخطوطاته :

الكتاب محقق مطبوع

توجد منه نسختان مخطوطتان في دار الكتب ، الاولى تحت رقـــم ٤٠٩٩ أدب والثانية تحت رقم ٢٢٥ أدب ، كتبت بخط يوسف بن محمـــد الشهير بابن الوكيل فرغ من كتابتها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١١١٩ هـ ناقصة من أولها وتبدأ بالكلام على " اجزاء سنمار " مــن

(١) ثمار القلوب/ المقدمة ٣ (٢) احكام صنيعة الكلام ٢٣٢
(٣) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢ : ٢٦٩ ظهر (٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧
(٥) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ (٦) كشف الظنون ١ : ٥٢٣ (٧) حياة الحيوان الكبرى ،
(٨) انوار الربيع ١ : ١٧٣ (٩) الاعلام ٣ : ٣١١ (١٠) كنوز الاجداد ٢٣٤
(١١) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٣ (١٢) معجم المطبوعات ١ : ٦٥٦ (١٣) تاريخ اداب اللغة العربية ١ : ٣٣١
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧

الباب الثامن .

ثالثا : طبعاتـــه :

طبعت مقدمة الكتاب مع الباب الرابع منه بمجلة المشرق [1] بيروت وطبع كاملا بمطبعة الظاهر بتحقيق محمد أبو شادى سنة ١٣٢٦ هـ ثم طبع مرة ثانية بدار نهضة مصر للطباعة والنشر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم سنة ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م .

رابعا : تقسيم الكتاب :

خرج الثعالبي كتابه هذا في واحد وستين بابا :

الباب الأول : فيما يضاف الى إسم الله تعالى عز ذكره وجل اسمه : " أهل الله . بيت الله — رسول الله — كتاب الله . خليل الله . روح الله . أرض الله . أسد الله . سيف الله — قوس الله — رمح الله — كلب الله ... الخ .

الباب الثانى : فيما يضاف وينسب الى الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين : وصى آدم . شهوة آدم . سفينة نوح — غراب نوح — مقام ابراهيم — نار ابراهيم — صحف ابراهيم — ضيف ابراهيم — وعد اسماعيل — ناقة صالح . ذئب يوسف . قميص يوسف — عصا موسى . نار موسى — خليفة الخضر — صبر أيوب — حوت يونس — درع داود — مزامير داود — خاتم سليمان — جن سليمان — حمار عزير — طب عيسى . دم يحيى بن زكريا . بردة النبي صلى الله عليه وسلم — داء الانبياء — فقر الانبياء .

الباب الثالث : فيما يضاف وينسب الى الملائكة والجن والشياطين : خط الملائكة — جناح جبريل — حربة أبي يحيى — سحر هاروت — كلاب الجن جند ابليس — قبح الشيطان — اصابع الشيطان — رؤوس الشياطين .

---

(١) مجلة المشرق عدد ١٢ ص ٥٥٣ سنة ١٩٠٠م

الباب الرابع :

فيما يضاف وينسب الى القرون الاولى :

احلام عاد — ريح عاد — أحمر ثمود — صاعقة ثمود — اكل لقمان — نخوة فرعون صرح هامان — كنوز قارون — سد الاسكندر — نوم اصحاب الكهف ...

الباب الخامس :

فيما يضاف وينسب الى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم :—

سيرة العمرين — درة عمر — قميص عثمان — فضائل على — صدق أبى ذر مشية أبى دجانة — دهاء معاوية — فقه العبادلة — وليمة الأشعث — حلم الاحنف — زهد الحسن — ورع ابن سيرين ...

الباب السادس :

فى ذكر رجالات العرب فى الجاهلية والاسلام مختلفى الألقاب والمراتب مضافين الى اشياء مختلفة يضرب بأكثرهم الامثال :—

قريش الاباطح — شيبة الحمد — حاتم طىء — كليب وائل — زيد الخيل — عراف اليمامة — يسار الكواعب — طفيل العرائس — وضاح اليمن مجنون بنى عامر — أمين الأمة — حوارى النبى — اشج بنى أمية — جبار بنى العباس .

الباب السابع :

فيما يضاف وينسب الى القبائل :—

ايلاف قريش — تيه بنى مخزوم — لؤم باهلة — رماة بنى ثعل قيافة بنى مدلج — عيافة بنى لهب — خطباء اياد — ثريدة غسان — مهور كندة .

الباب الثامن :

فيما يضاف وينسب الى رجال مختلفين .

حكمة لقمان — رأى سطيح — جود كعب — بخل مادر — بلاغة قس — عى باقل — حديث خرافة — مواعيد عرقوب — وفاء السموءل — عدو سليك — نفس عصام جزاء سنمار .

كنز النطف — شؤم طويس — كذب مسيلمة — واو عمرو :

الباب التاسع :

فيما يضاف وينسب الى العرب :

تيجان العرب - اغربة العرب - جمرات العرب - اثافى العرب - نخوة العرب - صناجة العرب - كسرى العرب - كاهل العرب - سابق العرب .

الباب العاشر :

فيما يضاف وينسب الى الاسلام والمسلمين :

سهم الاسلام - قبة الاسلام - بيضة الاسلام . خضاب الاسلام . دعوة الاسلام ... الخ .

الباب الحادى عشر :

فيما يضاف وينسب الى القراء والعلماء :

خريطة شهر - فقه أبى حنيفة - جامع سفيان - عنز الاعمش - طفرة النظام - حاجة أبى الهذيل .

الباب الثانى عشر :

فيما يضاف وينسب الى اصحاب المذاهب والآراء والأهواء :-

ايمان المرجئ - وجه الناصبى - خف الرافضى - نجدة الخارجى - اكل الصوفى ظرف الزنديق .

الباب الثالث عشر :

فيما يضاف وينسب الى ملوك الجاهلية وخلفاء الاسلام :

سيرة ازدشير - عدل أنو شروان - رمى بهرام - ايوان كسرى - نديما جذيمة - شقائق النعمان - اخلاق الملوك - دين الملوك - داء الملوك - غضب الملوك - ميدان الخلفاء - حسن الأمين - ليلة المتوكل - خلافة ابن المعتز .

الباب الرابع عشر :

فيما يضاف وينسب الى الكتاب والوزراء ومن يجرى مجراهم فى الدولة العباسية :-

بلاغة عبد الحميد - يتيمة ابن المقفع - زمن البرامكة - خط ابن مقلة .. الخ

الباب الخامس عشر :

فيما يضاف وينسب الى طبقات الشعراء :-

حلة امرئ القيس - يوم عبيد - حكم لبيد - حوليات زهير - صحيفة المتلمس - لسان حسان - سيف الفرزدق - بنات نصيب - غزل ابن ابى ربيعة - عين بشار - طبع البحترى - تشبيهات - ابن المعتز.

الباب السادس عشر :

فيما يضاف وينسب الى البلدان والأماكن :-

عزيز مصر - اسقف نجران - ملكا بابل - جنة عبقر - قاضى منى - سحرة الهند - شيخ العراق - لصوص الرى ...

الباب السابع عشر :

فيما يضاف وينسب الى اهل الصناعات :

سرى القين - راية بيطار - راحة صباغ - حمار القصار كلب القصاب - جنون المعلم - كذب الدلال .

الباب الثامن عشر :

فى الاباء والامهات الذين لم يلدوا والبنين والبنات الذين لم يولدوا :-

وقسمه الى اربعة فصول :

الفصل الاول فى الآباء : أبو الضيفان - ابو يحيى ، أبو مره ... الخ

الفصل الثانى فى الأمهات : ام الكتاب - ام القرى - ام المؤمنين .. الخ

الفصل الثالث فى البنين : ابن الليالى - ابن ذكاء - ابن السبيل .. الخ

الفصل الرابع فى البنات : ابنة الجبل - ابنة الكرم - بنت المنية .. الخ

الباب التاسع عشر :

فيما يضاف الى الأذواء والذوات:

ذو الاوتاد ، ذو القرنين - ذو الكفل - ذو النورين - ذو الوزارتين - ذات النحيين

ذات النطاقين ـ ذات الخمار ـ ذات الانواط •

الباب العشـــرون :

فى ذكر النساء المضافات والمنسوبات يتمثل بهن :

بنات طارق ـ بنات نصيب ـ زرقاء اليمامة ـ حمالة الحطب ـ خضراء الدمـــن ـ زوانى الهند ـ صواحب يوسف •

الباب الحادى والعشرون :

فيما يضاف وينسب الى النساء :

كيد النساء ـ نخلة مريم ـ عرش بلقيس ـ شؤم البسوس ـ عطر منشم قوة الزباء يوم حليمة ـ بكاء الثكلى ـ ليلة العروس ـ أصابع زينب •

الباب الثانى والعشرون :

فى اعضاء الحيوان وما يضاف وينسب اليها ويستعار منها :ـ

رأس المال ـ رأس العصا ـ وجه النهار ـ عين الرضا ـ انف الكرم ـ فم القنينـــة ـ لسان الحال ـ اسنان المشط ـ ناب النوائب ـ اذنا الحائط ـ جريعاء الذقن ـ أعناق الرياح ـ ايدى سبا ـ أنامل الحساب ـ أصابع الايتام ـ ظفر الزمان ـ كلكل الدهر ـ صدر الأمر وعجزه ـ ثمار النحور ـ ثدى اللؤم ـ سويداء القلب ـ كبـــد السماء ـ داء البطن ـ ذكر الخصى ـ شريان الغمام ـ حبل الوريد ـ عرق الخال •

الباب الثالث والعشرون :

فى الابل وما يضاف وينسب اليها :ـ

حمر النعم ـ يوم الجمل ـ ركبتا البعير ـ ناقة صالح ـ انف الناقة ـ خبط عشواء ـ سفن البر •

الباب الرابع والعشرون :

فى الخيل والبغال :ـ

نواصى الخيل ـ فارسي الابلق ـ شؤم داحس ـ فرسا رهان ـ بغلة ابى دلامة •

الباب الخامس والعشرون :

في الحمير :

حمار العزير — صبر الحمار — ولد الحمار ... الخ

الباب السادس والعشرون :

في البقر والغنم :

بقرة بني اسرائيل — اذ ناب البقر — عنز الأخفش — ذل العنز ... الخ .

الباب السابع والعشرون :

في الأســـد :

أسد الله — عريسة الأسد — راكب الاسد — فم الأسد ... الخ

الباب الثامن والعشرون :

في الذئب :

ذئب يوسف — ذئب الغضى — لؤم الذئب — نوم الذئب .... الخ

الباب التاسع والعشرون :

في الكلب :

كلب اصحاب الكهف — كلب طسم — مزجر الكلب — حرص الكلب — لؤم الكلب .

الباب الثلاثون :

في سائر السباع والوحوش :

حلب النمر — است النمر — نوم الفهد — مجيرام عامر — حرص الخنزير روغان الثعلب

قبح القرد — صيد ابن آوى — كراع الأرنب — ظباء مكة — جآذر جاسم — عين الظبي .

الباب الحادي والثلاثون :

في السنور والفأر :—

سنور عبد الله — فأرة العرم — فأرة المسك — فأرة الابل —

الباب الثاني والثلاثون :

في الضب والظربان والقنفذ والسرطان :

ابهام الضب — عقوق الضب — فسو الظربان — سرى القنفذ — مشية السرطان .

الباب الثالث والثلاثون :

في الحية والعقرب :

حية الوادى — ابنة الجبل — شجاع بطن — ثعابين مصر — خبث العقرب — رقية العقرب — دبيب العقرب .

الباب الرابع والثلاثون :

في سائر الحشرات والهوام :

بيت العنكبوت — دودة القز — لجاج الخنفساء — جناح النملة — مثقال ذرة .

الباب الخامس والثلاثون :

في النعام :

بيض النعام — عدو النعام — صحة الظليم .

الباب السادس والثلاثون :

في الطير :

عتاق الطير — بغاث الطير — لبن الطير .

الباب السابع والثلاثون :

في عتاق الطير :

عقاب الجو — عقاب ملاع — شأو العقاب — فرخ العقاب — خوافى العقاب .

الباب الثامن والثلاثون :

في الغراب :

غراب البين — زهو الغراب — صحة الغراب — شيب الغراب بكور الغراب — حذر الغراب .

الباب التاسع والثلاثون :

في الحمام :

حمامة نوح — حمام الحرم — طوق الحمامة — خرق الحمامة — سجع الحمام — •

الباب الأربعـــون :

في سائر اصناف الطير :

ديك العرش — ديك الجن — سفاد الديك — عين الديك — نسر لقمان — حسن الطاووس — سرق العقعق — صدق القطاة — وعيد الحبارى — هدهد سليمان — غناء العندليب — بيضة الديك — شؤم البوم •

الباب الحادى والاربعون :

في البيض :

بيض الأنوق — بيض النعام — وبيضة البلد — بيضة الديك • بيضة الاسلام •

الباب الثانى والأربعون :

في الذباب والبعوض :

طيش الذباب — جرأة الذباب — طنين الذباب — بق البطائح — مخ البعوض — فراش النار — ابر النحل — خصر زنبور •

الباب الثالث والأربعون :

في الأرض وما يضاف اليها :—

خبايا الأرض — سمع الارض وبصرها — دابة الارض — جنة الارض — اوتاد الارض — أديم الارض — خد الارض — جدرى الارض — بعل الارض •

الباب الرابع والاربعون :

في الدور والأبنية والأمكنة :—

دار الندوة — دار ابى سفيان — حصن تيماء — كعبة نجران — قصر غمدان — اهرام مصر — منارة الاسكندرية — كنيسة الرها — مسجد دمشق — غوطة دمشق — دير هرقل •

الباب الخامس والاربعون :

فيما يضاف وينسب الى البلدان والأماكن من فنون شتى :-

خراج مصر - كتان مصر - قراطيس مصر - تفاح الشام - زيت الشام - عود الهند - سيوف الهند - ياقوت سرنديب - برود اليمن - ثياب الروم - عنبر الشحر - سيوف اليمن - سكر الاهواز - وردجور - بسط ارمينية - طين نيسابور - مشمس هراة .

الباب السادس والاربعون :

فيما يضاف الى البلدان وينسب من الاغراض طاعة أهل الشام - طرب الزنج - حمى الأهواز - دماميل الجزيرة - طحال البحرين - حساب الهند - لواط خراسان هواء جرجان -

الباب السابع والاربعون :

فى الجبال والأمكنة :

ثقل احد - ثالثة الاثافى - رشح الحجر - قالب الصخرة .

الباب الثامن والاربعون :

فى المياه وما يضاف اليها :

ماء زمزم - ماء صداء - ماء السماء - ماء عناق - ماء الوجه - ماء النعيم - اديم الماء - نيل مصر .

الباب التاسع والاربعون :

فى النيران :

نار الله - نار ابراهيم - نار موسى - نار القرى - نار الحرب - نار المسافر - نار المجوس - نار الاستمطار - نار الشوق - قبسة العجلان .

الباب الخمسون :

فى الشجر والنبات :

نخلة مريم - سدرة المنتهى - خدود الورد - عيون النرجس - خرط القتاد .

الباب الحادى والخمسون :

فى اللباس والثياب :

برد الشباب ــ شعار الصالحين ــ خفا حنين .

الباب الثاني والخمسون :

في الطعام وما يتصل به :

عجالة الراكب ــ حشو اللوزينج ــ مواعيد الكمون .

الباب الثالث والخمسون :

في الشراب وما يتصل به ويذكر معه :

برد الشراب ــ قذارة الكوز ــ خمر بابل .

الباب الرابع والخمسون :

في السلاح وما يجانسه :

سيف علي ــ مخراق لاعب ــ ظل الرمح ــ ظهر الترس

الباب الخامس والخمسون :

في الحلي ومايشبهها :

قرط مارية ــ طوق عمرو ــ درة التاج ــ واسطة القلادة .

الباب السادس والخمسون :

في الليالي المضافة :ــ

ليلة القدر ــ ليل المحب ــ ليلة النابغة ــ ليلة الغدير ــ حاطب الليل . ثم يضيف فصلا في ذكر الايام المضافة : يوم البسوس ــ يوم الفجار ــ يوم خزازى ...

الباب السابع والخمسون :

في الازمان والأوقات :

زمن الفطحل ــ عام الحزن ــ عام الجحاف ــ عام الفيل ــ نسيم السحر ــ قمر الشتاء فاكهة الشتاء .

الباب الثامن والخمسون :

في الآثار العلوية سوى ما تقدم منها :ــ

قمر المقنع — صحبة الفرقدين — مناط العيوق — سحابة الصيف — مر السحاب — برق خلب — ريق المزن — غيث الغيث — نسيم الصبا ٠

الباب التاسع والخمسون :

فى الأدب وما يتعلق به :—

ادب النفس — حرفة الادب — بيت القصيدة — غذاء الروح — سير المثل ٠

الباب الستون :

فى فنون مختلفة الترتيب على توالى حروف الهجاء :—

الألف : أنفاس الحبيب ٠٠٠

الباء : بكاء السرور ٠٠٠

التاء : تقسيمات اقليدس ٠٠٠

الثاء : ثقل الدين ٠٠٠

الجيم : جهد البلاء ٠٠٠

الحاء : حكم الصبى ٠٠٠

الخاء : خدعة الصبى ٠٠٠

الدال : دعوة المظلوم ٠٠٠

الذال : ذل السؤال ٠٠٠

الراء : رشاء الحاجة ٠٠٠

الزاى : زكاة الجاه

السين : سوط عذاب

الشين : شريكا عنان ٠

الصاد : صحبة السفينة ٠٠٠

الضاد : ضربة لازب ٠٠٠

الطاء : طعم الحياة ٠

الظاء : ظل الموت

العين : عرق القربة

الغين : غفلة الرقيب ...
الفاء : فتنة الرجال ..
القاف : قبور الاحياء ...
الكاف : كيمياء الفرح ...
اللام : لعاب المنية ...
الميم : مفتاح النجاح ...
النون : نور الهموم
الواو : وقار الشيب
الياء : ينبوع الاحزان

الباب الحادي والستون :

في الجنان وهو آخر الابواب :
جنه الدنيا — جنة الرجل — جنة الفردوس — جنة عدن — جنة المأوى — ظل طوبى — باب الجنة — كنوز الجنة — ريح الجنة .

خامسا : منهج الكتاب :

هكذا بلغت أبواب الكتاب واحدا وستين بابا كما ذكرنا ومنهجه في الكتاب قائم على ذكر اشياء مضافة أو منسوبة الى المعنى الذى يعقد الباب عليه وعلى مايقاربه في المعنى أو يجانسه .

وكما رأينا عند تقسيمه الكتاب الى أبواب يضع عنوان الباب مثلا في المياه ثم يذكر المضاف او المنسوب الى المياه فيقول : ماء زمزم ، ماء عناق ... الخ .

وبعد أن يذكر عددا من هذه الامثلة يبدأ بالاستشهاد فيأتي بالآية والحديث والشعر والمثل . وهذه هي طريقته في تأليف الكتاب

سادسا : مادة الكتاب :

من تقسيم الكتاب نستطيع أن نتعرف على مادة الكتاب التى وضعها بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اكثر من الاستشهاد باشعار العرب وامثالهم السائرة مما يجعل هذا

الكتاب عملا ادبيا وعلميا ضخما بالنسبة لعصره ولعل ذلك مادفع الدكتور زكي مبارك الى المبالغة في تقويم هذا الكتاب حين قال : " ونحن نقول بدون تحفظ ان هذا الكتاب من انفس ماكتب باللغة العربية . "(١)

فالكتاب موسوعة ادبية ولأهميته كثرت مختصراته ومنتخبات منه فقد ذكر حاجي خليفة كتابين هما " نفحة المجلوب من ثمار القلوب " و "جنى المحبوب المنتخب من ثمار القلوب "(٢)

وذكر محرر مادة (الثعالبي) في دائرة المعارف الاسلامية موجزا لثمار القلوب بعنوان "عماد البلاغة" لعبد الرزاق المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ(٣) ومما حمل اكثر النقاد والادباء على أن يعدوه موسوعة ادبية احتواؤه على اشياء كثيرة ومتنوعة مضافة ومنسوبة الى اشياء مختلفة يتمثل بها ويكثر في النظم والنثر وعلى السنة الخاصة والعامة استعمالها كقولهم : غراب نوح ونار ابراهيم وذئب يوسف وعصا موسى ، وكقولهم : كنز النطف وقرطا مارية وصحيفة المتلمس ، وكقولهم : تفاح الشام واترج العراق وسكر الاهواز وورد جور — وهكذا افتن الثعالبي في تأليفه فجاء متنوعا جامعا شاملا كما يؤخذ وصف ابوابه من حديث المؤلف نفسه :

" وقد خرجتها في أحد وستين بابا ،ينطق كل منها بذكر مايشتمل عليه اولا ويفصح عن الاستشهاد وسياقة المراد آخرا ، وما منها الا مايتعلق من المثل بسبب ، ويعرض من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ،ويأخذ من الاخبار والانساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والاماكن قدحا ، ويجري في اعاجيب الأحاديث شوطا . "(٤)

---

(١) النثر الفني ٢ : ١٨٣
(٢) كشف الظنون ٥٢٣
(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧
(٤) ثمار القلوب/ مقدمة المؤلف ٤ ، ٥

أما لغته في هذا الكتاب فهي تمتاز عن لغته في سائر كتبه بالخلو من السجع ولعله كان مشغولا بجمع المعلومات والاخبار والفكاهات والاقاصيص التي استقاها من كتب السابقين واودعها بطن هذا الكتاب.

والكتاب يرينا فهم العرب لكثير من الطباع الانسانية والحيوانية: من ذلك "عرق الخال: العرب تقول: عرق الخال لاينام: قال الجاحظ: زعم كثير من العلماء أن عرق الخال أنزع من عرق العم. قالوا: والدليل على أن نصيب الامهات في الأولاد اكثر وأنها على الشبه أغلب وأن اكثر ماتلد الامهات الاناث، وكذلك الناس وجميع الحيوانات، فاذا أردت أن تعرف حق ذلك من باطله، فاحص سكان عشر دور من يمينك، وعشر من شمالك، وعشر من خلفك، وعشر من أمامك، فانظر أيها اكثر، رجالهم أو نساؤهم؟ واعتبر ذلك في الابل والبقر والشياه... والأم والخال عند العرب انزع وأشد جذبا للولد، لأن الام والأب قد يستويان في وجوه، ثم تفضل الام الأب في وجوه بعد ذلك لأن الولد ليس يخلق من ماء الأب دون ماء الأم، قال تعالى "خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب" والأب انما يقذف مثل المخطة أو البصقة ثم يعتزل أو يغيب أو يموت أو يكون حاضرا والأم منها الرحم، وهو القالب الذى ينطبع عليه الولد، وتفرغ فيه النطفة كما يفرغ الرصاص المذاب في القالب، فاذا وقع ماء الرجل وماء المرأة في القالب وفي قرار الرحم فامتزجا تشعب خلق الولد على قدر تشعب الرحم، ثم لا يغتذى الا من دم الأم، ولا يمتص الا من قواها، ولا يجذب الا من الاجزاء التي فيها لطائف الأغذية، ولد ذلك مادام في جوفها، فاذا ظهر غذته بلبنها، ولا يشك الأطباء أن اللبن دم استحال عند خروجه، فهي تغذوه بدمها مرتين، وتزيد في خلقه من اجزائها دفعتين، ولذلك صار حب النساء للأولاد اشد من حب الرجال" ويسوق الأدلة على ذلك من اشعار العرب منها: انشد الاصمعي لبعض الشعراء:

سرى عرقه في القوم حتى أصابهم * وللخال عرق لا ينام ولا يكد ".(١)

وقد فسر الثعالبي المثل القائل "ماء عناق" في الباب الثامن والاربعين من هذا الكتاب:— "وهو مثل يضرب للداهية وللأمر الملتبس، وكان من حديثه أن رجلا بينا هو يسقي وبيته تلقاء وجهه، اذ نظر فاذا برجل قد عانق امرأته يقبلها، فأخذ

---

(١) ثمار القلوب ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥

العصا وأقبل مسرعا ، فلما رأته المرأة اخفت الرجل فيما بين النضد ،فنظر يمنة ويسره فلم ير شيئا ،فنظر في الارض فلم يبصر أحدا ،فكذب بصره وكر راجعا ،فلما كان الورد الثاني قالت المرأة : هل لك في أن اكفيك السقى وتتورع اليوم؟ قال :نعم ان شئت ، فأقام في البيت وانطلقت تسعى وتحينت منه غفلة ،فأخذت العصا واقبلت حتى علت بها رأسه ، فقال : ويلك وما دهاك : قالت: أين المرأة التي رأيتك معها معانقا لها ؟ فقال : والله ماكانت عندى امرأة ، قالت: بل أنا نظرت اليها بعيني وأنا على الماء ، فتحالفا ،فلما اكثرت قال : ان تكوني صادقة فان ماءكم هذا ماء عناق ،فصار مثلا يضرب في الدواهي "(١)

ومن تعليل الثعالبي للمثل العربي القائل "عرق الخال لا ينام " الذى أوردت قصته من ثمار القلوب يدلنا على دقة الملاحظة عند العرب وقد تغنى الشعراء في الجاهلية وفي صدر الاسلام بفضل الخال كما شاهدنا من الاشعار التي اختارها الثعالبي لهذه المناسبة وأحسن اختيارها ٠

وكذلك الرواية التي ساقها الثعالبي لتفسير " ماء عناق " من جملة الفكاهات التي اخترعها الكتاب تفسيرا للأمثال ٠

وهذه الفكاهات والطرف والاقاصيص التي أودعها كتابه هذا كانت من الكثرة الى حد ان جعلت الدكتور زكي مبارك يقول : " فليس كل مافي الكتاب حقائق ثابتة ، وانما هو مجموعة من الحقائق والأكاذيب التي قبلها معاصروه ، وعدوها من العلم الصحيح ،فمن اغلاطه الكلام عن ثعابين مصر اذا رتضى قول الجاحظ: " الثعابين لا تكون الا بمصر وانها حول الله تعالى عصا موسى عليه الصلاة والسلام ٠ "(٢)

مراجع الثعالبي في تأليفه " ثمار القلوب " :

أولها : الينبوع الذى لا ينضب من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ٠

والثاني : الشعر العربي وخاصة في حديثه عن الأبل والخيل والبغال والحمير والكلب والأسد وغيرها من الحيوانات ٠

فالعرب تحدثوا عن الابل في شعرهم وأطالوا الكلام وتحدثوا في نعتها فلم يتركوا عضوا من اعضائها ، وكان لهم في الخيل نعت مفصل ،وذكروا من الطيور

---

(١) ثمار القلوب ٥٦٢ و٥٦٣ (٢) النثر الفني

والنسور والعقبان والرخم والقطا مالا يحصى تحته .

فالثعالبى عندما يذكر مايضاف الى الله عز وجل أو الى مخلوقاته يستشهد على ذلك بآيات قرآنية أو بأحاديث شريفة ويكثر من اختياراته من اشعار العرب التى تفسر الأمثال .

ومن هنا نرى مقدار صدق مانسب اليه الدكتور زكى مبارك عندما قال : " لا أحد يستطيع أن يقدر خسارة الأدب العربى لوفقدنا كتاب يتيمة الدهر أو ثمار القلوب " (1)

ومن دراستى لكتاب ثمار القلوب لمست مابذله الثعالبى من جهد وعناء عند تأليفه وما كان يتطلبه من وعى وحفظ لأمثال العرب واشعارهم وآيات القرآن الكريم والاحاديث الشريفة :

كما يجب أن لا ننسى اعتماده على اقوال الجاحظ فى كتابه (الحيوان) .

آراء النقاد فى كتاب ثمار القلوب :

لعل أول مايطالعنا من اطراء هذا الكتاب هو قول الدكتور زكى مبارك : " ونحن نقول بدون تحفظ أن هذا الكتاب من أنفس ماكتب باللغة العربية " (2)

وقد ذكرنا قوله بأنه لا يستطيع أن يقدر خسارة الادب العربى لو فقد ثمار القلوب من المكتبة العربية .

أما محقق الكتاب الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم فيقول : " وكتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، من الكتب التى اتسمت بجمال التأليف وتنسيق الأبواب مع شرف الغاية وكرم المقصد . " (3) ثم يقول : " وقد افتن الثعالبى فى تصنيفه ، وجرى على سجيته فى كتابة أبوابه وفصوله ، وأودعه من الطرف والنوادر والملح والأفاكية والأقاصيص ومضاحك الشعر ماجعله مراد النفس وجلاء القلب ومتعة الخاطر ، وقد شارك الثعالبى فى تأليف هذا النوع بعض العلماء والمصنفين : منهم ابن الأثير فى كتاب " المرصع " وقد قصر على الأنواء والآباء والبنين والبنات والمحبى ، فى كتاب " مايعول عليه فيما يضاف وينسب اليه " وقد سار فيه سيرا معجميا ، واخلاه من

---

(1) النثر الفنى ٢ : ١٧٩ (2) النثر الفنى ٢ : ١٨٣

(3) ثمار القلوب/ مقدمة المحقق ص٨

الأخبار والقصص ، واختصر فيه الشواهد ، كما وقعت منه بعض فصول لأبي هلال العسكري في كتاب " جمهرة الامثال " ، والميداني في كتاب " مجمع الأمثال " وابن سيدة في كتاب المخصص ، الا ان كتاب الثعالبي أحسنها فصولا وأبوابا ، وأسهلها شريعة ، وأعذبها موردا ، واجمعها لصنوف الآداب وروائع الأخبار ، ومتنخل الاشعار وسوائر الامثال . "(1)

ومجمل القول ان الثعالبي كان حريصا على اخراج كتابه في أحسن صورة جامعة لمختلف الأمثال والقصص والنوادر والطرف التي لا يستغني عنها اديب أو كاتب ، ولقد كان مع ذلك متواضعا في تقديمه لهذا الكتاب حيث يقول :

" وان كنت في ذلك كمهدي العود الى الهنود ، وناقل المسك الى أرض الترك ، وجالب العنبر الى البحر الأخضر . "(2)

* * *

(1) ثمار القلوب — مقدمة المحقق

(2) المصدر نفسه — مقدمة المؤلف ص٣

:: الفصل السادس ::

" كتاب يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر "

أخرت الحديث عن هذا الكتاب الذى اشتهر به الثعالبى ، حتى انه لا يذكر الا مقترنا به .

ولكننى قصدت الى ذلك قصدا . ذلك أن هذا الكتاب أجمع وأشمل وأظهر مؤلفات الثعالبى ، وهو لذلك يحتاج الى أن أفرغ له ، وأن اطيل الحديث عنه بعد أن اكون قد افرغت ذهنى من الحديث عن أشهر كتبه الأخرى .

على أننى اقتدى فى ذلك بالثعالبى نفسه عند ما كان يذكر البلغاء والفصحاء من الكتاب ويؤخر ذكر صاحبه وأميره وولى نعمته الأمير الميكالى ، كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد ، ومتمثلا بقول الشاعر :

وكذاك قد ساد النبى محمد * كل الأنام وكان آخر مرسل

وعند تقديمه كتاب (خاص الخاص) للشيخ السيد ابى الحسن مسافر بن الحسن أخر ذكر شعره عند ما ذكر عجائب الشعر والشعراء ، فقال : " أخرت ذكر شعره كما يؤخر تقديم الحلواء على الموائد . " (١) ويتيمة الدهر تستحق منا دراسة وافية شاملة دقيقة مستأنية ، وقد نظلمها عند ما نكتب عنها فصلا من باب ، بل حرى بنا أن نكتب عنها رسالة برأسها .

تسمية الكتاب : ذكره الثعالبى فى عدد من كتبه (٢) بهذا الاسم ولم يغير فيه أحد من القدماء والمحدثين أو يخالف فى هذه التسمية ، وقد غلبت اليتيمة على مؤلفات الثعالبى حتى اشتهر بها فقيل وما يزال يقال : (صاحب اليتيمة) . بل ان ياقوت الحموى يقول : " قال الثعالبى فى كتابه " (٣) يقصد اليتيمة .

مخطوطات الكتاب: منه نسخ خطية فى اكثر مكتبات اوربا ، وذكر محرر مادة ثعالبى فى دائرة المعارف الاسلامية (٤) " تعددت نسخ هذا الديوان ، شأنه فى ذلك شأن

---

(١) خاص الخاص طبعة بيروت ص٢٢٨

(٢) سحر البلاغة ٣ ، ثمار القلوب ٧٤ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٦٤

(٣) معجم الادباء ١ : ٢٥ ، ٢٦٣ : ٢٦ (٤) ٦ : ١٩٤

معظم الكتب التي من نوعه ،ويتضح لنا هذا من قول ياقوت في (ارشاد الاريب حـ ٢ ص ٣٢٠) أنه قرأ القصة الواردة في نسخة دمشق (حـ ٣ ص ٣٣) بالقاهرة في نسخة اعطاها الى ياقوت ابن احمد بن محمد ولم ترد هذه القصة في النسخ المعروفة ، وذكر (برتشي) و (بروكلمان) مخطوطات باريس وكمبروج ، والمخطوط الذي في حوزة نيكلسون ، والمختصر الذي لا يعرف صاحبه ، الموجود في المتحف البريطاني .

طبعاته :

طبع في دمشق سنة ١٣٠٤هـ بأربعة اجزاء غير مفهرسة ، وصدر في كلكتا فهرس شامل للأشخاص والأماكن والكتب والاشعار لهذه الطبعة ، جمعه أبو موسى احمد الحق سنة ١٩١٥م .

وطبع الكتاب عدة مرات في القاهرة منها طبعة أولى سنة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧م بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ثم طبعة ثانية في مطبعة السعادة سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م وطبعة ثالثة في دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م .

وهي طبعات مناسبة يقع كل منها في أربعة اجزاء ولكنها " تفتقر الى مزيد من الجهد في ضبط النصوص وشرحها والتعليق عليها ، وفي فهرسة الكتاب فهرسة علمية جيدة تتناسب مع قيمته . " (١)

سبب تأليفه :

لقد رأى الثعالبي أن المصنفين الذين سبقوه كانوا يعنون بالقدماء قبل سواهم ، ولم يجد كتابا يضم محاسن أهل العصر ، فتصدى لهذا العمل الجليل ، وذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمئة للهجرة ، والعمر في اقباله ، والشباب بمائة ، وكان حينذاك لم يتجاوز عمره الرابعة والثلاثين .

ولنسمعه يقص علينا ذلك في مقدمة كتابه ذاكرا الاسباب التي حملته على تأليف اليتيمة ، والمراحل التي مربها كتابه هذا ، حيث يقول :

" وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء والمتأخرين ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب

(١) مصادر التراث العربي ١٦٠

فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن الا نبو العين من اخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في اقباله ، والشباب بمائة " [١] فكان كتابه هذا انصافا لأهل عصره لأن اشعارهم أجمع لنوادر المحاسن وانظم للطائف البدائع من اشعار من سبقوهم يقول " وكانت اشعار المصريين اجمع لنوادر المحاسن وانظم للطائف البدائع من اشعار سائر المذكورين لانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها اقصى نهايات الجودة والظرف تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، ومن حد الشعر الى السحر " [٢] ثم نراه يبين لنا المراحل التي مر بها كتابه بأن اعاد فيه النظر فزاد في النسخة الأولى ونقص منها وغير ترتيبها وتبويبها وذلك بعد أن تقدمت به السن . حيث يقول : " وحين اعرته على الايام بصري ، واعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ماقرأته في بعض الكتب : أن أول مايبدو من ضعف ابن آدم انه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة الا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟ " [٣] ويتساءل : لم لا أبلغ به المبلغ الذى يستحق حسن الاحماد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، " فجعلت ابنيه وانقضه وازيده وانقصه وامحوه واثبته وانتسخه ثم انسخه .. الى أن ادركت عصر السنن والحنكة فاختلست لمعة من ظلمة الدهر وانتهزت رقدة من عين الزمان وخفة من زحمة الشوائب واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة .. بعد أن غيرت ترتيبها وجددت تبويبها وأعدت ترصيفها واحكمت تأليفها " [٤]

وهكذا نجد أنه أعاد تأليف النسخة الثانية سنة ثلاث واربعمائة بجرجان [٥] . أما عباس اقبال فيقول : " أن النسخة الثانية من كتاب اليتيمة قد كتبت في الجرجانية ، واهديت لخوارزم شاه [٦] .

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٤ مقدمة المؤلف (٢) المصدر السابق ٤ مقدمة المؤلف
(٣) المصدر السابق ٥ " " (٤) " " ٦٥ " "
(٥) صرح بذلك في تتمة اليتيمة ١ : ١٤٥ (٦) تتمة اليتيمة ١ : ٥ مقدمة (الفارسية)

تقسيم الكتاب :

قسمه المؤلف اربعة اقسام يشتمل كل قسم منها على ابواب وفصول •

القسم الأول : في محاسن اشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من اهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من اخبارهم •

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وانشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، ونصوص من فصول المترسلين فيهم •

القسم الثالث : في محاسن اشعار اهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان واصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها وما ينضاف اليها من اخبارهم وغرر الفاظهم •

القسم الرابع : في محاسن اشعار أهل خراسان وما وراء النهر من انشاء الدولة السامانية والغزنوية ،والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من اخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها •

وكل قسم موزع على عشرة أبواب متأثرا بطبقات الشعراء لابن سلام من حيث التقسيم الشكلي •

هذا وقد خص شعراء الشام وما يجاورها بالقسم الأول وهو اكبر الأقسام وفضلهم على غيرهم وقد ذكرنا في الفصل الرابع من الباب الثاني (الثعالبي في ميزان النقد) سبب تفضيله هذا •

وقد قطع على نفسه عهدا أن لا يورد في كتابه هذا الا " لب اللب وحبة القلب وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص " (١)

لذلك نجده يطيل الحديث عن أعم الشعراء والكتاب ،فقد بلغت كتابته عن المتنبي ١١٥ صفحة ، وعن الصاحب بن عباد ٩٨ صفحة ، وعن أبي اسحق الصابي

(١) اليتيمة ١ : ٧ خطبة الثعالبي

٧١ صفحة ، وعن ابن الحجاج ٦٩ صفحة ، وعن السرى الرفاء ٦٦ صفحة ،وعن أبى فراس ٥٤ صفحة ، وعن ابى بكر الخوارزمى ٤٨ صفحة ، وعن بديع الزمان الهمذانى ٤٧ صفحة وعن كل من ابى الحسن السلامى وأبى الفرج الببغاء ٣٥ صفحة ، وعن أبى الفتح البستى ٣١ صفحة ، وكذلك عن أبى طالب المأوى ٣١ صفحة ،وعن كل من أبى الفضل الميكالى وابن وكيع التنيسى ٢٨ صفحة ، وعن كل من ابن العميد وابن سكرة ٢٧ صفحة وعن كل من الخالديين وابى الرقعمق وأحمد بن محمد بن عبد ربه ٢٥ صفحة ، وعن القاضى الجرجانى ٢٤ صفحة ، وعن الشريف الرضى ٢٣ صفحة ، وعند أبى دلف الخزرجى ٢٢ صفحة وعن ابى القاسم الواسانى ٢١ صفحة ، وعن سيف الدولة ٢٠ صفحة ، وعن المهلبى الوزير ١٨ صفحة ، وعن ابن نباته السعدى ١٦ صفحة وعن كل من شمس المعالى قابوس وابى عامر ابن شهيد ١٥ صفحة .

أما مابقى منهم فقد كان يكتفى بتراجم قليلة عنهم ، وأحيانا كان يورد لبعضهم البيتين ،ومن هؤلاء شعراء أوساط أو مغمورون لولا اليتيمة لما عرفنا عنهم شيئا .

يقول الدكتور امجد الطرابلسى : " وتختلف تراجم اليتيمة فيما بينها طولا وقصرا ، فهناك تراجم غنية ومطولة لعدد من كبار شعراء القرن الرابع وادبائه المرموقين كأبى فراس الحمدانى وأبى الفرج الببغاء والسرى والرفاء وابى اسحق الصابى وابن الحجاج وابن الميكالى وغيرهم ، بل ان بعض تراجم الكتاب تكاد تبلغ احيانا مئة صفحة كما هى الحال مثلا فى ترجمة المتنبى والصاحب بن عباد ، والى جانب هذه التراجم المطولة الخصبة تراجم قصيرة لاتتجاوز الصفحة الواحدة أو الصفحات القليلة . "

ويرى الدكتور الطرابلسى ان قيمة اليتيمة ليست فى التراجم المطولة ، وانما فى مئات التراجم القصيرة التى تنطوى عليها لاولئك الشعراء الاوساط أو المغمورين الذين عاشو فى القرن الهجرى الرابع فى مختلف بقاع العالم الاسلامى الفسيح .

فلولا اليتيمة لفقدت معظم اخبار هؤلاء وآثارهم ، " ولما عرفنا عن كثير منهم شيئا يذكر . " (١)

أما الدكتور زكى مبارك فيقول : " وفى بعض الاحيان يطيل فى ترجمة الشعراء والكتاب ولا يفعل ذلك الا حين يعرض لمن كثر خصومهم وانصارهم وتشعبت فيهم

---

(١) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١ : ١٦٦

الأقاويل كالمتنبي والصاحب وأبي فراس . وفيما عدا ذلك يلم الماما خفيفا ، قد يصل به الى ترجمة كاتب أو شاعر في نصف صفحة ، وذلك جانب من الضعف في ذلك الكتاب النفيس . " (١)

ولكن يكفي في الرد على الدكتور زكي مبارك ان الثعالبي أزاح الغبار وكشف النقاب عن هؤلاء المغمورين ، فعرف الناس بهم ولفت الانظار اليهم .

وربما كان هذا الالمام القصير بتراجمهم راجعا الى أنه لم يكن ليكتب شيئا دون أن يتحقق مما يكتبه ، فقد اعتمد في كثير من تراجمه على مشافهة من يترجم لهم ، فان تعذر ذلك اعتمد على رواة شافهوا الشعراء والكتاب ، فان تعذر هذا ايضا لجأ الى دواوين الشعراء يختار منها مايكتبه في اليتيمة .

وبما أن اغلبهم من الشعراء والكتاب المغمورين فقد اجاد وابدع وكلف نفسه مشقة التأليف عندما ترجم لبعضهم في نصف صفحة .

وهكذا جاءت اليتيمة مرآة العصر الذي عاش فيه الثعالبي ، ومثالا من أدب أهله فاشتملت على أخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة .

وتختلف تراجمها عن تراجم الكتب الأخرى بكثرة الاشعار المختارة فيها ، وطغيانها على اخبار الشعراء وتفاصيل حياتهم ، حتى ليمكن اعتبار هذا الكتاب سجلا لاشعار القرن الرابع لا كتابا في تراجم شعرائه .

" وتأليف هذا الكتاب الضخم في ذلك العصر ، ان دل على شيء ، فعلى اهتمام الاوساط الأدبية آنذاك بالشعر المحدث والشعر المعاصر " (٢)

وعندما ذكر حنا ماخوري أشهر من عنوا بتراجم الشعراء ذكر الثعالبي وأبا الفرج الاصبهاني حيث قال : " ومن أشهر من عنوا بتراجم الشعراء أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الأغاني وابو منصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر في شعراء اهل العصر " (٣)

وقد ذكرنا أن كتاب اليتيمة مرآة العصر ورأينا أن ظاهرة المجون قد طغت على المجتمعات آنذاك وبخاصة على المجتمع البويهي فكان هذا الكتاب هو خير الكتب الادبية التي احتفظت بهذا النوع من الادب الذي يصور الحياة الماجنة . وعندما

---

(١) النثر الفني ٢ : ١٨٨ (٢) نظرة تاريخية في حركة التأليف ١ : ١٦٢
(٣) تاريخ الادب العربي ٧٥١

يتكلم الدكتور الغناوى الزهيرى عن ظاهرة المجون التى طفت على المجتمع البويهى يقول : " هذه الظاهرة الاجتماعية العامة قد انعكست صورتها فى الحياة الأدبية انعكاسا تاما فلونت الادب بلون ماجن خليع لم يشهده من قبل ولا من بعد ، وربما كان كتاب اليتيمة لأبى منصور الثعالبى هو خير الكتب الادبية التى احتفظت لنا بهذا النوع من الادب الذى رسم ظلال الحياة الماجنة فى عهد بنى بويه وذلك لأن المؤلف قد أكثر فى كتابه من ايراد الشواهد التى تصور الجانب اللاهى من حياة الناس عموما وحياة الادباء خصوصا .

فهو حين يترجم لشعرائه وكتابه يعنى كثيرا بأخبار لهوهم ومجونهم وتظرفهم مستشهدا على ذلك بالشعر والنثر " (١)

هذا وقد صور لنا هذا الكتاب الحياة الاجتماعية بنواحيها المختلفة بتضمينه مجموعة من الشعراء المختلفى المشارب والأهواء ، فمنهم الصنوبرى الحلبى الذى مثل الترف والنعيم والعيش الرغد ، يقابله الشاعر ابن لنكك الذى كان يصور البؤس والفقر وعبث الاقدار ، وقد قال الثعالبى فيه : " كانت حرفة الأدب تمسه وتخمشه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ودهره يضعه " (٢) والمتنبى كان يصور الاحداث فى المعارك التى كانت تقع بين الحمدانيين والروم ، وقد أورد الثعالبى لابن حجاج وابن سكرة شعرا يصور حالة العصر فى مجونة وهزله وفساده وأدبه المكشوف .

ومن هنا ندرك أن الثعالبى على الرغم من عنايته البالغة بتسجيل مظاهر اللهو والمجون لم يغفل مظاهر الحياة الاخرى . ولهذا فقد بالغ الدكتور غناوى الزهيرى حينما قال " فهو — يعنى الثعالبى — حين يترجم لشعرائه وكتابه يعنى كثيرا بأخبار لهوهم ومجونهم وتظرفهم مستشهدا على ذلك بالشعر والنثر ، وقد يطغى عليه هذا الاتجاه حتى نراه لا يذكر من القصيدة أو القصائد التى كانت تقال فى المدح أو فى التهنئة أو فى غيرهما من الاغراض الا الابيات التى تصور عبث الممدوح وتهتكه مكررا هذا الصنيع فى غير موضع من الكتاب . " (٣)

ولعل ما رآه الثعالبى من ميل أهل العصر الى اللهو والمجون بصفة عامة يشفع له

---

(١) الأدب فى ظل بنى بويه ٢٥٢،٢٥٣ (٢) يتيمة الدهر

(٣) الادب فى ظل بنى بويه ٢٥٢،٢٥٣

فى هذه العناية الفائقة بجانب اللهو والمجون ، وبخاصة عند ترجمته لابن حجاج وابن سكرة اللذين استغرقت ترجمتها ٩٦ صفحة من صفحات هذا الكتاب. ويؤكد هذا القول الدكتور غناوى الزهيرى حين قال : "ويبدو لى ان الثعالبى كان يتعمد هذا الأمر تعمدا ارضاء لذوق العصر ومجاراة لميول أهله الذين كانوا يستسيغون هذا النوع من الأدب ، ويفضلونه على ماسواه ، ودليلى على ذلك ماكان من عنايته الشديدة بشعر ابن الحجاج وابن سكرة ، واكثاره من رواية هذا الشعر على فحشه واقذاعه ، بحيث استوعبت الشواهد التى اختارها منه اكثر من سبعين صفحة من صفحات الكتاب ." (١)

فكلا منا عن تنوع اختيار الثعالبى للاشعار التى تمثل مختلف نواحى الحياة الاجتماعية فى عصره لا يعنى أننا ندفع عنه ماجاء فى كتابه هذا من انماط فاحشة وبخاصة عند ذكره للغزل بالغلمان ، "ففى يتيمة الدهر للثعالبى انماط فاحشة من هذا الغزل يقف عن تسطيرها القلم ." (٢)

ومجمل القول ان المتصفح لكتاب يتيمة الدهر يخرج بصورة حية كاملة للحياة الأدبية عامة ، والشعرية خاصة ، خلال المئة الرابعة ، ومثل هذه الصورة نكاد نفتقدها فى العصور السابقة ، " ذلك ان المصنفين قبل الثعالبى كانوا فى الغالب يعنون بالقدماء اكثر من معاصريهم ، ولا بد لتثبيت صورة الحياة الادبية فى عصر من العصور من أن ينهض بصنعها أحد ابنائه ، قبل ان يأكل النسيان جوانب ذلك العصر ويغطى بصدئه على كثير من ملامح الحياة فيه ." (٣)

لقد بذل الثعالبى قصارى جهده فى تقصى الظواهر الادبية ودراسة الدواعى والمسببات والربط بين هذا وذاك ، ليخرج بمنهج متكامل يضعه قيد التطبيق فى كتابه هذا وينال الكتاب من القبول فى حياة صاحبه وبعد وفاته مايجعله رائد المؤلفين فى تاريخ الأدب والنقد الأدبى . وقد لاقت طريقة الثعالبى التى اقتصرت على دراسة المحدثين والعصريين من الشعراء قبولا لدى عدد من الادباء والمصنفين الذين جاءوا بعده ، لأن المنهج الذى بنى عليه اليتيمة يدل على موقفه من أثر الزمان فى

(١) المصدر نفسه ص٢٥٣ (٢) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ٦٠
(٣) نظرة تاريخية فى حركة التأليف ١٦٦

الشعر ، فحاول الادباء أن ينسجوا على منواله ،فكان لنا من جراء ذلك عدد من المصنفات تؤلف وكتاب اليتيمة سلسلة متتابعة الحلقات.

وقد ذكر ابن خلكان ان اليتيمة ذيل على كتاب" البارع " لهارون بن على المنجم[1] وتابعه حاجي خليفه[2] الذى ذكر ذيولا للبارع ويمكننا عدها ذيولا لليتيمة : وتابعه ايضا طاش كبرى زادة حين عد كتاب(البارع) الأصل الذى نسجوا على منواله وقال " من التواريخ (كتاب البارع) لأبى عبد الله هارون بن على بن يحيى بن منصور المنجم البغدادى الأديب الفاضل . كان حافظا ، رواية للاشعار ، حسن المنادمة ، لطيف المجالسة ، صنف كتاب البارع فى اخبار الشعراء المولدين ، وجمع ١٦١ شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد وختم بمحمد بن عبد الملك بن صالح وهو من الكتب النفيسة ،فانه يغني عن دواوين الجماعة الذين مر ذكرهم ،فانه فحص اشعارهم ، واثبت منها زبدتها وترك زبدها ،وهذا الكتاب اصل نسجوا على منواله "[3]

ومن المحدثين الاستاذ مصطفى صادق الرافعى حين قال : " وأما كتب التراجم التى تجمع بين التاريخ والخبر وبعض المختارات ، فهى ما زالت تتصل مع الزمان ،لم تنقطع الا فى القرن الثالث عشر وأول ما وضع منها كتاب البارع فى اخبار الشعراء المولدين لهرون بن على المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ جمع فيه ١٦١ شاعرا ، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح . وهذا الكتاب هو الأصل الذى احتذاه من جاء بعده ،فذيل عليه ابو منصور الثعالبى سنة ٤٢٩هـ بكتابه يتيمة الدهر الشهير — ويذكر الرافعى الذين صنفوا ذيولا لليتيمة وهم الباخرزي وابو الحسن بن زيد البيهى والوراق الخضيرى وعماد الدين الكاتب الاصفهانى وياقوت الحموى فى كتابيه معجم الشعراء ومعجم الادباء ثم ابن خلكان فى وفيات الاعيان والكتبى فى فوات الوفيات ثم صلاح الدين الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات "[4]

أما الدكتور مصطفى الشكعة فقد وضع كتاب(البارع) على رأس قائمة كتب طبقات الشعراء ورتبهم حسب التدرج الزمنى والموضوعى[5] :

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ١٩٤ (٢) كشف الظنون ٢٠٩٤
(٣) مفتاح السعادة ١ : ٢٦١، ٢٦٢ (٤) تاريخ اداب العرب ٣ : ٣٦١، ٣٦٢
(٥) مناهج التأليف عند العلماء العرب(قسم الأدب) ص٤٤٥

١ــ هارون المنجم	(البارع)
٢ــ ابن المعتز	(طبقات الشعراء)
٣ــ ابن الجراح	(الورقة)
٤ــ الثعالبى	(يتيمة الدهر)
٥ــ الباخرزى	(دمية القصر)
٦ــ الحظيرى	(زينة العصر)
٧ــ العماد الاصفهانى	(خريدة القصر)
٨ــ الخفاجي	(ريحانة الألبا)
٩ــ المحبى	(نفخة الريحانة)
١٠ــ ابن معصوم	(سلافة العصر)

ولكن الدكتور امجد الطرابلسى يذكر أن ابن المعتز أسبق الادباء الى العناية بالشعراء المحدثين والمعاصرين فيقول : " لا يفوتنا هنا أن نذكر أن الثعالبى لم يكن اسبق المصنفين الى الاهتمام بالشعراء المحدثين والمعاصرين . ولعل ابن المعتز اسبق الادباء الى العناية بهم حين الف كتابه (طبقات الشعراء المحدثين) فى اواخر القرن الهجرى الثالث " (1) ان ماذكره ابن خلكان والذين تابعوه من أن اليتيمة ذيل على كتاب البارع يعتمد على اهتمامهما (البارع واليتيمه) بتراجم المحدثين " ولكن اليتيمة خالفت البارع فى المنهج ، اذ أنها أول كتاب تراجم قائم على التقسيم البيئى ، ولهذا يصح ان نعدها اصلا ، ونعد الكتب التى عدها حاجي خليفه ذيولا للبارع ذيولا لليتيمة نفسها . " (2)

وهكذا يمكننا أن نضع قائمة بالكتب التى جاءت بعد اليتيمة وهى فعلا ذيول عليها :

أولا : تتمة اليتيمة : لمؤلف الكتاب نفسه كتبه بعد اليتيمة بما يقرب من عشرين عاما . وقد مر ذكره ضمن مؤلفات الثعالبى العامة .

ثانيا : دمية القصر وعصرة اهل العصر : لأبى الحسن الباخرزى تلميذ الثعالبى والباخرزى (نسبة الى باخرز ناحية من نواحي نيسابور): أحد الشعراء الادباء

(1) نظرة تاريخية فى حركة التأليف .. ١ : ١٦٢ و ١٦٣ (2) الثعالبى ناقدا واديبا ٩٥

في القرن الهجري الخامس قتل سنة ٤٦٧ هـ في مجلس أنس وكتابه هـــذا يحتوي على تراجم عدد كبير من شعراء أواخر القرن الرابع واوائل القـــرن الخامس وقد نشرت الدمية في حلب سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٣٠ م بتحقيق محمد راغب الطباخ ، والكتاب مقسم الى أقسام بحسب اقاليم الممالك الاسلاميـــة على طريقة تشبه طريقة الثعالبي الى حد كبير .

ثالثا : وشاح الدمية :

لأبي الحسن علي بن زيد البيهي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .

رابعا : زينة الدهر في لطائف شعراء العصر :

لأبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الخطيري البغدادي . المعروف بالوراق (دلال الكتب) وكان هذا اديبا وشاعرا رقيق الشعر توفي سنة ٥٦٨ جمع فيه كثيرا من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لكل واحد منهم طرفا من أحواله وشيئا من شعره .

خامسا : خريدة القصر وجريدة العصر :

لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصبهاني كاتـــب صلاح الدين الايوبي ، مؤرخ وأديب وشاعر معروف ولد في اصبهان سنـــة ٥١٩ هـ وتوفي في دمشق سنة ٥٩٧ هـ وكان كتابه المشهور (الخريـــدة) مخطوطا الى أن قريب وفي عام ١٩٥٢ م طبع القسم المتعلق منه بشعراء مصر في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في جزأين ، وأشرف علـى نشر هذا القسم الاساتذة احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس .

ويقوم الآن المجمع العلمي العربي بدمشق بنشر القسم المتعلق منـــه بشعراء الشام باشراف الدكتور شكري فيصل .

ويبدو أن العماد نفسه ذيل الخريدة بكتابه (السيل على الذيل) .

سادسا : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

لأبي الحسن بن بسام الشنتريني الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ جعله

ذيلا ليتيمة الدهر.

سابعا : ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا :

للقاضي أبي العباسي احمد بن محمد الملقب بشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ وقد اختار في كتابه لشعراء الشام ومصر والمغرب وجزيرة العرب .

ثامنا : نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة :

للمحبي صاحب خلاصة الأثر المتوفى سنة ١١١١ ذلك أنه نظر في الريحانة فوجد بعض النقص وبعض الاغفال ، فذيلها بالنفحة .

تاسعا : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: لعلي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم وقد أخذ على الخفاجي اهماله جماعة من مجيدي الشعراء ومفيدي البلغاء والتمس له العذر ببعد دياره عن ديارهم وان الليالي لم تأته بأسمائهم ، فاستدرك عليه مافاته بتأليف (السلافة) وسلك فيها سبيل يتيمة الدهر ودمية القصر وغيرهما من الكتب المقصورة على هذا الغرض.

لقد صرح بعض مؤلفي هذه الكتب بانهم نسجوا على منوال يتيمة الدهر منهم الباخرزي (١) وابن بسام (٢) والعماد الاصبهاني (٣) ، فلو كانت كتبهم ذيولا للبارع لأشاروا الى ذلك.

ومن قال بأن اليتيمة ذيل للبارع بنى قوله على التشابه بينهما بدراسة المحدثين وذلك لا يعد دليلا قاطعا على حكمهم ، " والا وجب أن نعد البارع ذيلا على كتاب " الروضة " للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، ووجب أن نضيف (طبقات)الشعراء المحدثين " لابن المعتز المقتول سنة ٢٩٦ هـ الى قائمة الذيول . " (٤)

هذا وقد لمس الثعالبي معالم الابتكار في كتابه ورأى الركبان تسير به الى اقاصي البلدان فتحدث عنه مفتخرا فقال : " وأنا لا أحب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين يتداولون حتى يصير من أنفس ماتشح عليه أنفس ادباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى اقاصي البلدان " (٥)

---

(١) دمية القصر ١ : ١١٨ (٢) الذخيرة القسم الأول / المجلد الأول ٢٠ — ٢٣
(٣) خريدة القصر/القسم العراقي ١ : ٥ (٤) الثعالبي ناقدا واديبا ٩٠ (٥) اليتيمة ١ : ١٨

مكانة اليتيمة الادبية وآراء النقاد فيها :

لم يكن الثعالبي هو الوحيد الذى حدثنا عن قيمة كتابه حين لمس الشهرة التى طارت له ، فقد ذكر ياقوت الحموي [١] أنه رأى نسخة من اليتيمة بيعت بثلاثين دينارا نيسابورية وتحدث باعجاب بالغ عن بعض تراجم اليتيمة . وتابعه على ذلك ابن خلكان [٢] والسبكي [٣] .

أما ابن قاضي شهبة [٤] فيقول : " وكتابه يتيمة الدهر (وتتمة اليتيمة) [٥] من أحسن تصانيفه وقد اشتهرت كثيرا ولابن قلاقس عدة مقاطع فيها منها :

كتاب اشعار اليتيمة * ابكار افكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمة

ويقول أيضا :

حفظ اليتيمة كل من * فى شرقها والمغرب

فشدوت من عجب بها * كم لليتيمة من أب

وقوله :

كتب القريض لآلى * نظمت على جيد الوجود

فضل اليتيمة فيهم * فضل اليتيمة فى العقود

ولم يقتصر الاعجاب باليتيمة على القدماء وحدهم ، فقد اكثر من جاء بعدهم من الحديث عنها والاعجاب بها ، فيذكرون تصانيف الثعالبي الكثيرة ويفضلون اليتيمة بقولهم " ويتيمة الدهر اكبر كتبه واحسنها وفيها يقول ابو الفتح نصر الله بن قلاقس الاسكندراني " أبيات اشعار اليتيمة ... الخ "

ذكر هذا كل من الدميرى [٦] والحافظ بن كثير [٧] ويعلق محمد كرد على [٨] قائلا :

---

(١) معجم الادباء ١ : ٩٥ر٦ : ٤١ (٢) وفيات الاعيان ١ : ٤٥٤ر٣ : ٥٨ر٤ : ٦٣٦

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٢ر٩ : ٤٥

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ أما الصفدى فقد ذكر الشعر وقال (أبيات) بدلا

(٥) وجدتها كذلك فى المخطوطة المصورة لطبقات النحاة وهذه زائدة .

(٦) حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٧٩ (٧) البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ (٨) كنوز الاجداد ٢٣٣

" وماجود الثعالبي هذه الاجادة النادرة في تأليف اليتيمة الا لأنه تصدى لتصنيفها والصمر في اقباله ،ثم تعاورها بالزيادة والنقص الى أوان نضجه واكتماله "

أما الدكتور أحمد مطلوب فقال : " ووقف أحد الادباء الى جانب المتنبي وأنصفه كما انصفه ابن جني ، وذلك الأديب هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الذي وجد الناس قد شرقوا وغربوا في ذكره فمن مادح يرفعه الى السماء وقادح ينزله الى الحضيض ، وقرأ ماكتب عن شعره ونقده ، فحاول أن يقف موقفا وسطا يوفق بين محاسنه ومساويه ، وكانت دراسته في يتيمة الدهر من أروع ماكتب عن المتنبي واكثر الدراسات تفصيلا " (١)

وهكذا تنطوي اليتيمة على مادة ادبية وافية مما جعل الكتاب والادباء يعتمدون عليها في تواليفهم فمثلا " كتب محمد صدر الدين مؤلفا حديثا عنوانه " سيف الدولة وزمنه " لاهور سنة ١٩٣٠ م ... فصل خصه بالمتنبي ، نجد منه سلسلة من النظرات الاجمالية التي تعتمد على دراسات القرون الوسطى ، وبخاصة يتيمة الدهر للثعالبي . " (٢) " وأخذ الشاعر الاديب يوسف البديعي عن كتاب اليتيمة ،في كتابه الذي سماه " الصبح المنبي عن حيثية المتنبي " ، نجد ان قيمة هذا الكتاب عظيمة ،وفي الحقيقة أنه الى جانب الاجزاء التي اخذت من المؤلفات المعروفة كيتيمة الدهر للثعالبي والوساطة للجرجاني وغيرها " (٣) ويقول بلاشير " في هذا العام نفسه ظهرت دراسة تدل على مجهود عظيم للوصول الى تقدير ديوان المتنبي ،ولم يستعن الكاتب بشرح ،بل بكتاب مؤلف شرقي هو " الثعالبي " ،فتحت عنوان (المتنبي وسيف الدولة) ترجم في الحقيقة فصل هذا المؤرخ في " اليتيمة " وأتمه بما وصل اليه المستشرقون " (٤)

وهنا نري مقدار صدق ماجاء على لسان الاستاذ حسن الأمين في تقديمه كتاب خاص الخاص حين قال " اليتيمة من اشهر الكتب واكثرها فائدة ،وهو مصدر من أهم مصادر الأدب القديم ، ومرجع لكل من يريد البحث والدرس " (٥) ولشمول مادة اليتيمة

---

(١) اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ٢٧١، ٢٧٢

(٢) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين / بلاشير — ترجمة احمد بدوي ٨١

(٣) المصدر السابق ٣٩ (٤) المصدر السابق ٩٥ (٥) خاص الخاص/تقديم حسن الامين ٥

فان الدارس أو الباحث اذا أراد شيئا عن بيئة الثعالبي وعصره ، وجد كل عناصر بحثه مهيئة ، وكذلك اذا أراد أن يدرس الشعراء من ابناء فارس الذين مهروا في قرض الشعر العربي على اختلاف بيئاتهم التي نشأوا فيها وجد كل هذا في اليتيمة يقول الدكتور احمد الخوفي : " وحسبنا أن نردد النظر في (يتيمة الدهر للثعالبي) لنتعرف عشرات من ابناء الفرس مهروا في قرض الشعر العربي ، نشأ بعضهم في ظلال الدولة البويهية في بغداد والعراق وأواسط فارس ، ونشأ بعضهم في ظلال الدولة الزيارية بطبرستان ، وعاش آخرون في رعاية الدولة الساسانية بخوارزم وخراسان ، "(١)

ولدى تقسيم الثعالبي الشعراء على حسب اقاليمهم ومناطق بلادهم يكون قد ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل لأنه استطاع ان يربط بين الأدب وبيئته ، يقول الدكتور عمر الدقاق : " أما كتابه " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " فيتمتع بمنزلة خاصة بين كتب الادب والتراجم ، وما ذلك الا لتميزه عن سائر الكتب في موضوعه في عدد من الخصائص التي انفرد بها ، وأول مايمتاز به الثعالبي في يتيمة الدهر أنه ابتدع منهجا جديدا لم يسبقه اليه أحد من قبل ، فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وهذا التناول في الحقيقة أقرب الى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعا لترتيب اسمائهم أو غير ذلك ، لأن صاحب اليتيمة استطاع في كتابه أن يربط بين الاديب وبيئته ، وهذا مايجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد في عصرنا هذا ، "(٢)

وكانت اليتيمة مصدرا يكاد ينفرد بدقته العلمية في تراجم ادباء القرن الرابع للهجرة فلو ضاعت لخسر الأدب كثيرا ويؤيد قولنا ماذهب اليه الدكتور زكي مبارك حين قال : " من الذي يستطيع ان يحدد خسارة الأدب لو ضاعت اليتيمة أو ثمار القلوب ، "(٣)

وقد لاحظ الدكتور مصطفى الشكعة اهمية اليتيمة وشمولها فقال : " اليتيمة تعتبر اولى طبقات الشعراء ذات الصفة الموسوعية "(٤) وقال ايضا : " أن كتاب اليتيمة قد قارب حد الشمول في ترجمة شعراء القرن الرابع ... هذا ولا تزال اليتيمة بأجزائها

---

(١) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ٢٠٠ (٢) مصادر التراث العربي ١٥٦
(٣) النثر الفني ٢ : ١٧٩ (٤) مناهج التأليف عند العلماء العرب ٤٤٨

الاربعة الثمينة ، العمدة لكل من يرغب في تثقيف نفسه في ادبنا في القرن الرابع الهجري ، وقد اعجب بها الادباء والباحثون قديما وحديثا مما جعل أبا الفتح الاسكندري يقول فيها : أبيات اشعار اليتيمة ... " (١)

— ٢ —

وليس معنى كل هذا أن اليتيمة لا مآخذ عليها فشأنها شأن أي عمل عظيم لا يمكن أن يبلغ درجة الكمال لكن حسبها أن قاربته .

فمما أخذ عليها ماذكره الدكتور زكي مبارك بحد الاطراء الذي سمعناه منه على الكتاب نفسه حيث يقول : " من أقتل عيوب اليتيمة اغفال الوفيات ، فقد يندر أن يذكر مؤلفه في أي عام مات من يحدثنا عنه ، وفي أي عهد لقيه ؟ ولو أن الثعالبي عني بتدوين الوفيات لأدى لتاريخ الأدب حقا من أوجب الحقوق " (٢)

وقد لاحظ ذلك جرجي زيدان حيث يقول : " وينتقد على مؤلفه — كتاب اليتيمة أنه اغفل الوفيات فيندر أن يذكر سنة الوفاة أو الولادة وانما هو مقصور على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الأخبار . " (٣)

وانطلق الدكتور طه حسين من هذا المنطلق في تقديمه لكتاب (الذخيرة) فأشار الى عدم دراسة الثعالبي حياة من وردت تراجمهم في اليتيمة لبيان اثرها في أدبهم ونعى على الثعالبي اكتفاءه بالاطراء الذي لا غناء فيه بعد أن نعت مؤلف الذخيرة بالسذاجة لأنه صرح بأن جعل أبا منصور الثعالبي قدوة له في تأليفه للذخيرة " (٤)

ويبدو أن هؤلاء الذين عابوا على اليتيمة اغفالها الوفيات ودراسة حياة من ترجم لهم صاحب اليتيمة ينظرون اليها وكأنها كتاب في تاريخ الأدب لكنها ليست كذلك بقدر ماهي كتاب في الادب نفسه ، ثم ان المؤلف ذكر في يتيمته تراجم شعراء عصره أي شعراء القرن الرابع الهجري ، فحصر من ترجم لهم سنوات محددة ومعدودة ، فليس منهم من عاش في الجاهلية أو في صدر الاسلام حتى يكون من الواجب عليه أن يحدد تاريخ وفاته . وهذا هو مايشفع للثعالبي في هذا التقصير الذي أخذ عليه .

---

(١) المصدر السابق ٤٤٩ (٢) النثر الفني ٢ : ١٩٠
(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ : ٣٢٠
(٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة / مقدمة المحقق ج

ونرى بعض الادباء عند مقارنة (الذخيرة) باليتيمة يمدحون اليتيمة تـــارة ويعيبونها تارة أخرى ، من أمثال الدكتور طه حسين والاستاذ على أدهم . وقد مر بنا ماقاله طه حسين ، أما على أدهم فيقول : " وظاهر من طريقة تنسيق كتـــاب الذخيرة ، ومن بعض عباراته الصريحة ، واشاراته الواضحة أن المؤلف قد اتخـــذ الثعالبى صاحب اليتيمة قدوة له واماما فجرى على خطته ، وسار على منهجه ، واصطنع السجع كما اصطنعه الثعالبى ، واحتفل وتأنق فى تقديم الكتاب والشعراء ، والاشارة الى محاسنهم ، والتنويه ببراعتهم احتفال الثعالبى وتأنقه فى الحديث عن شعـــراء اليتيمة وكتابها والاشادة بذكرهم ، وقد كان الثعالبى مؤلفا بارعا له كتب كثيرة فـــى موضوعات مختلفة جزيلة الفائدة ، تدل على تمكنه ، وتنم على حياة اوقفت على البحث والتصنيف ، . وأما ابن بسام فانى لا أعرف له غير كتاب الذخيرة ، والظاهر أنه استغرق جهده ، واستأثر بوقته .... ويبدو لى أن الثعالبى كان على فضله وعلمه وسعـــة اطلاعه اكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام ، وانه كثيرا مايخدعه البهرج ، ويحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، وأما ابن بسام فانه نافذ النظر ، سليم الذوق ، بارع الناقدة ، دقيق الملاحظة ، لا يخدعه الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الألفاظ الضخمة المدوية أو الطنطنة العالية . " (١)

وقد سبق لى التعليق على رأى طه حسين عندما فضل ابن بسام فى ذخيرتـــه على الثعالبى فى يتيمته لا لشىء الا ان الثعالبى اكثر خضوعا لأحكام القدماء ، أما ابن بسام فقدها جم الشعر الجاهلى ، فأصبح نافذ النظر ، سليم الذوق عند كل مـــن طه حسين وعلى أدهم ، على أنه لا تجوز المقارنة بين اليتيمة والذخيرة التى ألفـــت بعدها بمائة وخمسين سنة ، فقد كان لهذه المدة الطويلة اثرها فى تطور التأليـــف وكفى الثعالبى فخرا أنه مهد الطريق أمام ابن بسام وغير ابن بسام لدراسة الادب من خلال دراسة البيئة .

ومن المآخذ على الثعالبى ميله الى الالفاظ الضخمة والطنطنة العالية وتفضيلـه السجع والعبارات الرنانة على التحليل النفسى للشاعر : كما يقول الاستاذ احمد امين : " والكتاب ــ (يعنى اليتيمة) ــ مملوء بتراجم الشعراء فى كل عصر ، ولكنه مع الأســـف

---

(١) بعض مؤرخى الاسلام ٩٩

عنى بالبديع اللفظى اكثر من عنايته بالتحليل النفسى "(١)

أما مايؤخذ عليه من تفضيله السجع فشفيع الثعالبى ان السجع كان طابع النثر الأول فى القرن الرابع حيث كان الكتاب يلتزمونه التزاما ، وسجع الثعالبى فى اليتيمة على كل حال مقبول "(٢)

وأما مااخذ عليه من قلة العناية بالتحليل النفسى فالاستاذ احمد امين نفسه يتدارك الأمر بعد أن يأسف على عناية الثعالبى بالبديع اللفظى اكثر من عنايته بالتحليل النفسى فيقول: "وعلى كل حال عنى شعراء هذا العصر بالتشبيهات والاستعارات اكثر مما عنوا بجدة المعنى "(٣)

ومن المآخذ ماذكره الاستاذ حنا فاخورى الذى قال: "أما طريقته فقد نزع فيها نزعة الايجاز واقتصر فى اكثر الاحيان على ذكر مقام الشاعر الادبى فى اسلوب مسجع ،وعلى ايراد بعض شعره "(٤)

ويبدو لى أن الاستاذ حنا نسى أو تناسى أن الثعالبى قام بجهد جبار فى ترجمته لحشد ضخم لا يستهان به من الشعراء والكتاب المغمورين فاوجز ترجمتهم ولكن ذلك لم يمنعه من تناول المشهورين من الادباء بالشرح المستفيض والدراسة الطويلة فقد دونت عدد الصفحات التى كتبها عن كل من هؤلاء المشهورين ومن المآخذ على اليتيمة ماقاله كل من الدكتور زكى مبارك والدكتور الغناوى الزهيرى حيث قال زكى مبارك: "الثعالبى فى اليتيمة مفتون بالاسراف فى اطراء من يتحدث عنهم من مشاهير الرجال . وله فى ذلك تعابير تكاد تكون واحدة يدور بها هنا وهناك فأبو على الزوزنى الكاتب "يغرس الدر فى أرض القراطيس ،وينشر عليه أجنحة الطواويس . " وابو الفرج الببغاء " ظرف الظرف ،وينبوع اللطف ،له كلام ، بل مدام ، بل نظام من الياقوت بل حب الغمام " وأبو القاسم الاسكافى .

" لسان خراسان وغرتها وعينها وواحدها ، وأوحدها فى الكتابة والبلاغة ومن لم تخرج

---

(١) ظهر الاسلام ٢ : ١٠٢
(٢) النثر الفنى ٢ : ١٨٧
(٣) ظهر الاسلام ٢ : ١٠٢
(٤) تاريخ الأدب العربى ٧٥٤

مثله فى البراعة والصناعة ، " وبديع الزمان " نادرة الفلك ،وفرد الدهر ،وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره فى ذكاء القريحة ،وسرعة الخاطر ،وشرف الطبع ،وصفاء الذهن ، وقوة النفس " وعبد الرحمن الشيرازى " روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب " (١)

وقال الدكتور الغناوى الزهيرى : " أوصاف الشعراء والكتاب فى كتاب كاليتيمة قد تشابهت والتبست وعميت لأن المؤلف أسرف فى اسجاعه ومبالغاته واستعاراته ومجازاته فكان من أجل ذلك اكثر ادباء اليتيمة : افرادا ودررا وصدورا وغررا ونوادر ، فابن العميد : "عين المشرق ، وأوحد العصر فى الكتابة ، والضارب فى الأداب بالسهام الفائزة " والصاحب بن عباد : " صدر المشرق وتاريخ المجد وغرة الزمان ، ونادرة عطارد فى البلاغة " والجرجانى : " فرد الزمان ونادرة الفلك ودرة تاج الأدب ،وفارس عسكر الشعر ، " والهمذانى " نادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر " والخوارزمى : " باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النظم والنثر ، " وعلى هذا النحو يمضى فى سرد تراجم الكتاب والشعراء فى كتابه " (٢)

أما ان الثعالبى مفتون بالاسراف فى اطراء من يتحدث عنهم من مشاهير الرجال فشأنه فى ذلك شأن معظم كتاب عصره الذين ترجم لهم فى يتيمته ، فلا غرو أن يسرى هذا الذوق الى المؤلفين فيسيطر على لغة التأليف ، كما رأينا فى هذا الكتاب حيث كان المؤلفون ينحون فى كتبهم نحو الادباء فى كتاباتهم من حيث العناية بالحلية اللفظية والمبالغات .

" ومع أن الثعالبى يميل الى الطنطنة فى التعريف بالكتاب والشعراء ،فانه لا يلتزم هذه الخطة ،وانما يعود اليها فى الحين بعد الحين ، " (٣)

بقى علينا أن تشير الى مأخذ آخر للدكتور مصطفى الشكعة عندما لاحظ " تقصير الثعالبى فى اغفاله بعض الاعيان وهكذا تبقى اليتيمة مع كل ما قيل فيها العمدة لكل أديب وباحث ،وهى خير ما وصل الينا من كتب تراجم الادباء من حيث منهجها وشمولها وفائدتها لكل من يدرس الأدب منذ تأليفها الى يومنا هذا ،

---

(١) النثر الفنى ٢ : ١٨٨ (٢) الأدب فى ظل بنى بويه ٢٥٣

(٣) النثر الفنى ٢ : ١٨٩

:: خاتمة البحـــث ::

هكذا درست الثعالبى ، وعشت معه ، وصحبته فى هذه الرحلة التى يمكن أن الخصها وابرز نتائجها فيما يلى :

أولا : صورت عصره تصويرا سياسيا واجتماعيا وثقافيا وربطت بين ظروف هذا العصر وأدب الثعالبى .

ثانيا : كشفت عن حياته وثقافته ومواهبه ، وحققت تاريخ وفاته من بين شتى الروايات المختلفة ، ورجعت الى مصادر ثقافته ، واستظهرت عوامل نبوغه .

ثالثا : جمعت المتفرق من شعره فى شتى المصادر والمراجع ، وصنفته وقومتـــــه تقويما فنيا مبينا خصائصه التعبيرية والأدبية معتمدا فى ذلك على اجتهادى الخاص ، وتذوقى لهذا الشعر .

رابعا : تتبعت كتابته النثرية فى مؤلفاته ورسائله وعرضت نماذج متعددة منها مبينـــا اغراض نثره ، ثم قومت هذا النثر على اختلاف فنونه تقويما فنيا موضحا خصائصه وطرائقه بحيث اكدت ماقيل عنه بحق (انه جاحظ نيسابور .)

خامسا : درست آراءه النقدية دراسة تفصيلية مستوعبة ، وكشفت فيها عن القضايـــــا النقدية التى تعرض لها ، وعن آرائه فى الادباء والشعراء ونقده لهم مثل المتنبى والسرى الرفاء والصاحب بن عباد وغيرهم .

وبسطت القول فى ذلك بسطا وافيا مدعما بالأمثلة والشواهد الكثيرة .

سادسا : عرضت لآراء النقاد قديما وحديثا فى الثعالبى ، وموقفهم من أدبه و نقده ، وناقشت آراءهم ، ووقفت كثيرا عند كل رأى واستوعبت كل ماقاله النقاد فيـــه مدحا أو ذما ، بحيث كان هذا الفصل صورة كاملة لكل مادار حول الثعالـــبى من آراء ودراسات ، تصور لنا مكانته الادبية والنقدية .

سابعا : عرضت لمؤلفات الثعالبى بصفة عامة ، متتبعا لكل المصادر التى ذكرت اسمـاء مؤلفاته ، واستخلصت من ذلك كله عدد هذه المؤلفات التى اختلف المؤرخـون

حول اسمائها وعددها •

ثامنا : خصصت أشهر مؤلفات الثعالبى فى الأدب بدراسات مستفيضة وافية مثل كتاب خاص الخاص ، وكتاب لطائف المعارف ، وكتاب التمثيل والمحاضرة ، وكتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، وكتاب يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر • حيث حققت اسم كل كتاب ومخطوطاته ومطبوعاته ، واوضحت موضوعه وفصلت أبوابه وفصوله ، وكشفت عن منهج الثعالبى فيه مستعينا بالأمثلة والشواهد الكثيرة التى تضمنها كل كتاب ، وموضحا آراء النقاد فيه مع مناقشتى لهذه الآراء ، مما يعطى صورة كاملة واضحة عن كل كتاب من هذه الكتب وقيمته الادبية وماتضمنه من موضوعات •

تاسعا : على هذا النحو درست الثعالبى من كل جوانبه وأوضحت شخصية هذا الكاتب الشاعر الناقد الفذ الذى يعد ذخيرة من ذخائر تراثنا الأدبى ، ويستطيع القارئ أن يلمس بنفسه مابذلته من جهد ، وماعانيته من مشقة فى الرجوع الى مصادره الكثيرة ، وفى جمع تراثه العظيم ، وفى دراستى الشخصية لأدبه وتقويمه ، وفى مناقشتى لكل رأى مناقشة تقوم على التجرد والاستقلال ، وفى استيعابى لكل ماأثير حوله من نقد وما دار من آراء •

ولعلى بهذا قد وفقت الى اضافة جديدة الى تراثنا العربى فى مجال الدراسات الأدبية • وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب •

* * *

:: فهـــرس المراجع ::

١ — اتجاهات النقد الادبى فى القرن الرابع للهجرة — الدكتور أحمد مطلوب — وكالة المطبوعات — الكويت — ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

٢ — اجناس التجنيس — الثعالبى — (مخطوط) ضمن مجموع خطى برقم (٣٦٣) فى مكتبة الاسكوريال .

٣ — أحسن ماسمعت — الثعالبى — تصحيح محمد صادق عنبر — مطبعة الجمهور القاهرة — ١٣٠٤ هـ .

٤ — احكام صنعة الكلام — الكلاعى (القرن السادس الهجرى) — تحقيق محمد رضوان الداية — مطبعة الثقافة — بيروت — ١٩٦٦ م .

٥ — الادب فى ظل بنى بويه — الدكتور محمود غناوى الزهيرى — مطبعة الامانة مصر — ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٩م .

٦ — ارشاد الاريب الى معرفة الاديب — ياقوت الرومى — (٦٢٦ هـ) — مطبعة هندية بالموسكى — مصر — ١٩٢٣م .

٧ — الاعجاز والايجاز — الثعالبى — تقديم اسكندر آصاف — مكتبة دار البيان بغداد ودار صعب — بيروت .

٨ — الاعلام — خير الدين الزركلى — مطبعة كوستاتوماس — القاهرة ١٩٥٩ م .

٩ — الاقتباس من القرآن الكريم — الثعالبى — (مخطوط) بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مصورة عن نسخة (سليم أغا ١١٢) .

١٠ — اكتفاء القنوع بما هو مطبوع — جمعه ادوارد فنديك — صححه السيد محمد البيلاوى — مطبعة الهلال — القاهرة ١٨٩٦ م .

١١ — الامثال — الثعالبى — مطبعة دار الكتب العربية الكبرى — مصر — ١٣٢٧ هـ .

١٢ — الانساب — السمعانى (٥٦٢ هـ) تصحيح الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلى العثمانية — حيدر أباد — ط ١ — ١٣٨٣ هـ .

١٣ — أنوار الربيع فى أنواع البديع — على صدر الدين بن معصوم المدنى — تحقيق شاكر هادى شاكر — مطبعة النعمان — النجف — العراق ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

١٤ ـ ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ـ اسماعيل البغدادى ـ مطبعة وكالة المعارف ـ استنبول ـ ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥م .

١٥ ـ البداية والنهاية ـ الحافظ بن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٦٦م .

١٦ ـ بديع القرآن ـ ابن ابى الاصبع المصرى (٦٣٥ هـ) تحقيق حفنى محمد شرف ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٧م .

١٧ ـ برد الاكباد فى الاعداء ـ الثعالبى ـ ضمن مجموعة (خمس رسائل) ـ مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ١٣٠١ هـ .

١٨ ـ بعض مؤرخى الاسلام ـ على أدهم ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة (بدون تاريخ)

١٩ ـ تاريخ آداب العرب ـ مصطفى صادق الرافعى ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م .

٢٠ ـ تاريخ أداب اللغة العربية ـ جرجى زيدان ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٧م .

٢١ ـ تاريخ الادب العربى ـ حنا فا خورى ـ المطبعة البوليسية ـ ١٩٥١م .

٢٢ ـ تاريخ الادب العربى ـ الاعصر العباسية ـ الدكتور عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

٢٣ ـ تاريخ الادب العباسى : رينولد (أ) نكلسون ـ ترجمة صفاء خلوصى ـ بغداد ـ المكتبة الاهلية ١٩٦٧م .

٢٤ ـ تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ـ ادوارد براون ـ ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربى ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٩٥٤م .

٢٥ ـ تاريخ النقد الادبى عند العرب ـ الدكتور احسان عباس ـ مطبعة دار الامانة ومؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م .

٢٦ ـ تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ـ الدكتور محمد زغلول سلام ـ مطبعة دار المعارف ـ مصر (بدون تاريخ) .

٢٧ ـ تتمة اليتيمة ـ الثعالبى ـ تحقيق عباس اقبال ـ مطبعة فردين ـ طهران ـ ١٣٥٣ هـ .

٢٨ — تحسين القبيح وتقبيح الحسن — الثعالبي — (مخطوط) مصور في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (فيض الله ٢١٢٣) ٠

٢٩ — تحفة الوزراء — الثعالبي (مخطوط) — مصور بمكتبة الجامعة المركزية بغداد — برقم (أ ح ١٤٦) عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس (٤٨٢) ٠

٣٠ — التمثيل والمحاضرة — الثعالبي — تحقيق عبد الفتاح الحلو — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه — مصر ١٣٨١ هـ — ١٩٦١م ٠

٣١ — تيارات ثقافية بين العرب والفرس — الدكتور احمد الحوفي — مطبعة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨م ٠

٣٢ — الثعالبي ناقداً أو أديبا — محمود الجادر — دار الرسالة للطباعة — بغداد ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦م ٠

٣٣ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب — الثعالبي — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم — دار نهضة مصر للطبع والنشر — ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥م ٠

٣٤ — الحياة الادبية في الاندلس والعصر العباسي الثاني — الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي — مكتبة الجامعة الازهرية بميدان الازهر الشريف (بدون تاريخ) ٠

٣٥ — حياة الحيوان الكبرى — الدميري (٨٠٨ هـ) — مطبعة المكتبة التجارية الكبرى — مصر — ١٣٩٢ هـ ٠

٣٦ — خاص الخاص — الثعالبي — تصحيح محمود السمكري — مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ ، نسخة أخرى — تقديم حسن الامين — دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦م ٠

٣٧ — خريدة القصر وجريدة العصر — القسم العراقي — عماد الدين الاصبهاني (٥٩٧ هـ) تحقيق محمد بهجة الاثري والدكتور جميل سعيد — مطبعة المجتمع العلمي العراقي ١٩٥٥ و ١٩٦٤م ٠

٣٨ — خزانة الادب ولب لباب لسان العرب — عبد القادر بن عمر البغدادي — القاهرة مطبعة بولاق ١٢٢٩ هـ ٠

٣٩ - دائرة المعارف الاسلامية - مترجمة - مراجعة وزارة المعارف العمومية - مصر ١٩٣٣م ٠

٤٠ - دراسات في فقه اللغة - الدكتور صبحي الصالح - مطبعة المكتبة الاهلية - بيروت (بدون تاريخ) ٠

٤١ - دمية القصر وعصرة أهل العصر - الباخرزي - مطبعة دار الفكر العربي - تحقيق عبد الفتاح الحلو ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م ٠ ونسخة ثانية شرح الطباخ ٠

٤٢ - ديوان الصاحب بن عباد - تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - مطبعة المعارف - بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م ٠

٤٣ - ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين - بلاشير - ترجمة أحمد أحمد بدوي - ط ١ - مطبعة نهضة مصر - (بدون تاريخ) ٠

٤٤ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - ابن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) - تحقيق لجنة برئاسة الدكتور طه حسين ٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م ٠

٤٥ - ذيل زهر الاداب - لابي اسحق الحصري - مطبعة الرحمانية - مصر - (بدون تاريخ) ٠

٤٦ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات - محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني (١٣١٣ هـ) تحقيق أسد الله اسماعيليان - مطبعة مهر استوار طهران - ١٣٩٢ هـ ٠

٤٧ - ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا - شهاب الدين أحمد الخفاجي - القاهرة المطبعة العثمانية ١٣٠٦ هـ ٠

٤٨ - زهر الآداب - لابي اسحاق الحصري - ط ٤ - مطبعة دار الجيل - بيروت ١٩٧٢م ٠

٤٩ - سجع المنثور - للثعالبي - (مخطوط) - مصور بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (أحمد الثالث ٢٣٣٧) ٠

٥٠ - سحر البلاغة وسر البراعة - للثعالبي - تحقيق أحمد عبيد - ط ١ - مطبعة

الترقى ـ دمشق ـ (بدون تاريخ) ٠

٥١ ـ شذرات الذهب ـ عبد الحى بن العماد الحنبلى ـ مكتبة القدس بجوار الازهر ـ مصر ١٣٥٠ هـ ٠

٥٢ ـ الشعر فى ظل سيف الدولة ـ الدكتور درويش الجندى ـ ط ١ ـ مكتبة الانجلو مصرية ـ ١٩٥٩ م ٠

٥٣ ـ الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ـ الدكتور بدوى طبانة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠

٥٤ ـ صبح الاعشى فى صناعة الانشا ـ القلقشندى ـ (٨٢١ هـ) ـ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ـ كوستاتوماس وشركاه (بدون تاريخ) ٠

٥٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكى (٧٧١ هـ) ـ مصطفى البابى الحلبى ـ مصر ـ ١٩٦٥ م ٠

٥٦ ـ طبقات النحاة واللغويين ـ ابن قاضى شهبة الاسدى ـ (٨٥١ هـ) ـ مخطوط مصور عن نسخة الظاهرية ـ فى قسم المخطوطات ـ بجامعة الكويت ٠

٥٧ ـ ظهر الاسلام ـ أحمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥٢ م ٠

٥٨ ـ العبر فى خبر من غبر ـ الحافظ الذهبى ـ تحقيق فؤاد سيد ـ دائرة المطبوعات والنشر ـ الكويت ـ ١٩٦١ م ٠

٥٩ ـ عيون التواريخ : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى (٦٨١ ـ ٧٦٤ هـ) ٠

٦٠ ـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ـ الثعالبى ـ تقديم مجتبى مينوى ـ مطبعة مكتبة الاسدى ـ طهران ـ ١٩٦٣ م ٠

٦١ ـ فقه اللغة وسر العربية ـ الثعالبى ـ تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ مصر ـ ط ٢ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م ٠

٦٢ ـ فقه اللغة وخصائص العربية ـ محمد المبارك ـ مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٦٤ م ٠

٦٣ — الفن ومذاهبه فى النثر العربى — الدكتور شوقى ضيف — ط ٢ — دار الفد للطباعة والنشر — بيروت ١٩٥٦م .

٦٤ — فهرس المخطوطات المصورة — فؤاد سيد — معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ١٩٥٤م .

٦٥ — فهرس مخطوطات دار الكتب — فؤاد سيد — مطبعة دار الكتب — ١٣٨٠ هـ ١٩٦١م .

٦٦ — فوات الوفيات — لابن شاكر الكتبى (٧٦٤ هـ) — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١م .

٦٧ — الكامل فى التاريخ — ابن الاثير (٦٣٠ هـ) دار صادر — بيروت ١٩٦٦م .

٦٨ — كتاب ابى نصر : تأليف أبى نصر أحمد بن عبد الرازق المقدسى — القاهرة المطبعة الوهبية — ١٢٩٦هـ .

٦٩ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون — حاجى خليفة — مطبعة وكالة المعارف ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١م .

٧٠ — الكناية والتعريض — الثعالبى — دار صعب بيروت — ١٩٧١م — (ضمن رسائل الثعالبى) .

٧١ — كنوز الاجداد — محمد كرد على — مطبعة الترقى — دمشق ١٣٧٠ هـ — ١٩٥٠م .

٧٢ — الكنى والالقاب — الشيخ عباس القمر — مطبعة الحيدرية فى النجف : العراق ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦م .

٧٣ — لطائف المعارف — الثعالبى — تحقيق ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى — دار احياء الكتب العربية — ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م .

٧٤ — اللطائف والظرائف — ابو نصر المقدسى (معاصر الثعالبى) وهو الكتاب الحاصل من جمع كتابين للثعالبى هما (الظرائف واللطائف) و (اليواقيت والمواقيت) فى كتاب واحد — المطبعة الوهبية — مصر ١٢٩٦ هـ .

٧٥ — اللطف واللطائف — الثعالبى (مخطوط) فى مكتبة الاسكوريال ضمن مجموع برقم (٣٦٣) .

٧٦ — المبهج — الثعالبى — مطبعة النجاح — مصر ١٩٠٤م ٠

٧٧ — المتشابه — الثعالبى — تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى — العراق ١٣٨٦هـ

٧٨ — محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : تأليف أبى القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهانى / مطبعة جمعية المعارف ١٢٨٧ هـ ٠

٧٩ — المحافظة والتجديد فى النثر العربى المعاصر فى مائة عام — أنور الجندى مطبعة الرسالة ١٨٤٠ هـ — ١٩٤٠م ٠

٨٠ — المختصر فى اخبار البشر — لابى الفدا — ط ١ — مطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٥ هـ ٠

٨١ — مخطوطات جامعة الرياض المصورة — يحيى ساعاتى وزميلاه — ١٩٧٣م ٠

٨٢ — مرآة المروءات — الثعالبى — على نفقة أحمد أفندى — الترقى — مصر ١٨٩٨م ٠

٨٣ — المراجع العربية و المعربة — عبد الجابر عبد الرحمن — دار الطباعة الحديثة البصرة — ١٩٧٠م ٠

٨٤ — مصادر التراث العربى فى اللغة والمعاجم والادب — الدكتور عمر الدقاق حلب — ١٩٦٨م ٠

٨٥ — معاهد التنصيص — عبد الرحيم العباسى (٩٦٣ هـ) تحقيق ابراهيم الدسوقى دار الطباعة — مصر — ١٢٧٤ هـ ٠

٨٦ — معجم الادباء — ياقوت الحموى الروحى — الطبعة الاخيرة — مطبعة دار المأمون ٠

٨٧ — معجم البلدان — ياقوت الحموى الرومى البغدادى — ط ١ — مطبعة السعادة مصر ١٣٢٣ هـ ١٩٠٦م ٠

٨٨ — معجم المطبوعات العربية والمعربة — يوسف اليان سركيس — مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨م ٠

٨٩ — معجم المؤلفين — عمر رضا كحالة — مطبعة الترقى — دمشق — ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م ٠

٩٠ — مفتاح السعادة ومصباح السيادة — احمد بن مصطفى المشهور بـ(طاشى

كبرى زادة) ـ تحقيق كامل كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ مصر ـ ١٩٦٨م .

٩١ ـ مناهج التاليف عند العلماء العرب ـ قسم الادب ـ الدكتور مصطفى الشكعة دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٣م .

٩٢ ـ مناهج الدراسة الادبية ـ الدكتور شكرى فيصل ـ مطبعة دار الهنا بشارع الصحافة ـ بولاق ـ القاهرة ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣م .

٩٣ ـ المنتحل ـ للثعالبى ـ تصحيح أحمد أبو على ـ المطبعة التجارية ـ الاسكندرية ١٩٠١م .

٩٤ ـ من غاب عنه المطرب ـ للثعالبى ـ تصحيح محمد بن سالم اللبابيدى ـ بيروت ـ المطبعة الادبية ـ ١٣٠٩ هـ .

٩٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ باشراف محمد شفيق غربال ـ دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥ م .

٩٦ ـ النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ـ الدكتور زكى مبارك ـ مطبعة دار الكتب ـ مصر ـ ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤م .

٩٧ ـ نثر النظم وحل العقد ـ للثعالبى ـ دمشق ١٣٠١ هـ . (بالاوفسيت) ، دار صعب ـ بيروت ١٩٧١م .

٩٨ ـ نزهة الالبا : لابى البركات كمال الدين الانبارى (٥٥٧ هـ) مطبعة نهضة مصر (دون تاريخ) .

٩٩ ـ نسيم السحر ـ للثعالبى ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ ونسخة أخرى تحقيق الدكتوره ابتسام مرهون الصفار ـ مجلة المورد ـ العدد الاول والثانى ـ المجلد الاول ١٩٧١م .

١٠٠ ـ نظرات جديدة فى تاريخ الادب ـ أحمد لواسانى ـ بيروت ١٩٧١م .

١٠١ ـ نظرة تاريخية فى حركة التأليف عند العرب ـ الدكتور امجد الطرابلسى مطبعة الجامعة السورية ـ دمشق ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م .

١٠٢ ـ النقد المنهجي عند العرب ـ الدكتور محمد مندور ـ مطبعة نهضة مصر الفجالة ـ القاهرة ١٩٤٨م .

١٠٣ ـ نهاية الارب في فنون الادب ـ شهاب الدين النويرى ـ مطابع كوستا تسوماس وشركاه ـ القاهرة (دون تاريخ) .

١٠٤ ـ هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادى ـ استانبول ١٩٥١م ، أعادت طبعة بالاوفسيت مكتبة المثنى ـ بغداد .

١٠٥ ـ الوافي بالوفيات ـ خليل الصفدى (٧٦٤ هـ) نسخة مكبرة عن ميكروفيلم برقم (٥٦٥ أحمد الثالث) رقم المخطوط ١٩/٢٩٢٠ في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية .

١٠٦ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ الجرجاني ـ (٣٩٢ هـ) تحقيق أبوالفضل ابراهيم ومحمد على البجاوى ـ البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٦٦م .

١٠٧ ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان (٦٨١ هـ) ـ تحقيق الدكتور احسان عباس ـ مطبعة دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨م .

١٠٨ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ الثعالبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م . ودار الفكر بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م . والطبعة الاولى بتحقيق محي الدين) بجامعة الازهر سنة ١٩٤٧م .

١٠٩ ـ اليميني في أخبار السلطان ابى القاسم يمين الدولة محمود بن ناصر الدين ابن منصور سبكتكين تأليف محمد بن عبد الجبار العتبى (٤٢٧ هـ) (تاريخ ٢٨٣٨) في دار الكتب .

* * *

:: المجـــلات ::

١ ـ مجلة كلية الاداب ـ بغداد ـ العدد ١٤ ـ المجلد الثانى ١٩٧٠ ـ ١٩٧١م ٠

٢ ـ مجلة لغة العرب ـ العددان السادس والعاشر لسنة ١٩٢٨م والعـدد الثانى لسنة ١٩٢٩م ٠

٣ ـ مجلة المشرق ـ بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ـ السنة الثالثة ـ العـدد الاول ـ ١٩٠٠ م ٠

٤ ـ مجلة المورد ـ العددان الاول والثانى من المجلد الاول لسنة ١٩٧١م والعدد الاول من المجلد السادس لسنة ١٩٧٧م ٠ وتصدرها وزارة الاعلام فى الجمهورية العراقيـة ٠

* * *

:: فهـرس الموضوعات ::